

عمادة الدراسات العليا  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية



الجمهورية اليمنية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة ذمار

# التغير الزمني للأفعال في القراءات

## القرآنية وأثره في المعنى

إعداد الطالب :

محمد سعيد هادي الهجري

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في  
علوم اللغة بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة ذمار

إشراف :

د. عبد الله علي الهناري



**تقرير لجنة مناقشة رسالة ماجستير**

بناء على مصادقة مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في قراره رقم ( 178 ) الصادر في دورة  
 اجتمعت بتاريخ: 2013/2012 م بتاريخ: 2013/2012 م . بتشكيل لجنة مناقشة رسالة الماجستير  
 لتتألف من: محمد سعيد هادي الهجري كلية الآداب .

قسم اللغة العربية - تخصص

الموضوع: ( اللغة العربية ): تغير البنية صرفية للأفعال بين القراءات القرآنية وآثره في اختلاف المعنى  
 ( اللغة الإنجليزية ): .....

اجتمعت اللجنة المتألفة بهذا القرار من:

1. د/ محمد علي الهادي رئيساً ومناقشاً رئيساً
2. د/ محمد التميمي مصلحاً
3. د/ محمد علي الهادي مشرفاً

بموجب الترخيص رقم: 2013 / 4 / 8 . بعد مناقشته المعنية لرسالة الطالب أعلاه قررت

1- قبول الرسالة ومنح الشهادة )

2- قبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات ✓

3- تأجيل الترخيص بحسب توجيهات المجلس

شأنه من تاريخ المناقشة .

4- استكمال الرسالة في ضوء مناقشتها خلال

يطلب من الطالب تعديل عنوان الرسالة ليصبح  
 التغير الزمني في أعمال من لغات القرآن الكريم وآثره في اللغة العربية  
 بمنح الشهادة بعد الأخذ بالتعديلات خلال

التوقيع	اللقب العلمي	الصفة	الاسم
	استاذ مشارك	رئيساً ومناقشاً رئيساً	د/ محمد علي الهادي
	استاذ مشارك	مصلحاً	د/ محمد التميمي
	استاذ مشارك	مشرفاً	د/ محمد علي الهادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قال ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ) :

” لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ أَشْرَفَ الْعُلُومَ ، كَانَ الْفَهْمُ لِمَعَانِيهِ أَوْفَى  
الْفُهُومِ ؛ لِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ يَشْرَفُ الْمَعْلُومُ ”

زاد المسير ٣/١



# أَهْدَاءٌ

لِمَنْ كَانَا لِي نَبْعًا ثَرًّا ، وَمَعِينًا لَا يَنْضَبُ ، أَنهَلُ مِنْ مَائِهِ الْعَذْبُ  
وَالدِّيَ الْغَالِبِينَ .

كُنْتُ أُبْحِرُ مَعَ مَا أَكْتُبُ فَصَبِرْتُ عَلَيَّ ، وَقَاسَمْتَنِي الْأَفْرَاحَ وَالْأَتْرَاحَ .  
زَوْجَتِي الْكَرِيمَةَ .

يَا مَنْ عَشَقْتُمُ الضَّادَ وَأَسْوَارَ قَلْعَتِهَا الْمُنِيعَةَ ، وَمَنْعْتُمْ أَنْ تَعْبُرَ عَالَمَكُمْ  
تَسَابِيحَ الثَّنَاءِ ، أَوْ يَشْدُوَ لَكُمْ زَجَلَ الْإِطْرَاءِ  
دَكَاتِرَتِي الْأَفْضَلِ

فَاتَّكَمَ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيُّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْغَنَـوَانِ

بِكَلِمَاتِ الْحَبِّ الْعَاطِرِ أَهْدِي هَذَا الْعَمَلَ ، رَاجِيًا مِنَ الرَّحْمَنِ الْقَبُولَ .

الباحث

# شُكْرٌ وَعِزٌّ فَإِنْ

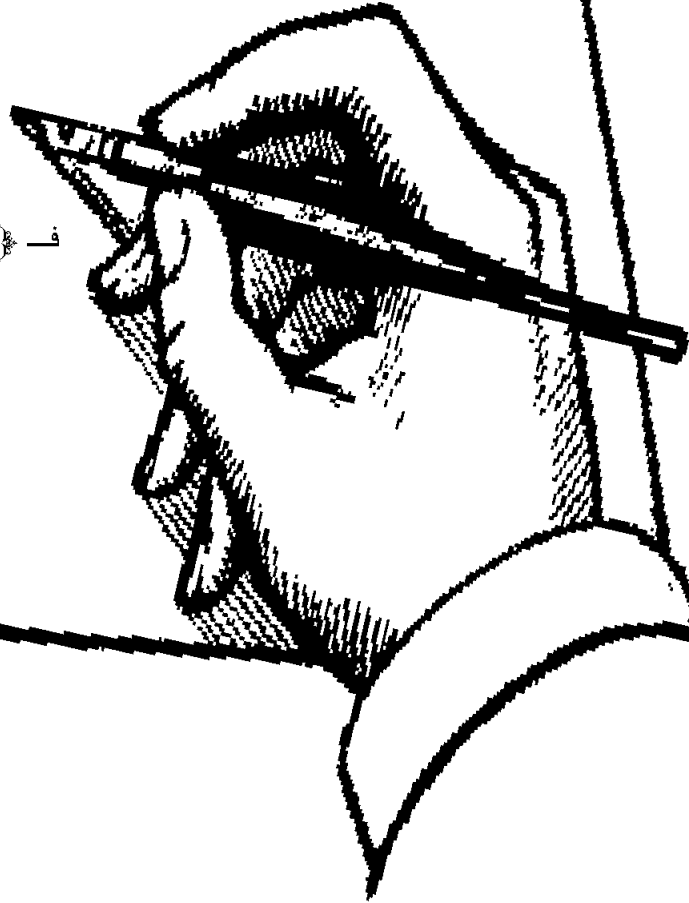
تَوْقُدُ هَمِّكُمْ أَكْبَرُ مِنْ كَلِمَاتٍ تَتَوَارَى خَجَلًا مِنْ صَبْرِكُمْ ، فَأَنْتُمْ مِنْ يَحْتَضِنُ أَفْكَارَنَا لِنَسْتَوِي عَلَى سَوْقِهَا .

دكاترتي الأجلاء أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة دمار ، مشرف رسالتي د. عبد الله علي الهتاري لكم خالص شكري ، ووافر امتناني .  
وما كان لباحثٍ أَنْ يَتَقَيَّأَ ظِلَالَ عُلُومٍ مِنْ أَنْارِهَا دَرَبَ مَسِيرَتِهِ الْأَكَادِمِيَّةِ ؛ إِلَّا أَنْ تَتَوَهَّ عِبَارَاتِهِ ، وَتَتَبَعَثِرَ كَلِمَاتِهِ أَيْنَ يُوَجِّهُهَا ؟ وَكَيْفَ يَبِيعُهَا ؟؟  
لكنِّي : بلسان الإمكان لا بقلم التبيان ...

حَرَّرْتُ كَلِمَاتِ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا تَفِي سَابِقَ فَضْلِهِمْ ، وَبَعْضَ حَقِّهِمْ .

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

الرحمن: ٦٠



## ملخص البحث باللغة العربية

تناقش هذه الدراسة الموسومة بـ : ( التغير الزمني للأفعال في القراءات القرآنية وأثره في المعنى ) الدلالات المترتبة على صور التغير لبنية الفعل في نطاقه الزمني بين القراءات القرآنية ، وقد تلمس الباحث تلك الدلالات من خلال مجموعة من النماذج قام بتحليلها ، فقد وصف أوجه تغير البنية بين القراء ، ثم قام بتوجيه هذا التغير لكل قراءة وردت متواترة أم شاذة ، ثم دون الملاحظات حول صورة التغير بين بُنيَي الفعلين مستصحباً دلالة السياق وأثرها على المعنى ، وقد اختار الباحث قراءة عاصم أصلاً بنى عليه صور التغير مع بقية القراءات ، كما أن دراسة بنية الفعل حُصرت في الأزمنة : الماضي ، والمضارع ، والأمر .

ولم يقف الباحث أثناء تناوله هذه الصور عند حدود التعليل النحوي فقط ، بل يتجاوزوه إلى التعليل البلاغي والبياني ، محاولاً إيجاد العلاقة بين البنية والسياق للوقوف على أسرار هذا التغير ودلالاته من خلال السياق القرآني ، وهذا التغير أحدث أبعاداً بلاغية وبيانية كشفت عن وجوه الإعجاز في هذا الكتاب الكريم .

وقد جاء البحث في مقدّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول :

- **المقدّمة** : بين فيها الباحث أسباب اختياره للموضوع ، ثم أهداف الدراسة وأهميتها ، ثم مجالها وحدودها ، والمنهج الذي سلكه في تطبيقات الدراسة ومباحثها ، ثم الدراسات السابقة ، والصعوبات التي واجهته ، ثم خطته في فصول الرسالة .

- **تمهيد** : تناول فيه الباحث : معنى البنية الصرفية ، ثم الفعل ودلالاته على الزمن ، ثم تغير البنية الصرفية للأفعال ، ثم السياق تعريفه ، أركانه ، وأهميته ، ثم القرآن والقراءات : تعريفات أساسية ، ونشأة القراءات القرآنية ، ثم أثرها على المعنى .

- **الفصل الأول** : التغير من الفعل الماضي إلى المضارع ، والعكس ، ودلالة ذلك .

- **الفصل الثاني** : التغير من الفعل الماضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك .

- **الفصل الثالث** : التغير من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك ، ثم الخاتمة فالنتائج والتوصيات ، مرفقاً الدراسة بملاحق تحصر مواضع التغير لبنية الفعل بين القراءات القرآنية .



# فهرس الموضوعات





الصفحة	العنوان
ج	الإهداء
د	شكر و عرفان
هـ	ملخص البحث باللغة العربية
و- ط	فهرس الموضوعات
١١-١	المقدمة
٣١-١٢	تمهيد
٩١-٣٢	الفصل الأول : التغيير من الفعل الماضي إلى المضارع والعكس ، ودلالة ذلك
٧٠-٣٣	المبحث الأول : التغيير من الفعل الماضي إلى المضارع ودلالته
٣٨	١. تَشَبَّهَ
٤١	٢. تَطَوَّعَ
٤٦	٣. وَأُدْجِلَ
٤٩	٤. وَنَزِلَ
٥٩	٥. أَخْفَى
٦٤	٦. وَأَمَلَى
٩١-٧١	المبحث الثاني : التغيير من الفعل المضارع إلى الماضي ، ودلالته
٧٣	١. يُصَوِّرُكُمْ
٧٧	٢. وَيَقْتُلُونَ
٨٢	٣. وَنَمْنَعُكُمْ
٨٦	٤. يُوقِدُ

١٤٧-٩٢	الفصل الثاني : التغير من الفعل الماضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك		
١١٩-٩٣	المبحث الأول : التغير من الفعل الماضي إلى الأمر ، ودلالته		
٩٥	١ . وَأَسْفَتَحُوا		
١٠١	٢ . قَالَ		
١١٣	٣ . فَأَسْتَبَقُوا		
١٤٧-١٢٠	المبحث الثاني : التغير من الفعل الأمر إلى الماضي ، ودلالته		
١٢٢	١ . وَأَتَّخِذُوا		
١٣٠	٢ . بَعِدَ		
١٣٦	٣ . قُلْ		
١٧٨-١٤٨	الفصل الثالث : التغير من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك		
١٦٨-١٤٩	المبحث الأول : التغير من الفعل المضارع إلى الأمر ، ودلالته		
١٥٢	١ . أَعْلَمُ		
١٥٨	٢ . تَوَمَّنَ - وَتَجَاهَدُونَ		
١٦٤	٣ . أَتْلُوا		
١٧٨-١٦٩	المبحث الثاني : التغير من الفعل الأمر إلى المضارع ، ودلالته		
١٧٢	١ . أَشَدَّدَ - وَأَشْرِكْهُ		
١٧٩	الخاتمة وإهـم النتائج		
١٩٢-١٨٤	الملحقات		
١٨٥	١ . مواضع التغير من الماضي إلى المضارع		
١٨٧	٢ . مواضع التغير من المضارع إلى الماضي		

١٨٩	٣. مواضع التغيُّر من الماضي إلى الأمر		
١٩٠	٤. مواضع التغيُّر من الأمر إلى الماضي		
١٩١	٥. مواضع التغيُّر من المضارع إلى الأمر		
١٩٢	٦. مواضع التغيُّر من الأمر إلى المضارع		
٢٤٠-١٩٣	<b>الفهارس</b>		
١٩٤	١. فهرس الآيات القرآنية		
٢١٠	٢. فهرس الأحاديث النبوية		
٢١٢	٣. فهرس الأبيات الشعرية		
٢١٤	٤. فهرس المراجع والمصادر		
٢٤١	<b>ملخص البحث باللغة الانجليزية</b>		

# المقدّمة

الحمد لله على سوابغ نعمائه ، وضوافي آلائه ، والصلاة والسلام على أكرم رسله ،  
وخيرة أنبيائه ، صلاةً تملأ أركان الأمكنة ، وسلاماً يعطر أجواء الدهور والأزمنة ،  
وبعد ،

امتلك القرآن الكريم بأسلوبه البديع في التركيب والترتيب ناصيةً البيان ، وذروة  
مقامات البلاغة والفصاحة ، تجلّت فيه بلاغة الكلمة ، ودقّة التعبير ، وتجدّد المعاني ،  
يفدّم الكلام الجزل ، والقول الفصل بقليلٍ من الألفاظ ، ويسير من التراكيب التي تحمل  
في طياتها عالم إبداع ، وبحرّ تفنّن في تدريس فنون القول وأبلغه .

ويبقى القرآن الكريم بتراكيبه وعباراته خارجاً عن مستوى كلام البشر ، فنظّمه المتّقن  
، وتركيبه الفائق خارجٌ عن حدودهم بما لم يعهدوه من قبل . وهو وإن كان من جنس  
كلامهم مادّةً ؛ إلا أنه بأسلوبه الراقي يأسر القلوب ، ويأخذ بمجامع النفوس إلى شيطان  
التدوّق ومرافئ التأمل ، فالأذن تتلذّد به وتستمتع كما تتمتع العين برؤية المنظر الجميل .  
ولقد شغف قلب الباحث بحبّ هذا الكتاب العزيز منذ بدأ في خطى البحث والدرس ،  
وتملكه الشوق إلى نيل شرف البحث في مادّة من موادّ علومه - وهي كثيرة - ، ولمّا  
كانت القراءات القرآنية الثابتة عن الرسول ﷺ ميداناً خصباً للدراسات اللغوية  
على تنوع مستوياتها : الصّوتية ، والصّرفية ، والنحوية ، والدلالية ؛ أثر الباحث أن  
تنصبّ دراسته على مادّتها ، وأن يعكف - فيما أعانه الله تعالى - على سبر أغوارها ،  
وتتبع محاسن أنوارها ، وإن كان تحصيل ذلك كلّ من الصعوبة بمكان ، فالأمر يحتاج  
فكرًا نقيًا ، وبصرًا جليًا ، يقطف أطياب ثمرها ، ويلتمس نفائس أثرها .

وقد انقح في خاطر الباحث - بتوفيق الله تعالى ، وبمشورة من بعض دكاترته  
الأفاضل - أن يكتب في موضوع طريفٍ تليدٍ ، سنّه القدامى من المفسّرين وعلماء  
الدراسات القرآنية واللغويّة ؛ فجاءت هذه الدراسة بعنوان : ( التغيّر الزمني للأفعال  
في القراءات القرآنيّة ، وأثره في المعنى ) .

ولعلّ من أبرز الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع ما يلي :

١. احتوت كتب اللغة ، والتفسير ، وعلوم القرآن ومعانيه على جملة وافرة من توجيه القراءات والاحتجاج لها ، يتبلّغ بها اللغويون إلى الاستشهاد على بعض قواعدهم ، أو ترجيح وجه لغويّ على آخر ، ويعتضد بها الفقهاء في استنباط الأحكام ، ويستعين بها المفسّرون على بيان المعاني التي تتضمّنها الآي ، إلا أنّ جملة من هذه الدراسات قصرت بحثها على توضيح حجّة كلّ قراءة أو علّتها ، مُوردةً بعض الأقوال الموثوقة هنا أو هناك وكأنّها ترجّح قراءةً على أخرى ، أو تبيّن العلة من هذه القراءة بهذه اللفظة ، وكان الأولى - والله أعلم - بيان اللطائف والفوائد الدلاليّة التي تتحقّق من اختلاف القراءات وتنوعها .

٢. المستوى الدلالي من أهمّ المستويات اللغوية ، وأجدرها بالدراسة والتحليل ، ومن غيره لا تكون هناك لغة للتعبير عن حاجات الإنسان وأغراضه ، ولغة القرآن الكريم بقراءاته المتعدّدة أرقى لغة في التعبير عن هذا المستوى اللغوي ، كما أنّ التغيّر بين هذه القراءات منهلّ خصبٌ لدراسة الأثر الدلالي المترتّب على هذا التغيّر .

٣. للباحث اهتمامٌ بالقراءات القرآنيّة والدراسات المتعلّقة بها ، وقد لفت نظره أنّ التغيّر بين القراءات القرآنيّة شمل أقسام الكلام : الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، فاختار الباحث الأفعال ليوقف على أسرار تغيّر أزميتها في القراءات القرآنيّة ، وليدرس أثر هذا التغيّر على المعنى .

٤. باستقراء - على وجه الإجمال - قام به الباحث لمواضع تغيّر بنية الفعل الصرفيّة بين روايتي حفص وشعبة عن عاصم بن أبي النّجود ت(١٢٧هـ) ، بلغت مواضع تغيّر الفعل بين الروايتين أكثر من مائة وخمسين موضعاً من بين أكثر من خمسمائة موضع خلافٍ بينهما شمل الأسماء والأفعال<sup>(١)</sup> ، فإذا كان هذا الاختلاف حاصلًا بين

(١) يُنظر: فيّاض ، جمال : رواية شعبة ، ١٥-٧٠ ، نبهان ، محمد : الرياش في رواية شعبة بن عياش ، ٢٦-٨٢

راوي قارئٍ واحدٍ فقط ، فكيف الحال لو تمَّ استقراء مواضع الاختلاف بين بقية القراء ؟ ، ما مِنْ شكٍّ أنها ستكون مادة ثريّة تستحق أن تُبحث .  
تلك أبرز الأسباب التي رأى الباحث أنّ من المفيد أن يجمع ما يتعلق بهذا الموضوع ، مبيّناً المعاني التي تضمّنتها صورة هذا التغيّر بين القراءات ، ومبرزاً جانباً من جوانب الإعجاز في النصّ القرآني بكونه غير قابل للتناقض والاضطراب ، على الرغم من تعدّد قراءاته وتنوعها .

### أهداف الدراسة :

يهدف الباحث في هذه الدراسة إلى ما يلي :

1. استقراء صور التغيّر في أبنية الأفعال بين القراءات القرآنية ، وتناول بعض نماذجها بالتحليل والدراسة .
2. الوقوف على المعاني التي تُدرَك نتيجةً للتغيّر بين القراءات القرآنية .
3. فهم العلاقات المتعدّدة التي تربط صور التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية بما يؤدي إلى فهم معانيها .
4. بيان أهميّة السياق وأثره في توجيه المعاني المتعدّدة لصور تغيّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية .
5. بيان الحيويّة في الدراسة اللغويّة من خلال دراسة الأثر الدلالي لتغيّر أبنية الأفعال الصرّفيّة بين القراءات القرآنيّة.

### أهمية الدراسة :

تكمن أهميّة هذه الدراسة - في نظر الباحث - في ما يلي :

1. تتعلّق الدّراسة بجانب اعتقاديّ في حياة المسلم ، إذ يجب عليه أن يثبت عدم التناقض والاختلاف والتدافع بين القراءات القرآنية .
2. تتطوي القراءات القرآنية على مادة دلاليّة غزيرة ، تمنح روافد جديدة من المعاني ، التي تنجم عن تغيير إعراب الكلمة ، أو بنيتها ، أو حروفها .

٣. تؤكد الدراسة على نظرية النظم التي قعد لها وأثراها عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ-) ، من خلال ربط أثر التغيّر بين أبنية الأفعال بالدلالة والمعنى ؛ لأنّ المقصود ليس دراسة التغيّر لذاته ، وإنما بيان أثره على المعنى .

### مجال الدراسة وحدودها :

القراءات القرآنية : المتواترة والشاذة ، ولن يختار الباحث إلا ما حكم العلماء بأنّ لها وجهًا يُطمأنُّ إليه في اللغة ، وأصول النحو ، وشواهد الشعر . ووسّع الباحث مجال الدراسة ليشمل القراءات الشاذة لما لها من تعلق بالمعنى في المواضع التي وردت ، كما أنّها أولى بالاستدلال والاستنباط من غيرها كآيات شعرٍ مجهولة القائل . واستثنى الباحث من هذه القراءات الأصول العامة لكل قارئ ك : الإمالة ، والمدّ ، والفتح ، والترقيق ، والتفخيم ؛ لأنّه يكثر دورانها ، ويطول بيانها ، ويجدر التنبيه إلى أنّ الباحث اختار قراءة عاصم بن أبي النجود (١٢٧هـ) أصلاً بنى عليه صور التغيّر الحاصلة في بنية الفعل مع بقية القراءات ، كما أنّ الحصر والاستقراء كان لبنية الفعل الصرفية في أزمنتها : الماضي ، والمضارع ، والأمر بين القراءات القرآنية ، ويصعب أن يُقيم الباحث الدراسة على جميع النماذج التي تمّ حصرها في صور التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية لما تقتضيه الرسالة من أنّ تكون في مقدار وحجم معيّنين ، فاكتمت بدراسة بعض تلك النماذج ، التي ارتأها من وجهة نظره شاهدة على الصورة التي يناقشها .

### منهج الدراسة :

اعتمد الباحث على المنهج الوصفيّ التحليلي ، واقتضت طبيعة البحث أن يسبق بالدراسة الإحصائية الاستقرائية لبنية الفعل الصرفية الدالة على الزمن ، ثم يصف الباحث أوجه التغيّر في بنية الفعل بين القراء ، ثم يقوم بتوجيه هذا التغيّر مسترشداً بكتب توجيه القراءات ، وإعراب القرآن الكريم ، ومعانيه وتفسيره ، ثم يقوم الباحث بتحليل بعض تلك النماذج ودراستها ، وتدوين الملاحظات حول صورة التغيّر بين بنيّتي



الفاعلين مبيّنًا أثر كل بنية على المعنى - بما فتح الله به عليه وهو الفتح العليم - ، يرشده إلى ذلك إشارات يجدها عند النحاة في تناولهم للبنى الصرّفيّة ، وبعض دراسات المحدثين مستنصحيًا دلالة السياق في تناول هذه النماذج .

ولن يتطرق الباحث لوصف هذا التغيّر في مستواه النحوي ، إلا فيما يكشف اللّثام ، ويبيّن المعنى ، دون الخوض في غمار الخلاف وتوجيهات العلماء ، فالمراد وصف هذا التغيّر في مستواه الدلالي . ويرجو الباحث أن يكون تناوله لتلك الدلالات ممّا لا تكلف فيه ولا شطط ، فالقرآن الكريم أصحّ المعاني ، ولا ينبغي أن يُقال فيه برأي ، إلا أنّ الباحث يتلمّس دلالات السياق ومقاماته ، ويربط اللفظ بالمعنى ، والبنية بالتركيب ، والدلالة بالزمن فيما لا يُخرج الآية عن مرادها ، فإنّ تعدّر عليه الوقوف على تلك الدلالات ؛ حطّ رحله ، وأناخ مطيّته ، وما افتأت على كتاب الله تعالى بقول ولا رأي ، حتى لا يكون القول مدعاة للتشريب .

### صعوبات الدراسة :

واجه الباحث عددًا من الصّعوبات تمثّلت في ما يلي :

١. كثرة مواضع التغيّر لأبنية الفعل بين القراءات القرآنية ممّا هو من مجال الدّراسة ، اقتضى عرضها على متخصصّ في علم القراءات ، ومن ثمّ تصنيفها وتبويبها على فصول الدراسة ، وهو ما أخذ جهدًا أكبر ، ووقتًا لا بأس به من زمن الدّراسة .
٢. اتّساع الصّور التطبيقية لهذا التغيّر ، بالإضافة للعدد الكبير من الألفاظ والنماذج التي يمكن دراستها وتحليلها .
٣. يعلّل القدماء لهذا التغيّر بتعليلات نحوية وصوتية وصرفية ، وربما أغفلوا دلالة السياق ، وهذا اقتضى من الباحث جهدًا آخر تمثّل في إعمال النظر في دقائق مثل هذا التغيّر ودلالاته ، والاستئناس بما كتب المحدثون للإفادة من تعليقاتهم وتفسيراتهم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

٤. يعترف الباحث بأنَّ بعض صور تغيُّر الأفعال بين القراءات كانت عصيَّةً أربيَّةً لم يُنحَ له التعرُّف على دقائق دلالاتها ، ومكامن أسرارها ، وإنَّما هي فتوحات ربَّانيَّة يفتحها الله تعالى على من شاء من عباده ، فاكتفى الباحث حينها بالتطوُّفِ حول حصن هذا الفعل يلتبس بلاغة مقامه ، ودلائل سياقه ، علَّ الله يقيِّض لذلك من يسدُّ النَّقص .

### خطة الدراسة :

سلك الباحث بعض الخطوات الإجرائية لتنظيم منهجية الدِّراسة ؛ لتخرج في حلَّة من التناسق والاتِّزان ، من ذلك :

١. كتابة الآيات القرآنية مشكَّلة برواية حفص عن عاصم ، برسم المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد .

٢. عزو الآيات إلى سورها ، وإردافها برقم الآية في المتن لا الحاشية .

٣. عزو الأحاديث النبوية إلى مظانِّها من كتب السنَّة حسب ضوابط التخريج وأصوله .

٤. عزو البيت الشعري إلى قائله ، ووزنه من بحور الشعر ، وتوثيقه من ديوان الشاعر وكتب الأدب المعتمدة .

٥. توضيح المفردات التي تحتاج إلى بيان في الحاشية ، مستعيناً في ذلك بالمعاجم اللغويَّة.

٦. لم يلتزم الباحث التَّرجمة لأحد من الأعلام ؛ فقد ارتأى أنَّ ذلك ليس من صلب دراسته ، وبذلك أشار عليه المشرف ، واكتفى الباحث بذكر سنة الوفاة مسبوقة بالحرف (ت) بعد الاسم مباشرة في كل مرة يرد فيها .

٧. يمهِّد الباحث في الغالب بمدخل يربط عناصر الفصل أو المبحث ، كما يلخِّص الفصل أو المبحث بخاتمة مختصرة تجمع ما تفرَّق .

٨. يورد الباحث مواضع التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات في كل صورة حسب ترتيب ورودها في المصحف .

٩. إنَّ نَقَلَ الباحثَ حرفياً ؛ فإنَّه يلتزم بذكر المنقول بين علامتي تنصيص هكذا " " تحريماً للأمانة العلمية ، وإنَّ نَقَلَ بالمعنى ، أو أراد الإحالة للتوسُّع قال في الحاشية : يُنظَر .

١٠. أثبت الباحثُ المرجعَ في الحاشية مبتدئاً بشهرة المؤلف واسمه كما هو مثبت في مراجع الدِّراسة ، ثم الكتاب ، ورقم المجلد أو الجزء والصفحة دون تفصيل لبيانات المرجع ؛ حتى لا تتقلَّ الدِّراسة بكثرة الحواشي .

١١. إنَّ أثبت الباحثُ أكثر من مرجع في حاشية واحدة ؛ فإنَّه يقدِّم الأقدم فالذِّي بعده حسب تاريخ وفاة المؤلف .

١٢. أمَّا توثيق المراجع في الفهارس فقد اتَّبَعَ الباحثُ : ( اسم الشهرة للمؤلف ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته : اسم الكتاب . رقم الطبعة - إن وجدت - . اسم المحقق أو المحقِّقين . البلد : الدار الناشرة . تاريخ الطبعة - إن وجدت - ) .

١٣. في الملحقات أثبت الباحثُ جداول تشمل حصراً بالمواضع التي تمَّ استقراؤها لصور التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنيّة ، والقارئ بها ، ونوعها .

١٤. أثبت الباحثُ فهرس تسهّل من مطالعة الدِّراسة والإفادة منها ، وهي :

- فهرس الآيات القرآنية : رتّبها الباحثُ حسب ترتيبها في المصحف .
- فهرس الأحاديث النبوية : حسب الترتيب الألفبائي لمطلع الحديث النبوي .
- فهرس الأبيات الشعرية : حسب الترتيب الألفبائي لقافية البيت الشعري .
- فهرس المصادر والمراجع : حسب الترتيب الألفبائي لأسماء الشهرة للمؤلفين ، باستبعاد ( أل ) و ( أبي ) و ( ابن ) من الترتيب .
- أمَّا فهرس الموضوعات : فقد أثبتّه الباحثُ قبل هذه المقدِّمة .

واقترضت طبيعة الدراسة أن يكون في مقدّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول

- المقدّمة : بيّن فيها الباحث أسباب اختياره للدراسة ، ثمّ أهدافها وأهميتها ، ثمّ مجالها وحدودها ، والمنهج الذي سلكه في تطبيقاتها ، ومباحثها ، ثمّ عرّج على الدراسات السابقة التي أفاد منها ، والصعوبات التي واجهته ، ثمّ بيّن خطته التي سار عليها .

- التمهيد : وتناول فيه الباحث :

- معنى البنية الصرفية .
  - الفعل ودلالته على الزمن .
  - تغيّر البنية الصرفية للأفعال .
  - السياق تعريفه ، أركانه ، وأهميته .
  - القرآن والقراءات : تعريفات أساسية .
  - نشأة القراءات القرآنية .
  - أثر القراءات القرآنية على الدلالة والمعنى .
- الفصل الأول : التغيّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، والعكس ، ودلالة ذلك .  
وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغيّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيّر من الفعل المضارع إلى الماضي ، ودلالته .

- الفصل الثاني : التغيّر من الفعل الماضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك . وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغيّر من الفعل الماضي إلى الأمر ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيّر من الفعل الأمر إلى الماضي ، ودلالته .

- الفصل الثالث : التغيّر من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك. وفيه  
مبحثان :

- المبحث الأول : التغيّر من الفعل المضارع إلى الأمر ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيّر من الفعل الأمر إلى المضارع ، ودلالته.

ثم الخاتمة التي أعطى الباحث فيها فكرة إجمالية على ما تناولته الدراسة ، وأهمّ النتائج والتوصيات التي خرجت بها ، مرفقاً ملاحق تحصر مواضع التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية . هذا وقد رجع الباحث إلى عددٍ من الكتب التي هي مظانٌّ لمثل هذه الدراسة ، حيث اعتمد في توثيق صور التغيّر لبنية الفعل على أمّهات كتب القراءات من مثل : التيسير للذّاني ت (٤٤٤هـ) ، والحجّة في القراءات السبع : لابن خالويه ت (٣٧٠هـ) ، والحجّة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ت (٣٧٧هـ) وغيرها ، وفي دراسة صور التغيّر وتحليلها على كتب تفسير القرآن الكريم كالكشف للزمخشري ت (٥٣٨هـ) ، والبحر المحيط لأبي حيّان ت (٧٤٥هـ) ، وكتب إعراب القرآن وعلومه ومعانيه ، مثل : معاني القرآن للقرّاء ت (٢٠٧هـ) ، وتأويل مشكل إعراب القرآن لابن قتيبة ت (٢٧٦هـ) ، والمحتسب في القراءات الشاذّة لابن جنّي ت (٣٩٢هـ) ، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ت (٦١٦هـ) وغيرها ، وكتب النحو مثل : الكتاب لسيبويه ت (١٨٠هـ) و شروحاته ، والمقتضب للمبرّد ت (٢٨٥هـ) ، وأصول النحو لابن السّراج ت (٣١٦هـ) ، والخصائص لابن جنّي ت (٣٩٢هـ) وغيرها ، كما أفاد الباحث عددٌ من الدّراسات الحديثة ، والرسائل الجامعية ، والدوريات والمجلات أثبتتها في قائمة المصادر والمراجع .

وقد استغرقت الدّراسة وقتاً انتقل فيه الباحث بين دوحة الكتب ورياضها ، يقطف من هذه وردة ، ويجني من تلك ثمرة ، حتى استوت على سوقها ، وربّما كان البحث محلاً للإعياء ، مُرهقاً للتفكير ، لكنّ لمّا عَسَرَ نَيْسَرَ وَنَيْسَرَ ، وَلَنْ يَغْلِبَ عَسْرٌ يَسْرِينَ .

والشُّكر في هذا المقام وبعد نعمة التمام لله المولى ، على ما وهب وأولى وأعان على إتمام هذه الدِّراسة ، فله المنَّة من قبل ومن بعدُ ، كما يتقدَّم الباحث بالشكر الجزيل لنيابة الدِّراسات العليا ، وعمادة كلية الآداب بجامعة زمار ، ورئاسة قسم اللغة العربيَّة ، وأعضاء هيئة التدريس فيه على ما أولوه من جهود مضيئة في سبيل تحصيلنا العلمي والأكاديمي ، ويخصُّ بالذكر مشرفَ رسالته الدكتور عبد الله علي الهتاري ، الذي كلَّف نفسه عناء متابعة الدِّراسة منذ أطوارها الأولى توجيهاً ونقداً علمياً بنأء إلى أن استوى تمامها ، ولأنَّ للباحث زمامها ، كما يتقدَّم الباحث بالشكر الجزيل لمنَّ لهم عليه منَّةً وفضلٌ ابتداءً من الدكتور صالح النهاري نائب عميد كلية التربية لشؤون الطلاب بجامعة صنعاء الذي لم يعدم الباحث توجيهاً وإشاراته ، والشيخ محمد جمعان مدير معهد الشاطبي لتلقِّي القراءات سابقاً الذي أفاد منه الباحث في مسائل تتعلَّق بتوثيق القراءات ومنهجيتها ، فهو من المتخصِّصين في هذا الفنِّ ، ومن واجب القول ولزامه أن يشكر الباحث شكرًا ممزوجًا بالامتنان أعضاء لجنة المناقشة : الدكتور عبد الكريم البجلة - مناقشاً داخلياً - وقد تشرَّف الباحث بالتلمذ على يديه فترة التمهيدي ، وأفاد من منهجيتها العلميَّة وإكسابه طلابه ملكات البحث ومهاراته ، والدكتور : نجيب السوداني - مناقشاً خارجياً - على ما أولاه هذه الدِّراسة من وقته وجهده فحصاً وتصويماً ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وختاماً يعترف الباحث بأنَّ القصور من الأوصاف البشريَّة ، وليست الإحاطة بالعلم إلا لباري البريَّة ، إلا أنَّه يضرع إلى مَنْ وسعت رحمته كل شيء ، وشملت عنايته كل حيٍّ ، أن ينفع في هذا العمل بياعث النية ، ونية القصد .

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم .

الباحث

## تمهيد

- معنى البنية الصرفية .
- الفعل ودلالته على الزمن .
- تغير البنية الصرفية للأفعال .
- السياق تعريفه ، أركانه ، وأهميته .
- القرآن والقراءات تعريفات أساسية .
- نشأة القراءات القرآنية .
- أثر القراءات القرآنية على الدلالة والمعنى .

تدرس هذه الرسالة تغيّر البنية الصرفيّة الزمّنيّة للأفعال في القراءات القرآنيّة ، وأثر هذا التغيّر في المعنى .

وقد آثر الباحث استخدام مصطلح ( البنية الصرفية ) على غيره من المصطلحات - كالصيغة مثلاً - أتباعاً لنهج علمائنا السابقين في تأليفهم وكتبهم ، فالسيوطي ت(٩١١هـ) على سبيل المثال حين وضع صيغ الأفعال وضعها تحت عنوان : ( أبنية الفعل ) ، وذكر أبنيّة كثيرة ، وكيفية اشتقاقها كأبنية المضارع ، والمبني للمعلوم ، والمبني لغير المعلوم<sup>(١)</sup> . والسيرافي ت(٣٦٨هـ) ينصُّ عليها بقوله : " إنّ أبنية الأفعال مختلفة فمنها على ( فَعَلَ ) ، نحو : ( ضَرَبَ ) ، ومنها على ( فَعِلَ ) ، نحو : ( عَلِمَ ) ، و ( فَعُلَ ) ، نحو : ( ظَرَفَ ) وغير ذلك من الأبنيّة"<sup>(٢)</sup> ، والمبرد ت(٢٨٥هـ) يؤثّر هذا المصطلح على غيره تحت عنوان : ( باب الأبنيّة ومعرفة الزوائد )<sup>(٣)</sup> .

ولا يُتكرّر استخدام النُحاة واللُّغويين القدامى ، والمحدثين لمصطلح غير ( البنية ) ، فابن مالك ت(٦٧٢هـ) مثلاً استخدم لفظ ( الصيغة ) في ألفيته حين قال :

وصُغ من اثنين فما فوق إلى عشرة كفاعل من فعلا<sup>(٤)</sup> ( الرجز )

فاستخدم فعل الأمر ( صُغ ) من ( صَاغَ ) الماضي . وتحدث د.تمام حسّان عن الصيغ القياسية ، والمحفوظة للفعل الثلاثي ، وجعلها مبنويّة على ستة أبواب ، وصيغ أخرى قياسية كذلك لما زاد على الثلاثي ، و مايز بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول وفق الصيغة<sup>(٥)</sup> .

وهذا التغيّر في ألفاظ المصطلح الواحد الناشئ عن اختلاف النُحاة في تقرير هذا المصطلح أو ذاك لا بأس به لو كان في غير كتاب واحد له منهجته الخاصة في التأليف

(١) يُنظر : السيوطي : همع الهوامع ، ١٥/٦ - ٤٧

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ، ٥٤ / ١

(٣) يُنظر : المبرد : المقتضب ، ٥٣/١

(٤) ابن مالك : الألفية ، باب العدد ، البيت (٧٣٨) ، ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ٣٥/٤

(٥) يُنظر : حسّان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ، ١٠٦-١٠٧



، أمّا في رسالةٍ علميّةٍ فإنَّ الباحثَ سينهج مسلكَ الاستقراءِ على مصطلح ( البنية ) لئلا يظهر هذا التغير في الألفاظ بين المصطلحات .

**والمراد بالبنية الصرفيّة :** وزنُ الكلمة ، وصيغتها ، وهيئتها التي يشترك فيها غيرها ، وهي عدد حروفها المرتبّة ، وحركاتها المعيّنة ، وسكونها ، مع اعتبار الحروف الزوائد والأصليّة ، كلٌّ في موضعه<sup>(١)</sup> .

إنَّ الأبنية الصرفيّة قوالب استنبطها الصرفيّون ليصبّوا فيها المادّة اللغوية التي يعبرون بها عمّا يجول في أفكارهم ، ويدور في خواطرهم من معانٍ محدّدة اعتبرت فيما بعد سياجاً وصمّاماً أماناً لِمَا ينطقه العرب من حيث الصحة والسلامة . والبنية الصرفيّة أحد أهمّ العناصر التي تتألّف منها الجملة العربيّة إضافة إلى : المفردة ، والتأليف بنوعيه الجزئي<sup>(٢)</sup> ، والتام<sup>(٣)</sup> ، والنغمّة الصوّتية ، والقريئة ، والفهم العام لمدلول العبارة ، والإعراب<sup>(٤)</sup> .

**أمّا الفعل** فيمثل الركيزة الأساسية في بناء الجملة العربيّة بعد الاسم ، ولأهمّيته عنيّ به العلماء قديماً وحديثاً عناية كبيرة من خلال حديثهم عن بُنيّته ودلالته<sup>(٥)</sup> ، فـ" أول ما يجب للنّاظر في كلام العرب - بعد إحكام قياس الحركات - أن يُحكّم تنقيف الأفعال ، لِمَا يدخلها من القياس بالتصرّف ، لِيَتَّصَلَ له قياس التصرّف في الأفعال بقياس تصرّف الإعراب في الأسماء"<sup>(٦)</sup> . والفعل : ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة<sup>(٧)</sup> ، هذا على سبيل الإيجاز وإلا فقد اختلف النحاة في حدِّ الفعل ، وتعريفه ،

(١) يُنظر : الاسترأبادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٢/١ .

(٢) مثل : قام عنه أي : انصرف عنه ، وقام له : عظمه ، وقام عليه : تولى أمره .

(٣) كالقديم ، والتأخير ، والذكر ، والحذف ، والتوكيد وعدمه ، والتكثير ، والتعريف .

(٤) يُنظر : السامرائي ، فاضل : الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها ، ٣١ .

(٥) يُنظر مثلاً : كتاب : فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) ، كتاب الأفعال لابن القطاع (٥١٥هـ) ،

الفعل زمانه وأبنيته لإبراهيم السامرائي ، ودراسات في الفعل لعبد الهادي الفضلي

(٦) الثويني : الأفعال في القرآن الكريم ودلالاتها في السياق القرآني ، ص ١٨٣

(٧) يُنظر : ابن جماعة : شرح كافية ابن الحاجب ، ٢٧١

وعلاماته . ولعلّ من أفضل تحديداته : دلالاته على الحدث والزّمن<sup>(١)</sup> ، وهذه هي وظيفته الصّرفيّة التي يميّز بها عن غيره من أقسام الكلام .

وقد قسّم النّحاة الفعل إلى ثلاثة أقسام : ماضٍ : وهو ما دلّ على الزّمن الماضي ، أو ما تحقّق وقوعه ، ومضارعٍ : وهو ما دلّ على الحاضر ، أو المستقبل ، أو ما لم يتحقّق وقوعه ، وجعلوا الأمر داخلاً ضمن الدلالة على الزّمن المستقبل ، قال ابن يعيش ت(٦٤٣هـ) : " لما كانت الأفعال مساوقة للزّمن ، والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده ، وتتعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان . ولما كان الزّمان ثلاثة : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك من قِبَل أنّ الأزمنة حركات الفلك فمنها : حركات مضت ، ومنها حركة لم تأت ، ومنها حركة تفصيل بين الماضية والآتية ، كانت الأفعال كذلك ماضٍ ، ومستقبل ، وحاضر"<sup>(٢)</sup> .

وما أقرّه النّحاة القدامى من أنّ الفعل يدلّ على الحدّث بلفظه ، وعلى الزّمان ببنيّته عارضه المحدثون ، حيث رأوا في عملهم تجاهلاً لدلالة السّياق في تحديد زمن الفعل ، ورفضوا أنّ تدلّ البنية الصّرفيّة للفعل على زمن معيّن ، فما هي إلا مجرد كلمة لا يصحّ أن يُنسب إليها زمنٌ ما ، والزّمن إنما يُحكّم بدلالة السّياق الذي وردت فيه تلك البنية<sup>(٣)</sup> ، ولما رأى المحدثون أنّ في التقسيم السابق للفعل تجاهلاً لدلالة السّياق التي لا يمكن أن تؤخّذ من بنية مجردة عن التركيب ؛ بنوا تقسيمهم للفعل على أساس إنجاز الحدث وليس على أساس بنية الزّمن ، فما أنجز فهو ماضٍ ، وما لم يُنجز فهو مضارعٌ ، وما يحتمل الإنجاز أو عدمه أمر ، وقسّموا الزمن إلى نوعين :

١- الصّرفي : وهو الزمن الذي تدلّ عليه البنية المفردة خارج السّياق .

٢- النّحوي : وهو الذي تحدّده القرينة اللفظيّة أو الحالّيّة أو هو معنى الفعل في السّياق<sup>(٤)</sup>

(١) يُنظر : السبيلي : نتائج الفكر ، ٥٢ ، الساقى ، فاضل : أقسام الكلام العربي ، ٧٣

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ، ٤/٧

(٣) يُنظر : السامرائي ، إبراهيم : الفعل زمانه وأبنيّته ، ١٥ ، الجنابي ، زهراء : الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن ، ٢٢

(٤) يُنظر : هندأوي ، عبد الحميد : الإعجاز الصّرفي ، ٥٠ ، المطليبي : الزمن واللغة ، ٨٣ ، سخنيي ، هشام : نظام الفعل في اللغة ، ٢٢ ، حسان ، تمام : اللغة العربيّة معناها ومبناها ، ٢٤٠

ويرى د. عبد الله الهتاري أنّ البنية الصرفيّة لا تخلو من دلالة زمنيّة وإنّ كانت تحتاج إلى السياق ليضفي عليها دلالة إضافيّة يكتمل بها المعنى ، فلا تُلغى إحدى الدالّتين الأخرى ، ولا تُفَرِّغها من محتواها ، كما يظهر ذلك في قوله تعالى : ( أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ) النحل: ١ ، فالفعل ( أَمَى ) يفرض دلالة سياقيّة يقتضيهما المقام هي دلالة الاستقبال ، وهو في دلالاته الصّرفيّة يدل على المُضيّ ، إلا أنّنا لا نُفَرِّغ البنية الصّرفيّة للفعل ( أَمَى ) من دلالاتها الزمنية ، ولا نخضعها للسياق فقط لورود القرينة اللفّظيّة : ( فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ) ، ولو كان المراد ذلك لجاءت البنية صريحةً بقوله : ( سيأتي أمر الله ) ، وإنّما يُجمع بين الدالّتين الصّرفيّة والنحويّة بحيث لا تُلغى إحداهما الأخرى ، ولا تُفَرِّغها من محتواها ، لتدلّ الآية على أنّ أمر الله تعالى سيأتي لا محالة ، وهو أمرٌ مقطوعٌ به ، ولا محالة في مجيئه<sup>(١)</sup> .

ويرى الباحث - والله أعلم - أنّ النظر في البنية الصّرفيّة للفعل خاصّة في القرآن الكريم لأبد وأن يتّسق مع السّياق أو الدّلالة النحويّة ، أمّا الفصل بين الدالّتين فلا يليق في حقّ كلام الله تعالى القائم على الإعجاز ، وإنّما الفتوحات تأتي في حسن الاستنباط ، وملكة الجمع بين الدالّتين وتوجيههما . ولم يكن جهد القدامى منصباً فقط على اللفظة المفردة ، بل أوضحوا القرائن التي تضاف إلى الفعل ، وتحيط به ، وكيف ينتقل بها الفعل من معنّى إلى معنّى بشكل يجعله منسجماً مع حالات المتكلم وأزمته المتعددة ، ويظهر هذا جليّاً في كلام سيويوه ت(١٨٠هـ) حين قال : " إذا قال : ( فَعَلَّ ) ؛ فإنّ نفيه ( لَمْ يَفْعَلْ ) ، وإذا قال : ( قَدْ فَعَلَ ) ؛ فإنّ نفيه ( لَمَّا يَفْعَلْ ) ، وإذا قال : ( لَقَدْ فَعَلَ ) ؛ فإنّ نفيه ( مَا فَعَلَ ) ، لأنّه كأنّه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل . وإذا قال : ( هُوَ يَفْعَلُ ) ولم يكن الفعل واقعاً ؛ فنفيه : ( لا يَفْعَلُ ) ، وإذا قال : ( لَيَفْعَلَنَّ ) ، فنفيه : ( لا يَفْعَلُ ) كأنّه قال : والله ليفعلنّ ، فقلت : والله لا يفعل . وإذا قال : ( سوف

(١) يُنظر : الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ، ٤٠-٤١ ، الهتاري ، عبد الله : تحولات الأفعال في السياق القرآني ، ٧

يفعل ) ؛ فإنّ نفيه : ( لَنْ يَفْعَلَ )<sup>(١)</sup> . فهل من الحقّ والإنصاف أن يُقال بعد ذلك : إنّ أفعال اللغة العربية لا تُفصح عن الزّمان ، أو إنّ النّحاة الأوائل قسّروا في بحث هذا الموضوع ، ليس ذلك الظنّ بهم - والله أعلم - .

**أما التغيّر في البنية الصرفيّة للفعل** فذلك كائنٌ في القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة - كما سيأتي - وقد تنبّه الدارسون القدامى إلى سمة بارزة من سمات الكلام العربي هي : المراوحة بين الأساليب ، والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ، أطلقوا عليها مصطلحات عدة من أبرزها : العدول والالتفات أو ما يسمى بـ ( شجاعة العربية )<sup>(٢)</sup> ، ذلك أنّ في هذا الأسلوب جرأة بخروج الكلام عن استعماله العادي ، أو كسرًا للنظام اللّغوي النّمودجي على تعبير بعض الباحثين<sup>(٣)</sup> ، والمقصود بهذا التغيّر على تنوّع مصطلحاته : الانتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، أو من حالة إلى أخرى كأنّ ينتقل من خطاب الحاضر إلى الغائب ، ومن خطاب الغائب إلى الحاضر ، ومن خطاب المتكلم إلى المخاطب ، ومن المخاطب إلى الغائب ... إلى غير ذلك من صور الانتقال التي تعني التحوّل من صيغة إلى أخرى بما في ذلك التحوّل في بُنى الأفعال من الماضي إلى المضارع ، ومن المضارع إلى الماضي ... كلُّ ذلك تطريّةً للسامع ، وتجديدًا لنشاطه ، وصيانةً لخاطره من الملل والضجر<sup>(٤)</sup> .

وقد أفاد الباحث من جملة من الدّراسات التي عُنيت بتحليل الأثر الدلالي لصوّر تغيّر بنية الأفعال الصرفيّة بين القراءات القرآنيّة ، وكان من الصّحّها بموضوع الدّراسة ، وأقربها اعتناءً بالإشارات الدلالية ما يلي :

١. ( اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية ، توجيهه وأثره على المعنى ) لمنصور سعيد أبو راس ، تقدّم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة أمّ

(١) سيويه : الكتاب ، ١١٧/٣

(٢) يُنظر : ابن جني : الخصائص ، ٣٦٠/٢ ، ابن الأثير : المثل السائر ، ١٦٨/٢

(٣) يُنظر : بلقاسم ، دقّة : نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن ، ١١

(٤) يُنظر : الرازي : نهاية الإيجاز ، ١٧٢ ، السكاكي : مفتاح العلوم ، ٢٩٦ ، ابن أبي الأصبع : بديع القرآن ، ٤٢-٤٤

٤٤ ، العلوي : الطراز ، ١٣٢/٢ ، الزركشي : البرهان ، ٣١٤/٣ ، السيوطي : معترك الأقران ، ٢٨٦/١

القرى بمكة المكرمة للعام ١٤٢٦ هـ ، قَصَرَ الدِّراسةَ فيها على أوجه الاختلاف بين القراءات السَّبْعَ من طريق الشاطبيّة ، وجعلها في ثلاثة أبواب : الاختلاف في الأسماء - الاختلاف في الأفعال - الاختلاف في الأسماء والأفعال ، والباب الذي أُفيد منه في هذه الدِّراسة هو : الاختلاف في الأفعال حيث توزّع على ثمانية فصول : الاختلاف بين صيغ الثلاثي ، الثلاثي و مزیده بحرف ، الثلاثي و مزیده بحرفين ، مزيد الثلاثي بحرف ، صيغ مزيد الثلاثي بحرف وحرفين ، صيغ مزيد الثلاثي بحرفين ، الماضي والمضارع والأمر ، البناء للمفعول والفاعل . وكان إجمالي ما أورده في اختلاف الأفعال : الماضي ، والمضارع ، والأمر (ثمانية) نماذج ، لم تتوزّع على منهجيّة متناسقة يفيد منها الدّارسون ، واكتفى الباحث بإيراد الحجج والعَلل في توجيه الاختلاف كما هو معلوم من كتب القراءات ، مع إشارات طفيفة لأثر هذا الاختلاف على المعنى . ومع أنّ الباحث صرّح أنّ دراسته لم تتجّه للجانب الصّوتي ، إلا أنّ المنتبّع لفصولها ومباحثها يجد ميولاً بل وإشباعاً لبعض القضايا الصّوتية التي كانت على حساب البحث الدلالي ، كما في تناوله لقراءة : ( لِيَرَبُّوا وَلِيَتْرَبُّوا ) ، و ( عَسَيْتُمْ وَعَسَيْتُمْ )<sup>(١)</sup> ، كما يُلاحظ أنّ الرسالة توجّهت في الأعمّ الغالب إلى توجيه الاختلاف بين القراءات نحوياً و صرفياً مع إشارات قليلة في الجانب الدلالي .

وبحسب الباحث أنّ الدِّراسة التي قام بها توزّعت على منهجية يُفيد منها الباحثون في حصر صور التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية ودراسة الأثر المترتب على هذا التغيّر دلاليّاً وذلك بربط صورة التغيّر بالسياق ؛ كونه من خلاله يمكن فهم الدلالات المتعدّدة بتعدّد المقامات والسياقات التي تردُّ بها قراءة دون أخرى ، كما أنّ توسيع مجال الدراسة ليشمل القراءات الشاذّة بالشروط التي سبق إيرادها في مجال الدراسة وحدودها سيوسّع دائرة الحصر والاستقراء لصور تغيّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية ممّا يُسهّم في دراسة أكثر من نموذج وتحليله وصولاً لتذوّق جماليات النصّ القرآني ، وستقوم هذه

(١) يُنظر : أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع ، ١٢٨

الدراسة بتوظيف القضايا الصوتيّة - إن وردت في إحدى صور تغيّر بنية الفعل - في وصف الأثر الدلالي لهذا التغيّر .

٢. (تغيّر صيغ الأفعال بين القراءات القرآنيّة) د. عبد المحسن أحمد الطبطبائي ، بحثٌ نشرته حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة الصادرة عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت الحولية رقم (٢٧) ، الرسالة (٢٤٨) ، العام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ ، وهو بحثٌ لا يتجاوز خمسين صفحة ، ضمّته المؤلف أمثلة و نماذج ليست بالاستقصائية على تغيّر صيغ الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر ، وبين المعلوم والمجهول ، وبين اللازم والمتعدّي ، وقد أشار الباحث إلى فتح المجال أمام الباحثين لاستقراء هذا التغيّر واستقصائه ، من مثل قوله : " وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ دراستي هذه ليست دراسة استقصائيّة تحصي جميع ما ورد من تغيّر في صيغ الأفعال بين القراءات القرآنيّة ، إنّما هي استخلاصٌ لبعض الأمثلة من هذه القراءات <sup>(١)</sup> ، كما أنّ المؤلف لم يتطرق إلى وصف الأثر الدلالي لهذا التغيّر بين القراءات القرآنيّة ، وإن وجد فلم يعد أن يكون إشارات لم تُعن بدراسة السّياق ، ولا الأثر الدلالي لصورة التغيّر ، بل توجّهت في غالبيتها إلى توجيه القراءة نحوياً ، و صرفياً كعادة القدماء - رحمهم الله تعالى - .

وقد وُظّفت القراءاتُ القرآنيّةُ التغيّر بين أبنية الفعل الصرفيّة على نحو جميل ورائع يشهد بحلاوة القرآن الكريم وطلاوته ، وإعجازه ورفعته ، فاستثمرت كلّ ما جاءت به اللغة من أنماط هذه التغيّرات وصنوفها تيسيراً على الناطقين بها . ويلمس أثر هذا التغيّر القائم على إدراك أوجهٍ متنوّعةٍ من دلالات المعاني بحسب زيادة الأبنية الصرفيّة إمّا في الأفعال ، وإمّا في التغيّر في مواضع الحركات ، أو في تضعيف الحروف أو غيره . و يحوي التحوّل المختص ببنية الأفعال على معانٍ دقيقة ، وإشاراتٍ لطيفة ، وهو ما سيحصر الباحث فيه جهده مستقرّاً ما وقع من لطائفه ودقائقه بين القراءات القرآنيّة من صور التغيّر لأزمنة الفعل الثلاثة : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، الذي

(١) يُنظر : الطبطبائي ، عبد المحسن : تغيّر صيغ الأفعال بين القراءات القرآنيّة ، ٢١

" لا شكّ أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة ؛ إذ كلُّ عدول من صيغة إلى أخرى لا بدّ وأن يصحبه عدولٌ عن معنى إلى آخر ، إلا إذا كان ذلك لغة (١) .

ويظهر للمتأمل في دقائق هذا التغيّر ما استودعه الله تعالى من مكنون أسرارهِ ، وعظيم أنوارهِ في هذا الكتاب المعجز ، والحكمة التي اختصَّ الله تعالى بها كل قراءة بالبنية التي وردت بها ، لتكمّل كلُّ قراءة الأخرى من غير تعارض ولا تدافع ، ومن له معرفة بالقراءات فسيجد حلاوة في تذوّق مثل هذه الصُور ، وسيُمتِع نفسه بتأمّل تلك الدلالات .

وليس من نافلة القول بيان المراد بالسياق وأركانه ودوره في تحديد هذه الدلالة أو تلك ، إذ سيلحظ القارئ عند تحليل نماذج من صور تغيّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية الرّبط في غالب الأحيان بين صورة التغيّر ودلالات السياق في فهم الأثر المترتب على هذا التغيّر .

لقد انشغل الباحثون القدامى في مباحث حول اللفظ والمعنى ، وأيهما تكمن فيه البلاغة ؟ حتى غلب على بعضهم التّقسيم والتّبويب بما أخرج الكلام عن أغراضه ، وجعله أشبه ما يكون بتقاسيم رياضية ، لا علاقة للشّعور والوجدان بحال المتكلّم (٢) . والأصل أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة تكاملية - غرضها إفهام المتلقّي - يلتقيان تحت غطاء واحد اسمه ( السّياق ) ، والسّياق ليس معاني جزئية ، ولا جملا مستقلة بل هو طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلّم ، كما يُلاحظ فيه طريقة الأداء التي تُسلّك للتعبير عمّا في النّفس .

تدور مادّة السّياق في اللّغة على التّتابع والاتّصال ، قال ابن فارس ت(٣٩٥هـ) : " السين والواو والقاف أصلٌ واحد . وهو حدوُ الشيء ، يقال : ساق يسوقُ سوفاً . والسّيقة : ما استيق من الدّوابّ ويقال : سقتُ إلى امرأتي أي : صدّقتها ... " (٣) ،

(١) السامرائي ، فاضل : معاني الأبنية في العربية ، ٦

(٢) يُنظر : قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن ، ٢٩

(٣) ابن فارس : معجم مقاييس اللّغة ، ١١٧/٣

والسِّيَاق في الاصطلاح : " الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم أو حاله ، أو أحوال الكلام ، أو المتكلم فيه ، أو السامع " (١) . وقد عرّف العرب القدامى السياق وأهمّيته ، ووظّفوه في تحديد دلالة الكلام ولطائف إشاراته ، فعبروا بالمقام ، والحال ، ومقتضى الحال ، والقرائن اللفظيّة وغير اللفظيّة وغيرها ممّا كان تأسيساً لاكتمال النظرية السياقية عند المعاصرين ، ومن ذلك ما قرّره عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) في نظرية النظم من أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلمّ مفردة ، دون سبكِ يجمعها ، أو رابطٍ ينظمها ، وأنّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها (٢) ، ودائماً ما يؤكّد القدامى على أهميّة الترابط بين الكلام ليستقيم ويفهم ، ويستدلّون عليه بالقرائن التي تحفّ الكلام سابقة له أو لاحقة ، يقول الأنباري ت(٣٢٧ هـ) : " كلام العرب يصحّ بعضه بعضاً ، ويرتبط أوّله بآخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفانه ، واستكمال جميع حروفه " (٣) ، ودلالة البنية أو المفردة تبقى غامضة غير مفهومة ما لم ترد في سياق ، والسِّيَاق هو الذي يحسّنها أو يقبّحها ، وهو الحكم في توجيه الدلالة وتحديدّها ، يقول عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) : " فإنّك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلماً بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السّماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة إذا حسّنت حسّنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحقّت المزيّة والشرف استحقّت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك حالّها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لمّا اختلف بها الحال ، ولكانت إمّا أن تحسّن أبداً ، أو لا تحسّن أبداً " (٤) ، وقد احتلت نظريّة السِّيَاق أهميّة في الدراسات اللغوية المعاصرة حتى عدّها د.تمام حسّان كبرى القرائن النحوية (٥) التي بها يتبيّن المعنى المراد لنمط الكلام وتراكيبه ، والباحث لا يهدف في هذا التمهيد إلى دراسة السِّيَاق بتفاصيل نظريّاته

(١) الشتوي ، فهد: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي ، ٢٧

(٢) يُنظر : الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، ٤٦

(٣) الأنباري ، محمد : الأضداد ، ٢

(٤) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، ٤٦

(٥) يُنظر : حسّان ، تمام: البيان في روائع القرآن ، ٢١٢



وأسسه وأركانه فقد كتب فيه جملة من الباحثين في الدّراسات الحديثة بما يُغني<sup>(١)</sup> ، إلا أنّ الباحث يحاول توظيف السيّاق من خلال شبكة العلاقات اللغوية والبيانية القائمة بين الألفاظ والمعاني في فهم صورة التغيّر التي يقوم بدراستها للوصول إلى تحديد المعنى المراد وفهم الدلالة المقصودة ، ويتحتّم على من عزم النّظر في مثل هذه الدّراسات القرآنية الاعتناء بالسيّاق القرآني وإلا اعتور الدّراسة النّقص والتّريب .

يقوم السيّاق على أربعة أركان<sup>(٢)</sup> :

- الغرض من الكلام .
- معرفة حال المتكلّم .
- معرفة حال السّامع .
- ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه سواءً أكانت المفردات ، أم هيئة الكلمة وتصريفها واشتقاقها ، أم نظم الجمل وعلاقتها ببعض . والنّاقد البصير هو من يُجري هذه الأركان مجتمعة في فهم مدلولات النّص ليصل من خلالها إلى الغرض المراد من الخطاب ، ويستخرج زمام ما فيه من دقيق المعاني وخفيّ الإشارات .

وتكمن أهميّة توظيف السيّاق في القراءات القرآنيّة فيما يلي :

#### ١ . تضعيف القراءة أو ردّها :

وهذا فيما إذا كانت القراءة من قبيل القراءات الشاذّة ، والقول بتضعيفها أو ردّها إنّما يكون من جهة القراءة بها ؛ كونها لم تصح نسبة ثبوتها إلى النبي ﷺ ، أمّا الاحتجاج لها وبها لغويّاً فسيرد في أثناء البحث جواز ذلك . مثال ذلك قراءة : ( قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعُهُ قَلِيلاً ) البقرة : ١٢٦ ، بلفظ الأمر ( أَمْتَعُهُ )<sup>(٣)</sup> على أنّه من تمام دعاء إبراهيم عليه السلام . قال ابن كثير ت(٧٧٤هـ) " وتركيب السياق يأبى معناها - والله أعلم - فإنّ الضمير في قال راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور

(١) منها على سبيل المثال : دلالة السياق ، للطلحي ، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام : فهد الشتوي ، السياق وأثره في الدرس اللغوي : إبراهيم محمود خليل ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : عبد الفتاح البركاوي .

(٢) يُنظر : الشتوي ، فهد : دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي ، (٣١-٧) .

(٣) قرأ بها ابن عباس ومجاهد ، يُنظر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٢٠٤/١ .

، والسياق يقتضيه ، وعلى هذه القراءة الشاذّة يكون الضمير في قال عائد إلى إبراهيم عليه السلام ، وهذا خلاف نظم الكلام ، والله سبحانه هو العلام <sup>(١)</sup> .

## ٢. الترجيح بين معاني القراءات :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠ ، <sup>(١)</sup> ، قال ابن عطية ت(٥٤٢هـ) " والقراءة بالتخفيف يؤيدها أنّ سياق الآيات إنّما هو إخبارٌ بكذبهم <sup>(٢)</sup> . والترجيح بين معاني القراءات واردٌ إنّ كان من باب مقابلة المتواتر بالشاذّ ، أمّا الترجيح بين القراءات المتواترة فمنهجٌ لا يرتضيه الباحث ، ولا شكٌ أنّ من الدلالات المحيطة بهذه القراءات ما يكتنفه الغموض ، ويدقُّ فهمه وإدراكه عن الخاصّة فضلاً عن العامّة . يقول النحاس ت(٣٣٨هـ) : " والسّلامة من هذا عند أهل الدّين ألاّ يقال : إحداهما أجود من الأخرى ؛ لأنّهما جميعاً من عند النبي صلى الله عليه وآله ، فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله يُكفرون مثل هذا <sup>(٤)</sup> .

## ٣. تحديد أسلوب الكلام حين يخالف ظاهره المقصود :

مثل قوله تعالى : ﴿ تَوَمَّنْ يَا أُولِيَ الْاَلْبَابِ اللَّهُ يَبْتَلِيكُمْ ﴾ الصف: ١١ . قرأ العشرة <sup>(٥)</sup> بالمضارع : ( تَوَمَّنُونَ وَتَجَاهِدُونَ ) ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بالأمر : ( آمِنُوا وَجَاهِدُوا ) <sup>(١)</sup> وهي قراءة شاذّة . جاءت القراءة بالمضارع : ( تَوَمَّنُونَ وَتَجَاهِدُونَ ) على أسلوب الإخبار وهو خلاف المقصود من الآية التي غرضها الحثُّ على الإيمان والجهاد والأمر بهما ؛ إلا أنّ إخراج الأمر بهذه الصورة من الخبر ، وبما تعضده القراءة الأخرى - ولا بأس من الاستئناس بها ولو كانت شاذّة - جاء مخفّفاً من

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣٠/١ : ٤٣٠

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو عمرو ( يَكْذِبُونَ ) بضم الباء وفتح الكاف وتشديد الـذال مكسورة ، وقرأ الباقون ( يَكْذِبُونَ ) بفتح الباء وسكون الكاف وتخفيف الـذال مكسورة يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ١٤٣ ،

(٣) ابن عطية : المحرر الوجيز ، ٩٢/١ ،

(٤) النحاس : إعراب القرآن ، ١٢١٧ ،

(٥) سيأتي التعريف بالقراءة العشرة ، ومعنى التواتر والشاذ عند الحديث عن تعريفات أساسية في القراءات ، ينظر : ص ٢٧ من هذه الدراسة .

(٦) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذّة ، ٢٢٩ ،

طبيعة التكليف ، فقد أرادت القراءة من خلال هذا الأسلوب تجنّب لغة الأمر خطاب المؤمنين المجاهدين ، الذين صحبوا النبي ﷺ ، ملاطفة وتحبباً لهم ؛ ليكون أدعى للتطبيق والاستجابة ، لذا خاطبهم الله تعالى بالإخبار وأراد الأمر .

هكذا برزت أهميّة السياق في تحديد دلالة قراءة عن أخرى ، وسيُتضح الأمرُ بجلاء أكثر حال مناقشة النماذج لصور تغيّر البنية الصرفيّة للأفعال بين القراءات القرآنية .

بهذا يكون الباحث قد بيّن - فيما يأمل - معنى البنية الصرفيّة التي سيتناولها بالبحث والدراسة ، ومعنى الفعل الذي سيدرس بُنيته ، وكيف يكون التغيّر في بنية الفعل باختلاف القراءات القرآنيّة الواردة فيه . وأهميّة السياق في إكساب هذه القراءات دلالات معيّنة تبعاً لغرض المتكلم من الخطاب ، ولحاله وألفاظ خطابه ، وتتمّة لهذا التمهيد يتعيّن على الباحث الحديث عن القرآن والقراءات : تعريفها ، ونشأتها ، وأثرها على الدلالة والمعنى كونها وعاء الدّراسة ومحتواها ، وسيكون الحديث عن ذلك بشيء من الإيجاز بما تقتضيه مصلحة الدّراسة كمدخل يدلّف الباحث من خلاله إلى الكلام عن صور التغيّر الزمني لبنية الفعل في القراءات القرآنية ، وأثر هذا التغيّر على المعنى .

### \* تعريف القرآن الكريم ، والقراءات القرآنية :

القرآن لغة : مصدر ( قرأ ) بمعنى : تلا ، كالرجحان والغفران<sup>(١)</sup> ، وإصطلاحاً : كلام الله تعالى ، المنزل على الرسول ﷺ ، المنقول إلينا بين دفتي المصحف ، على الأحرف السبعة المشهورة ، نقلاً متواتراً<sup>(٢)</sup> .

أما القراءات لغة : فجمع قراءة ، وهي : مصدر ( قرأ ) ، يقال : قرأ يقرأ قراءةً ، وقرآناً بمعنى : ( تلا )<sup>(٣)</sup> ، وإصطلاحاً : هي : علمٌ بكيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها ، معزواً لناقله<sup>(٤)</sup> . نزل بها جبريل الأمين عليه السلام ، على محمد ﷺ ، وتلقّتها

(١) يُنظر : مصطفى ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ، ٧٢٢/٢

(٢) يُنظر : الغزالي : المستصفى ، ٩/٢ ، الشوكاني : إرشاد الفحول ، ١٦٩/١

(٣) يُنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٣٥٦٣ . مادة ( قرأ )

(٤) يُنظر : الزركشي : البرهان ، ٣١٨/١ ، ابن الجزري : منجد المقرئين ، ٤٩

عنه الأمة بالسند المتّصل ، وعليه فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنيّة مفردة ، أو كلمة دون الرجوع إلى ضابط السند والرواية . كما أنه ليس لأحد أن يقرأ بلغته كما شاء ، ولو كان الأمر كذلك لوجد في القرآن الكريم العيوب الحاصلة من لهجات العرب ، التي كان يتجنّبها الفصحاء ، كالكشكشة ، والعنونة ، والفحفة<sup>(١)</sup> .

ولمّا ترتّب على هذه القراءات من صحة الاستدلال للمسائل الشرعيّة واللغويّة ؛ اشترط علماء القراءات شروطاً ثلاثة يحكم من خلالها على القراءة بالصّحة والقبول ، أو بالردّ والبطلان ، وهذه الشروط هي<sup>(٢)</sup> : **الأول** : ثبوتها بالنقل الصحيح ، **الثاني** : موافقة الرّسم العثماني ، **الثالث** : كونها غير خارجة عن لسان العرب .

**فاشترطهم ثبوت القراءة بالنقل الصحيح** ؛ لأنها في طبيعتها نقل محض ينقلها الآخر عن الأول ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد ، وهو دعامة هذا العلم ، وركنه الرّكين ، وهذا سرّ امتناع كثير من أئمة القراءة عن قراءتهم بالقياس الذي " ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ، ولا ركنٌ وثيقٌ في الأداء يُعتمد عليه "<sup>(٣)</sup> ، وقد أكّد هذا المعنى سيبويه ت(١٨٠هـ) حين بيّن أنّ أخذه بالقياس في القراءات لا يمنع من التصريح في كتابه بأنّ القراءة سنّة متّبعة ، لا تُقرأ بالقياس ، ولا مجال فيها للاجتهاد والرأي وإنّ كان مثل ذلك سائغاً في اللغة العربية ، أو في وجه من وجوهها ، يقول : " فأما قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ، فإنّما هو على قوله : زيّداً ضربته - وهو عربيّ كثيرٌ - وقرأ بعضهم : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ ﴾ فصلت : ١٧ ، (بفتح الدال من ثمود) ، إلا أنّ القراءة لا تُخالف ؛ لأنها السنّة "<sup>(٤)</sup> .

(١) الكشكشة : قلب كاف التانيث شيئاً ، فيقال في (عليك) : (عليش) ، العنونة : قلب الهمزة عيناً : تقول : (عن توسّمت) بدلا من (أن توسّمت) ، الفحفة : قلب الحاء عيناً ، (عتى حين) بدلا من (حتى حين) ، يُنظر : شاهين ، عبد الصبور : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ٩

(٢) يُنظر : المهدي : بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ، ١٤٩ ، ابن الجزري : النشر ، ١٥ ،

(٣) ابن الجزري : النشر ، ٢١

(٤) سيبويه : الكتاب ، ٨٣/١

وفي موافقة خطّ المصحف اشترطوا أن تكون الموافقة للرّسم العثماني ولو تقديراً ؛ لأنّ الموافقة إمّا أن تكون : تحقيقيّة<sup>(١)</sup> ، أو تقديريّة<sup>(٢)</sup>. وبقيام هذا الشرط انعقد إجماع الصحابة ﷺ على ترك ما خالف هذا الرّسم من قراءات أحاديّة السند ، لا يقطع بقرآنيّة شيء منها ، وما صحّ سنده منها فإمّا أن تكون مما نسخت تلاوته ، أو ممّا تحمّل طابع التفسير ، وعليه تحمّل القراءات التي خالفت الرّسم العثماني ، كقراءة ابن مسعود ﷺ (٣٢هـ) ، وابن عباس ﷺ (٦٨هـ) وأبيّ بن كعب ﷺ (٣٠هـ) وغيرهم .

وأما كونها غير خارجة عن لسان العرب ؛ فلا يشترط لقبول القراءة أن تكون موافقة لأفصح الوجوه في اللغة العربية ، بل متى وافقت القراءة وجهاً من وجوه اللغة المجمع عليها ، أو المختلف فيها اختلافاً لا يضرّ ، وثبتت عن الأئمة وجب قبولها . وعليه فلا يعدّ إنكار النحاة لقراءة ما سبباً في ردّها أو القدح فيها ، فاللغة لم تنحصر في قواعد البصريين ولا الكوفيين ؛ بل هي عربيّة محضة ، منها تستنبط قواعد النحو واللغة ، وهي المعولّ عليها في الاستدلال والاستشهاد ، قال الدّاني ت(٤٤٤هـ) : " وأئمة القراءة لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفسى في اللغة ، والأفيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النّقل والرّواية " (٣) ، ويأتي هذا الشرط ليخفف من وطأة الخلاف بين النّحويين والقراء ، فالقراءة الصّحيحة المتواترة لا يمكن أن تخالف اللسان العربي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الشرط أضاف بُعداً جديداً هو موافقة العربية ولو بوجه ، وهذا يجعلها لا تتأثر بكون الوجه ضعيفاً من جهة اللغة ، ما دام أنّ القراءة متواترة ، كما يفتح الباب أمام الاحتمالات النّحوية متعدّدة الدّلالة التي تحمّل عليها القراءة .

(١) كقراءة حمزة والكسائي وخلف (فتتّبوا) في قوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَنَبَّأْ﴾ الحجرات: ٦ من التثبّت ، وقرأ باقي العشرة (فتتّبوا) من التّبيين ، يُنظر : مكي بن أبي طالب : التّبصرة ، ٢٤٣ ، ابن الجزري : النشر ، ٥٤٧ ، شعبان محمد : رسم المصحف وضبطه ، ٢٧ .

(٢) كقراءة ﴿تَلِيكَ يَوْمَ تَلِيكَ﴾ الفاتحة: ٤ ، فإنّها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف ، والقراءة بـ (تالِك) توافق الرّسم تقديراً ، لأنّ الكتابة تحتملها لخلوها من النّقط والشكل ، يُنظر : ابن الجزري : منجد المقرّنين ، ٨٠ .  
(٣) نقلا عن : السيوطي : الإتقان ، ١/٢١١ ، ولم يجد لها الباحث أصلاً في جامع البيان للدّاني .

وتُقسّم القراءات باعتبار توافر شروطها إلى (١) : المتواترة (٢) ، والآحاد (٣) ، والشاذة (٤) **فمن المتواترة قراءات الأئمة العشرة** : ابن عامر ت (١١٨هـ) ، وابن كثير ت (١٢٠هـ) ، وعاصم ت (١٢٧هـ) ، وأبي جعفر المدني ت (١٢٨هـ) ، وأبي عمرو ت (١٥٤هـ) ، وحزمة ت (١٥٦هـ) ، ونافع ت (١٦٩هـ) ، والكسائي ت (١٨٩هـ) ، ويعقوب الحضرمي ت (٢٠٣هـ) ، وخلف ت (٢٢٩هـ) .

**ومن الآحاد** : ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه ت (٣٥هـ) وابن محيصن ت (١٢٣هـ) أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : ( مُتَكِنِينَ عَلَى رِقَافِ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ ) (٥) .

**ومن الشاذة** : قراءة : ( فَالْيَوْمَ نُنْحِيكَ بِيَدِنَا ) (٦) ، وربما تبادر إلى الذهن عند سماع مصطلح ( القراءة الشاذة ) نبذها جملةً وتفصيلاً ؛ بسبب ما يحمله لفظ الشذوذ من حساسية ، بينما المعمول به عند جمهور العلماء جواز قبولها في تفسير النصوص ، واستنباط الأحكام ، والعمل بمدلولها إذا كانت مقبولة من جهة السند ، كما أنه يُستأنس بها في معرفة بعض وجوه التفسير ، والكشف عن كثير من الظواهر اللغوية القديمة فهي حجة على العربية ، كما يجوز قبولها في الاستدلال بها كشواهد تستنبط منها القواعد اللغوية ؛ لأنها أوثق من أبيات شعر مجهولة القائل (٧) .

(١) يُنظر : ابن عقيلة ، المكي : الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، ١١٢/١ - ١٤٥ ، محمود فروخ : القراءات الشاذة عند الأصوليين ، ٢٨ ، ولعلماء القراءات أكثر من تقسيم يبحث في مظاته .

(٢) ما تواتر سندها - والتواتر ما رواه عشرة فأكثر - ، ووافقت الرسم ، و العربية ، وهذه القراءة يجب اعتقاد قرأتيتها ، ويقرأ بها في الصلاة .

(٣) ما صحّ سندها لا على سبيل التواتر ، وخالفت الرسم أو العربية ، ولا تعدّ قرآناً ، ولا يُقرأ بها في الصلاة .  
(٤) ما اختلّ فيها ركن أو أكثر من أركان القراءة الصحيحة - على تفصيل في كتب القراءات - ، ولا تعدّ قرآناً ، ولا يُقرأ بها في الصلاة أو في غيرها تبعداً ، وأقرب ما يقال عنها : إنها من باب التفسير .

(٥) يُنظر : الكرمانى محمد بن محمد : شواذ القراءات ، ٤٦١ ، القاض ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ، ٨٦ ، الطبري : جامع البيان ، ١٦٥/٢٧ ، القراءة المتواترة : ( مُتَكِنِينَ عَلَى رِقَافِ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ ) الرحمن : ٧٦

(٦) قرأ بها اليزيدي وابن السميع ، يُنظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٤/٨ ، والقراءة المتواترة : ( فَالْيَوْمَ نُنْحِيكَ بِيَدِنَا ) يونس : ٩٢

(٧) يُنظر للاستزادة : آل إسماعيل ، نبيل : علم القراءات ، ٤١ ، هاشم ، محسن : نظرات في شروط القراءات وحجيتها لغة وشرعاً ، ص ٢٤٧-٢٦٥

## \* نشأة القراءات القرآنية :

نزل القرآن الكريم منجماً ، أي : مفزّحاً على النبي ﷺ طيلة ثلاث وعشرين سنة - راففته في ذلك القراءات القرآنية - في مدّة كافية لتثبيتته في قلب النبي ﷺ ومن معه ، ولترسيخ قواعده وأحكامه . وكان ﷺ يُقرئهم الآيات خمساً خمساً ، فلا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يتقنوها ، ويتعلموا ما فيها من الإيمان والعمل ، وفق منهج سلوكيّ فريد في بابه ، كان ﷺ يقرأ القرآن على مسامعهم في الصلوات وغيرها ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ ، قَالَ : " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ " (١) ، وكان ﷺ يدفع بالمتعلّمين إلى المتقنين من قراء الصحابة ليعلّموهم : فعن عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْغُلُ ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِمَّنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ " (٢) ، وكان ﷺ يستمع لقراءتهم ، ويفضّ بينهم الخلاف المترتب على اختلاف تلقّيهم عنه ﷺ : فعمر بن الخطّاب ﷺ ، يَقُولُ : " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أُفْرُوهُمَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأْنِيهَا ، وَكَدْتُ أَنْ أُعْجَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى أَنْصَرَفَ ، ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِنِيهَا ، فَقَالَ لِي : أَرْسِلْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اقْرَأْ ، فَقَرَأَ ، قَالَ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ ، فَقَرَأْتُ ، فَقَالَ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ ، إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَفْرَعُوا مِنْهُ مَا تَيْسَّرَ " (٣) ، ثمّ تنافس الصحابة ﷺ في أخذ القرآن الكريم ، وقراءته ، وإقراءه ممّا كان له عظيم الأثر على حياتهم السلوكية ، وبلغ بهم الشغف أن جعلوه مهوراً لنسائهم وبناتهم ، واشتهرت طائفة منهم بالقراءة والإقراء أطلق عليهم لقب ( القُرّاء ) ، حفظوا القرآن الكريم ، واتّصلت أسانيدهم بالقراءات الصحيحة ، وأخذ عنهم من بعدهم عرضاً (٤) ، واختلفت القراءة فيما

(١) أخرجه النسائي : كتاب الافتتاح ، القراءة في المغرب بالطور حديث (٩٨٨) ، ص ١٣٧

(٢) أخرجه أحمد : مسند عبادة بن الصامت ، حديث (٢٢١٥٤)

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، حديث (٢٤١٩) ، ص ٣٨٩

(٤) الذهبي : معرفة القراء الكبار ، ١/١٢٥

بينهم تبعًا لما تلقّوه عن رسول الله ﷺ ما بين مستنقلٌ ومستكثرٌ ، ومن هنا تشكّلت الملامح الأولى لهذا العلم ، وبدأت وجوه القراءة المختلفة تأخذ طريقها في الرواية ، ومسارها في النقل .

وبرز دور الصديق ﷺ جليًا في هذه المرحلة بأن جمع القرآن الكريم بعد أن استحرّ القتل بحفاظ القرآن من صحابة رسول الله ﷺ ، وكان ذلك بمشورة من عمر بن الخطاب ﷺ ت(٢٧هـ) ، وبإجماع من الصحابة رضي الله عنهم<sup>(١)</sup> ، ثم جاء الدور على عثمان ﷺ ت(٣٥هـ) حيث هاله اختلاف الناس في القراءة ، وتعدّد الأوجه التي يقرؤون بها اختلافًا كاد يودي بهم إلى التنازع والافتتال ، كما جاءت الرواية في ذلك عن حذيفة بن اليمان ﷺ ت(٣٥هـ) عند أبي داود<sup>(٢)</sup> ، فهبّ ﷺ فجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ يتوافق مع ما كان في العريضة الأخيرة هو المصحف الإمام ، وأرسل بنسخ من هذا المصحف إلى المدن المشهورة حينذاك : مكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، - وقيل اليمن والبحرين - ، وأبقى مصحفًا عنده في المدينة ، وأرسل مع كل مصحفٍ مقرئًا توافق قراءته قراءة أهل ذلك البلد ، وحمل الناس على تلك المصاحف ، وأمر بإحراق ما عداها ، حفاظًا على وحدة الكلمة ، وقطعًا لمادّة الخلاف والفرقة ، وأبقى عثمان ﷺ إطار القراءة في نطاق ضيق هو نطاق الموافقة ، سواء تحقيقًا أم تقديرًا على ما سبق بيانه في شروط القراءات<sup>(٣)</sup>.

وتعدّد مرحلة ابن مجاهد ت(٣٢٤هـ) مرحلة حاسمة في تاريخ القراءات لما أضافه لهذا العلم من ناحيتين : الأولى : فكرة تحديد القراءات بسبع قراءات متواترة واستبعاد ما عداها ، وجمع قراءاتهم في مؤلف واحد هو ( السبعة ) . والثانية : اكتمال شروط القراءات بإضافة شرط موافقة العربية إضافة إلى شرطي صحّة السند ، وموافقة الرسم اللدّين كان العمل بهما من عهد عثمان ﷺ (٣٥هـ) ، فاكتملت بذلك الشروط الثلاثة

(١) يُنظر القصة كاملة : السمرقندي : كشف الأسرار ، ٤٠٥-٤٠٦ ، السخاوي : جمال القراء ، ١٦١

(٢) يُنظر : أبوداود : كتاب المصاحف ، ٢٠٥/١ - ٢٠٦

(٣) يُنظر : الأشوح : إعجاز القراءات القرآنية ، ٥٢ ، المهدي : بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ، ١٨٤



لقبول أيّ قراءة ، ثمّ صار الاحتجاج للقراءات ظاهرة من الظواهر التي أُفردت فيها التآليف ، ومن أشهر ما كتب في هذه المرحلة : ( الحجّة في القراءات السبع ) لابن خالويه ت(٣٧٠هـ) ، و( الحجّة في علل القراءات ) لأبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) ، وفي هذه المرحلة تميز صحيح القراءات من شواذها ، وظهرت بعض المؤلفات في القراءات الشّواذ والاحتجاج لها كـ ( المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها ) لابن جنّي ت(٣٧٢هـ) ، وبذلك استقرّ هذا العلم وتنوّعت التآليف فيه إلى يومنا هذا ، إمّا بإفراد كل قراءة على حدّ ، أو بذكرها مجتمعة

### \* أثر القراءات على الدلالة والمعنى :

يتلمسُ الباحث هنا شيئاً من الأسرار والحكم المترتبة على الاختلاف بين القراءات القرآنية ، بهيئة إشارات تلقي الضوء على أثر القراءات على الدلالة والمعنى ، ومنها :

#### أ. اللهجات العربية التي حوت مظاهر صوتية من طبع اللغة :

حفظت لنا القراءات القرآنية كمّاً من اللهجات العربية لتحافظ عليها ، ولتشر القبايل العربية بقربها من القرآن الكريم وانضوائها تحت لوائه ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرِينَ ﴾ طه: ٦٣<sup>(١)</sup> ، خُرِجت هذه القراءة بأكثر من وجه ، ومن تلك الأوجه : أنّها على لغة بني الحارث بن كعب الذين يلزمون المثني بالألف في كل حال<sup>(٢)</sup> ، فتمثّلت هذه القراءة وغيرها سجلاً للظواهر الحيّة ، كما أنّها حافظت على المأثور من طبائع اللسان العربي .

#### ب. ما نأخي فيه قراءة حجة لقول بعض أهل العربية :

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الْغَيْبُونَ وَالْأَرْحَامَ ﴾ النساء: ١ ، فقراءة حمزة<sup>(٣)</sup> حجة لمن استدللّ من أهل العربية على جواز أن يكون العطف على موضع الجار و المجرور ، و المعنى : تساءلون به و بالأرحام ، ومن جعل الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد لم يجوز هذا

(١) قرأ العشرة عدا حفص وابن كثير وأبي عمرو بتشديد النون ( إن هذان ) بالألف ، يُنظر : ابن الجزري : النشر ، ٨٩٦

(٢) يُنظر : ابن هشام : مغني اللبيب ، ٥٧/١

(٣) بخفض ( الأرحام ) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٢٢٦

العطف ، وخرَجَ جرّاً ( الأرحامِ ) في القراءة السّابقة على أنّه مجرورٌ بالقسم ، أو بباءٍ مقدّرة غير ملفوظٍ بها<sup>(١)</sup> .

**ج. ما نفيه القراءة لأكثر من دلالة ومعنى** : ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَكَهَمَّ

عَدَابُ أَيُّمًا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠ في الآية قرأتان <sup>(٢)</sup> ، فقراءة التخفيف تفيد : كذبهم وعدم صدقهم في أقوالهم وأفعالهم ، فلا يجد الصدقُ إليهم سبيلاً ، بل طريقهم الذي يسرون عليه هو الكذب ، وأمّا قراءة التشديد فأفادت تكذيبهم للرسول ﷺ في كلّ ما يبلغه عن ربه جلّ في علاه .

وبعد الحديث عن القراءات القرآنية وبعض المسائل المتعلّقة بها سيناقش الباحث في الفصول القادمة الصور المترتبة على تغيّر بنية الفعل الصرفية بين القراءات القرآنية في الماضي ، والمضارع ، والأمر ، ويحاول أن يبيّن - بإذن الله تعالى - ما أضافته هذه الصور من أثر على الدلالة والمعنى ، سالكاً في سبيل ذلك تحليل بعض النماذج التطبيقية ودراستها بما يشهد أنّ هذه القراءات إعجاز بديع لا تمتلك النواصي إلا أن تتفاد لروعنها ، وتكامل دلالاتها .

(١) يُنظَر : الأنباري ، أبو البركات : الإنصاف في مسائل الخلاف ، ٣٧٤

(٢) عاصم والكسائي وحزمة بفتح الباء وسكون الكاف وكسر الذال مخففة ( يَكْذِبُونَ ) والباقون بضم الباء وفتح الكاف وتشديد الذال ( يَكْذِبُونَ ) ، يُنظَر : الداني : التيسير ، ٢٢٥

# الفصل الأول

التغير من الفعل الماضي إلى  
المضارع والعكس ، ودلالة ذلك

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغير من الفعل  
الماضي إلى المضارع ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغير من الفعل  
المضارع إلى الماضي ، ودلالته



## المبحث الأول :

التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، وذلك لأنه



## توطئة :

الفعل يدل على الحدوث والتجدّد ، والاسم على الاستقرار والثبوت ، ولا يحسُن وضع أحدهما موضع الآخر<sup>(١)</sup> ، والتفريق بين هاتين الدالّتين عائداً إلى الزّمن ، فارتباط الفعل بالزّمن وثيقٌ على خلاف الاسم ، ولو تأمّلت الفعل الماضي لرأيت له ارتباطاً بالزّمن الماضي ، وكذلك المضارع ارتباطه بالحال أو المستقبل ، في حين أنّ الاسم غير مرتبطٍ بزمن لذا لزمته صفة الثبوت والاستقرار ، يقول عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) : " الاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء ، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به تجدّده شيئاً بعد شيء"<sup>(٢)</sup>.

كثيراً لا يجري السياق القرآني - بما في ذلك سياق القراءات القرآنية - على نمطٍ واحدٍ من المطابقة الزمنية بين الأفعال ، فحين يسترسل في نسقٍ معيّنٍ نَفْجاً بعدولٍ والنفاتٍ إلى سياقٍ آخر ، ممّا يثير الدهشة ويحرك الذّهن لاستنباط أسرار هذا العدولٍ وبلاغته السّياقية . ولعلّ أهم ما يميز هذا الالتفات عُصْران : الحركة ، والمفاجأة<sup>(٣)</sup> . ومن صور التغيّر الحاصلة في هذا السياق : التغيّر في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع .

يحمل الفعل الماضي الدلالة على أزمنة متعددة ، منها : الماضي المطلق<sup>(٤)</sup> ، والمنقطع<sup>(٥)</sup> ، والقريب<sup>(٦)</sup> ، وغيرها - ليس هذا محلّ بسطها-<sup>(٧)</sup> ، ولا شك أنّ التغيّر الحاصل في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع يُحدِث دلالاتٍ متعدّدة ، ويؤسبُ السياق مسافاتٍ جديدة في ضوئها يفهم النصّ القرآني .

(١) يُنظر : الزركشي : البرهان ، ٦٦/٢ ، السيوطي : الإتقان ، ٣١٦/٢ ، السامرائي ، فاضل : معاني الأبنية في العربية ، ٩

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، ١٧٤

(٣) يُنظر : عودة ، مجدي : النظم القرآني في سورة هود ، ١٧٥

(٤) أي الزمن الذي مضى قبل زمن التكلم قريباً ، مثل : ( قال إني تبت الآن ) أو بعيداً مثل : ( خلق الله السماوات )

(٥) أي حصل مرة ولم يتكرر ، كأن يقع خيراً لـ ( كان ) ، قال تعالى ( ولقد كانوا عاهدوا الله )

(٦) إذا صُنّر بـ ( قد ) ، نحو : قد حضر خالد

(٧) يُنظر : السامرائي ، فاضل : معاني النحو ، ٢٦٧/٣-٢٧٩

إنّ الحديث عن صورة التغيّر في القراءات القرآنيّة تُحدِث في النّفس نشاطاً ينقل القارئ والسّامع إلى دائرة التركيز ، والتفاعل بحيوية تامّة مع ما يسمع ويقرأ من أوجه الانتقال بين قراءة وأخرى . إضافة إلى ما يتفقّ عن هذا التغيّر من قيم بلاغية ، وما وجود به هذا الأسلوب من لمسات بيانية تسهم في ثراء النّص القرآني وتنوّع دلالاته .

والتغيّر الحاصل في بنية الفعل بين القراءات القرآنيّة من الماضي إلى المضارع يكون على نوعين : نوعٌ يُستعمل للدلالة على حدث مضى وانقضى ، ونوعٌ آخر يُستعمل للدلالة على حدث يقع في الحال ، والاستقبال<sup>(١)</sup> ، فمن الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ البقرة: ٧٠ بقراءة الفعل الماضي : ( تَشَابَهَ ) ، بالمضارع : ( تَشَابَهُ )<sup>(٢)</sup> حيث حملت قراءة الماضي ( تَشَابَهَ ) : دلالة التخبُّط والحيرة التي عاشها هؤلاء القوم بحثاً عن هذه البقرة التي طلبها منهم نبيهم موسى عليه السلام ، وهو أمرٌ مضى وانقضى سلفاً ؛ لما أفادنا إيّاه وجّه التغيّر من القراءة بالماضي : ( تَشَابَهَ ) إلى المضارع : ( تَشَابَهُ ) ، وقوله تعالى بعدها : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٧٠ ، يُظهِرُ جَوْ التخبُّط والضلال ، الذي كانوا فيه . ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ محمد: ٢٥ ، حملت القراءة بالمضارع ( أَمَلَى )<sup>(٣)</sup> دلالة الحدث المستمر ، فإنهم ما داموا في غيِّهم وضلالهم وكفرهم وشقاقهم ؛ فإنّ الله تعالى يُمَلِّي لهم ، ويُمَهِّلهم في أعمالهم استدراجاً . يقول الطيبي ت(٧٤٣هـ) : " وقد يوضع المستقبل موضع الماضي ، إمّا لاستحضار الصورة الماضية في مشاهدة السامع حتى كأنه ينظر إلى فاعلها حال وجود الفعل فيتعجّب لها ، وإمّا لإرادة استمرار وجود الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً"<sup>(٤)</sup> . وفي استعمال أحد الفعلين : الماضي ، أو المضارع موضع صاحبه في هذه القراءات إحضارٌ لصورة الفعل ، وتجسيدٌ لأحداثه ، فالفعل

(١) يُنظر : الهتاري ، عبد الله: الإعجاز البياني في العُدول النحوي السياقي ، ٤٢

(٢) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ٢١ ، الكرمانى ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ، ٦٥

(٣) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٦٠٠ ، ابن الجزري : النشر ، ٣٦٤

(٤) الطيبي : التبيان في البيان ، ٣٣

الماضي لا يكون معه عنصر التخيّل واسعاً ؛ ذلك أنه فعلٌ مضى وانقضى ، وربّما لا تُستحضر معه الصورة أو تتكرّر ، ولمّا أنْ تتغيّر لغةُ الخطاب إلى المضارع ؛ تأتي الصّورة واضحة جليّةً ، حتى كأنّ السامع يشاهدها من دقتها التصويرية ، ووضوحها الفني<sup>(١)</sup> .

وفي إيراد الماضي بهذه الصورة إثارةً للهيبة في النفوس ، وإيقاظاً للإصغاء ، وتسريعاً لوتيرة الخطاب وهو أبلغ في شحذ همّة السامع والقارئ وتطرية نشاطهما ، يقول ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) : " فإن قيل إنّ الفعل الماضي أيضاً يتخيّل منه السامع ما يتخيّله من المستقبل ، قلتُ في الجواب : إنّ التخيّل يقع في الفعلين معاً ، لكنّه في أحدهما وهو المستقبل أوكّد ، وأشدُّ تخيلاً ؛ لأنّه يستحضر صورة الفعل حتى كأنّ السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه ... وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ؛ لأنّه لا يتخيّل السامع منه إلا فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدالّ عليه "<sup>(٢)</sup> .

وقد وقف الباحث من خلال استقراء بنية الفعل الماضي بين القراءات القرآنية - مستعيناً بالمعاجم المتخصصة في هذا الباب<sup>(٣)</sup> - على ( اثنين وعشرين ) أنموذجاً<sup>(٤)</sup> للتغيّر من بنية الفعل الماضي إلى المضارع ، ( ستّة ) نماذج منها من القراءات المتواترة ، وما تبقى يعدّ من القراءات الشاذة ، سيورد الباحث حصراً بمواضعها في ملاحق الدّراسة .

وسيتناول الباحث ( ستّة ) نماذج من مجمل ما تمّ استقراؤه في هذه الصورة من التغيّر لبنية الفعل : ( أربعة ) من القراءات المتواترة ، و( نموذجين ) من الشاذة ، فيما ارتأى - في حدود علمه القاصر - أنّ لهذا التغيّر أثراً على الدلالة والمعنى ، ، ولن

(١) يُنظر: بدوي ، أحمد : من بلاغة القرآن ، ٨٩ ،

(٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٨٣/٢ ،

(٣) يُنظر مثلاً : عمر ، أحمد مختار ، و مكرم ، عبد العال : معجم القراءات القرآنية . الخطيب ، عبد اللطيف : معجم القراءات .

(٤) يُنظر : ملاحق الرسالة

يتطرق الباحث عند تحليله هذه النماذج إلى توجيه القراءات نحوياً إلا فيما يكشف اللثام عن الآية ، ويبيّن المعنى دون الخوض في غمار الخلاف وتوجيهات العلماء ؛ إذ المراد بيان الأثر الدلالي لهذا التغيّر . كما أنّ القارئ قد يلحظ أنّ بعض النماذج التي تناولها الباحث يشترك فيها التغيّر الزمني للفعل مع تغيّر في بنيته من المعلوم إلى المجهول ، والعكس ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ السجدة: ١٧ ، فكان لزاماً على الباحث ألا يُغفل دلالة بناء الفعل للمعلوم ، أو للمجهول في دراسة وتحليل هذه النماذج إثراءً للألفاظ ، وتحقيقاً للإعجاز .

وفيما يلي تحليل لبعض الأفعال الواردة على هذه الصورة من التغيّر مرتبّة حسب ورودها في المصحف :



## ١. ﴿ تَشَبَّهَ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ

﴿ البقرة: ٧٠

## ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة<sup>(١)</sup> : ( تَشَابَهَ ) فعلاً ماضياً .
- قرأ الحسن ، ويحيى بن يعمر ( تَشَابَهَ ) بضم الهاء ، فعلٌ مضارعٌ محذوف التاء أصله ( تتشابه ) ، ماضيه ( تَشَابَهَ ) .
- قرأ المطوعي وابن مسعود ( يَشَابَهُ ) بالياء التحتيّة ، وتشديد الشين ، على أنه فعل مضارع .
- قرأ الأعرج ( تَشَابَهُ ) بضم الهاء ، وتشديد الشين ، وروي هذا الوجه كذلك عن الحسن<sup>(٢)</sup> .

## ❖ معاني القراءات ونوجيها :

صورة التغيّر الحاصلة هنا من الماضي : ( تَشَابَهَ ) إلى المضارع : ( تَشَابَهُ ) ، و ( يَشَابَهُ ) ، ( تَشَابَهُ ) . وسيتناول الباحث دلالات تغيّر الفعل : ( تَشَابَهُ ) إلى : ( تَشَابَهُ ) نموذجاً على هذه الصورة .

- تَشَابَهُ : بضم الهاء مضارع أصله ( تتشابه ) ، فحذفت التاء تخفيفاً .
- يَشَابَهُ : بالياء التحتيّة ، والتشديد للشين ، والضمّ للهاء ، وهو على تنكير البقر ، قال الزّجّاج ت(٣١١هـ): " وما كان مثل بقرة وبقر ، ونخلة ونخل ، وسحابة

(١) سبق ليراد أسمائهم ، ص٢٧ من هذه الدّراسة .

(٢) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ٢١ ، ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن ، ١٤ ، الكرمانى ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ، ٦٥ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ١٧٣/١ ، القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ، ٣٠

وسحاب ؛ فإنّ العرب تذكره وتؤنّثه ، فتقول هذا بقر وهذه بقر ، وهذا نخل وهذه نخل . فمن ذكر ؛ فلأنّ في لفظ الجمع أن يعبّر عن جنسه ...<sup>(١)</sup> ، وعلى هذا تحمّل قراءة ( يشابهه ) ، ويشهد لها قراءة يحيى بن يعمر : ( إنّ الباقر يشابهه ) ، جعله فعلاً مستقبلاً ، وذكر البقر وأدغم<sup>(٢)</sup> .

- تشابهه : الأصل فيه ( تتشابه ) أدغمت التاء في الشين لقرب مخرج التاء من الشين ، والمعنى : " إنّ جماعة البقر تتشابه علينا " <sup>(٣)</sup> .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

يراد بالتجدّد في الماضي : الحصول ، أمّا المضارع فالمراد : أنّ من شأنه أن يتكرّر ويقع مرة بعد أخرى<sup>(٤)</sup> ، وبهاتين الدالّتين تفسّر صورة التغيّر من الماضي إلى المضارع .

- ( تشابهه ) الماضي يفيد : وقوع التشابه على بني إسرائيل في معرفة نوع البقرة وجنسها التي طُلبَ منهم ذبحها ، ووقوع هذا التشابه له ما يبرره :

- فالبقر الموصوف بما ذكر في الآية كثير ؛ فاشتبه عليهم من هذا الوجه .

- كما أنّ التشابه مشهور في البقر ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، أنّه قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ ، فَذَهَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ الشَّرِّ ، وَجَاءَ بِالْخَيْرِ عَلَيَّ يَدِيكَ ، فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ : " نَعَمْ " ، قَالَ : مَا هُوَ؟ قَالَ : " فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةٌ كَوُجُوهِ الْبُقَرِّ ، لَا تَدْرُونَ أَيًّا مِنْ أَيِّ " <sup>(٥)</sup> ، أي : يشبه بعضها بعضًا .

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١٥٤/١ - ١٥٥

(٢) يُنظَر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١٨٧/٢ ، السيوطي ، قطف الأزهار ، ٢٧٠/١

(٣) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١٥٥/١

(٤) يُنظَر : السيوطي : الإتقان ٣١٨/٢

(٥) أخرجه ابن حنبل ، أحمد : مسند العشرة المبشرين بالجنة ، حديث ( ٢٢٧١٨ )

- وهذا التّشابه عقوبة من الله تعالى جزاء ما اتّصفوا به من التّكوير في الاستجابة ، وصفاقة القول ولجاجته ، واختلاقهم الأعدار ، وتعنّتهم في طلب الآيات ، فـ " كلُّ بقرة لا تصلح عندهم أن تكون آية لما علموا من ناقة صالح وما كان فيها من العجائب ، فظنوا أنّ الحيوان لا يكون آية إلا إذا كان على ذلك الأسلوب ، وذلك لما نبّئوا أنّها آيةٌ سألوها عن ماهيّتها ، وكيفيّتها ، ولذلك لم يسألوا موسى عن ذلك بل سألوها أن يسأل الله لهم عن ذلك" (١) . وتلك المعاني دليل تعنّتهم في الطلب ، وتمحلّهم الأعدار واختلاقها بغيّة التملّص والتّهرب من التطبيق .

- وأفادت القراءة بالمضارع ( تَشَابَهُ ) استمرارية هذا التّشابه عليهم ، وحيرتهم في تنفيذ مراد الله ، ولا أدلّ على ذلك من التّشديد الذي حملته بنية الفعل ، ويشهد لهذا : طلبهم الهداية من الله تعالى اعترافاً بذنبهم ، وتأكيدهم على ذلك بحرفي التأكيد : ( إن ) ، و ( اللام ) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٧٠ .

وبما أنّ التّفشّي قوة للشين ، يصدّر انتشار الحدث واتّساع مداه (٢) وذلك - والله أعلم - أعطى دلالة نفسية عند النطق بالفعل ( تَشَابَهُ ) أوحى بجوّ التخبّط والتّشابه الذي كانوا يعيشونه ، وامتلاء الفم بصوت الشين ، نلمس معه امتلاء نفوسهم وحرّجها بوقوع هذا التّشابه عليهم الذي اتّسم بسمتين : الانتشار المأخوذ من صفة التّفشّي ، والقوّة المأخوذة من تضعيف الشين ومدّ الصوت بحركة الفتح الطويلة بعده .

لقد حملت كلّ قراءة دلالة ناسبت السّياق الذي وردت به ، كما أكسبت المعنى جمالاً في خطّ تصاعديّ يبيّن حالتهم الأولى من وقوع التّشابه وحصوله أفادتنا إيّاه القراءة بالماضي ، ثم ازدياده واستمراره الذي أفادتنا إيّاه القراءة بالمضارع ، لتكون كلّ قراءة مكملّة للأخرى في المعنى ، متمّمة لها في البيان والإعجاز .

(١) أبو حيان : البحر المحيط، ١/٤١٨

(٢) يُنظر : أعا ، طه : التوجيه اللغوي للقراءات عند الفراء ، ٨٥ ، بلقاسم ، دقّة: نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن ، ص ١٠

## ٢. ﴿ تَطَوَّعَ ﴾ : في موضعين :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ١٥٨

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ البقرة : ١٨٤

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ حمزة والكسائي في الموضعين ، ويعقوب في الموضع الأول : ( يَطْوَعُ ) بالياء ، وتشديد الطاء ، وإسكان العين ، فعلٌ مضارع .
- وقرأ الباقون ( تَطَوَّعَ ) بالتاء ، وتخفيف الطاء ، وفتح العين ، فعلٌ ماضٍ<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراءتين و توجيهيهما :

قراءة حمزة ، والكسائي ، ويعقوب - في الموضع الأول عنه - بالياء وتشديد الطاء وإسكان العين ( يَطْوَعُ ) فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بـ ( مَنْ ) الشرطية ، وأصله : ( يَتَطَوَّعُ ) قلبت التاء طاءً ، ثم أدغمت الطاء في أختها فصارت : ( يَطْوَعُ ) . قال أبو زرعة ت(٤٠٣هـ) : " ومعناه الاستقبال ، لأنّ الكلام شرطٌ وجزاء ، فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ هود : ١٥"<sup>(٢)</sup> ، والمعنى إن كان على الاستقبال ، والشرط والجزاء - كما هذه القراءة - فالأحسن فيهما الاستقبال .

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ١٧٢ ، ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ، ٢٦٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ١٦٢ ، الداني : التيسير ، ٢٣٤ ، القرطبي ، عبد الوهاب : المفتاح في اختلاف القراءة السبعة ، ١٢٢ ، الثنّاش : البذور الزاهرة ١/١٤٧ ، السفاقي : غيث النفع ، ١٠١ ،

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ، ١١٨ ،

وَنُصِبَ : ( خيراً ) على تقديرين :

- إمّا على حذف الجار ، تقديره : وَمَنْ يَطَّوِّعْ بِخَيْرٍ .
- أو يكون نعتاً لمصدر مضمر ، تقديره : وَمَنْ تَطَّوَّعَ تَطَوُّعًا خَيْرًا .

أمّا قراءة الجمهور بالماضي ( تَطَوَّعَ ) فتحتمل أمرين :

- الأول : أن تكون ( مَنْ ) للشرط ، والفعل في موضع جزم بها ، والفاء وما بعدها ( فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ ) في موضع جزم ؛ لوقوعها موضع الفعل المجزوم الذي هو جزاء .

- الثاني : ( مَنْ ) بمنزلة ( الذي ) فلا يكون الفعل حينئذٍ للجزاء ، ولا موضع له ، ويبقى فعلاً ماضياً على بابه<sup>(١)</sup> .

والمعنى معنى الجزاء ، وإن لم يكن الفعل مجزوماً به ، قال أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) : " لأنّ الفاء إذا دخلت في خبر الموصول ؛ آذنت أنّ الثاني وجب لوجوب الأول ، والنكرة الموصوفة في ذلك كالأسماء الموصولة ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ، تقديره : ما ثبت بكم من نعمة ، أو ما دام بكم من نعمة ؛ فمن ابتداء الله إياكم بها ، فسبب ثبات النعمة ابتداءه بها ، كما أنّ استحقاق الأجر إنّما هو من أجل الإنفاق في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَيْتِلٍ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٢٧٤<sup>(٢)</sup> ، ولازم هذا أنّ استحقاق الشكر من الله تعالى إنّما هو بملازمة باب التطوّع والطّاعة .

(١) يُنظَر : مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن ، ٥٦ ، العُكْبَرِي : التبيان في إعراب القرآن ، ١١٥/١-١١٦ ، الباقولي : كشف المشكلات ، ٢٤٧

(٢) الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ٨٢/٢

## ❖ أثر القراءتين على المعنى :

ذهب الإمام الطبري ت(٣١٠هـ) إلى أنّ القراءتين غير مختلفتين في المعنى ، وحبّته في ذلك أنّ الماضي مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل<sup>(١)</sup> ، فأفادت القراءتان عنده التطوّع بالخير في المستقبل ، ويظهر للباحث - والله أعلم - بمزيد تأمل في دلالة كلّ قراءة وموقعها من السياق أنّ التغيّر الحاصل في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع أكسب المعنى أثراً ملموساً اصطبح بلفتةً جماليةً . فلو راجعنا مادة ( طَوَّعَ ) في المعاجم ، وهي ذات المادة التي اشتقّ منها الفعل لرأينا أنّ : الطَّوَّعُ هو : الانقياد ، و يضادّه : الكَرَهُ ، قال تعالى : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت: ١١ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسَلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ آل عمران: ٨٣ ، وقد طَاعَ له ، يَطْوَعُ ، وَأَطَاعَهُ يُطِيعُهُ ، والتطوّع في الأصل : تكلف الطّاعة ، وهو في العُرف : التبرُّع بما لا يلزم كالنَّفْل<sup>(٢)</sup> .

ونجد أنّ لفظ الماضي : ( تَطَوَّعَ ) أخفُّ من لفظ المستقبل : ( يَطْوَعُ ) الذي تلزمه الزيادة ، والإدغام ، والتشديد<sup>(٣)</sup> ، ولَمَّا جَمَعَ الماضي بين خفة اللَّفْظ ، ومعنى المستقبل - على ما تمّ بيانه في توجيه هذه القراءة - ؛ حسّنه وجعله مناسباً لمقام الآية الكريمة ، ولَمَّا حُمِلَتْ ( مَنْ ) في هذه القراءة على وجهين : إمّا شرطية والماضي بمعنى المستقبل ، والفعل في موضع جزم بها ، وإمّا موصولة بمعنى الذي ، والخبر ( فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ ) ؛ أصبح المعنى : أنّ من فعل خيراً قبل نزول الآية ؛ قُبِلَ منه ، ومَنْ يَفْعَلُ خَيْرًا بعد نزولها ؛ يَقْبَلُ منه<sup>(٤)</sup> .

(١) يُنظَر : الطبري : جامع البيان ٢٧٤/٣

(٢) يُنظَر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ، ٥٢٥ ، السمين : عمدة الحفاظ ، ٢٢٢/٢

(٣) يُنظَر : بخيت ، إبراهيم : وجوه التعدد لبناء الكلمة في القرآن ، ٢٠٢

(٤) يُنظَر : الملاحى ، عبد الله : تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران ، ١١٥ ، عطية ، هديل ، المنيراوي ، يوسف: أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن ، ١٠٠

ولمّا ثقلت بنية المضارع بالزيادة والإدغام والتشديد على بنية الماضي ؛ اقتضى ذلك زيادة في المعنى ، وكلّما طرأت زيادة على اللفظ ؛ ازداد المعنى بما يحمله من دلالات وتفرّعات تناسب هذه الزيادة ، قال ابن جنّي ت(٣٩٢هـ) : " الأصوات تابعة للمعاني ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم : قَطَعَ وَقَطَعَ ، وكَسَرَ وكَسَرَ ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه " (١) .

ولمّا أفاد المضارع التجدّد والاستمرار ، وتكرار الحدث مرّة بعد أخرى ؛ كان المعنى إخباراً من الله تعالى أنّ من فعل خيراً تطوّعاً لله فهو خيرٌ له ، وأراد سبحانه بفعل العباد لهذا الخير أن يلازموه ، ويكلّفوا أنفسهم المداومة عليه حتى مع حصول المشقّة والثقل المستوحى من بنية المضارع .

وقد حكم بعض الباحثين<sup>(٢)</sup> أنّ القراءة بالماضي ( تَطَوَّعَ ) أبلغ وأفصح ؛ لمّا دلّت عليه صيغة الماضي من إفادة تحقّق وقوع الحدث ، وهي أعمّ من المضارع في وقوع الفعل قبل ذلك الزمن وبعده .

والباحث يرى أنّ يتجاوز مرحلة المفاضلة بين القراءات ، والحكم بأنّ هذه القراءة أفصح من تلك أو أبلغ منها ؛ ذلك أنّ كلّ قراءة مناسبة لسياقها الذي وردت به ، فالقراءة بالماضي ( تَطَوَّعَ ) على بناء ( تَفَعَّلَ ) الذي يفيد حصول أصل الفعل مرّة بعد مرّة<sup>(٣)</sup> ناسب سياق الحثّ على فعل الطاعة والمداومة عليها في جميع مراحل الحياة ، كما أنّ القراءة بالمضارع أفادت التأكيد على ملازمة الطاعة والحرص عليها . ولمّا أفاد الفعل ( تَطَوَّعَ ) الإخبار عمّن تطوّع فيما مضى ، ومن يتطوّع مستقبلاً ؛ جاءت القراءة بـ ( يَطَوَّعُ ) على الاستقبال لتوكّد هذا المعنى ، ولم يكتفَ بقراءة

(١) ابن جنّي : المحتسب ، ٢١٠/٢

(٢) يُنظَر : عيسى ، محمد : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ، ٢٢٠

(٣) يُنظَر : التفاتاني : شرح مختصر التصريف ، ٣٩

( يَطْوَعُ ) حتى لا يُظَنَّ : أنّ من تطوع فيما مضى خارج عن هذا<sup>(١)</sup> ، فكانت كل قراءة مكملّة للأخرى .

ويكرر النسق التصاعديّ الذي سبق وأن أشار إليه الباحث عند الحديث عن صورة التغيّر من الماضي : ( تَشَابَهَ ) إلى المضارع : ( تَشَابَهُ ) ، فَبِتَعْنَتِ بني إسرائيل ولِجَاهِهِمْ في تطبيق أوامر الله تعالى بذبح البقرة حُرِّمُوا التَّعَرُّفَ عَلَيْهَا لِلتَّشَابِهِ الحاصل بين البقر ، فلَمَّا زاد عنتمهم ، وتكرّر سؤالهم زاد التَّشَابَهُ عليهم في نسق تصاعديّ بديع من ( تَشَابَهَ ) إلى ( تَشَابَهُ ) ، ويكرر ذات الأمر هنا . فبالنظر إلى بنية الفعل المضارع ( يَطْوَعُ ) نرى فيه حركةً وكَلْفَةً ناشئتين عن قلب التاء طاءً ، حيث أنّ أصل الفعل ( يَنْطَوِعُ ) ، ثمّ أدغمت الطاء في أختها ، ثمّ شدّدت ، وهذا الجو من الحركة والكَلْفَةُ أوحى بكلفة الطاعة ابتداءً ، وتقلّها على النفوس ومشقّتها ، مصداقاً لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " <sup>(٢)</sup> ، ولمّا أنّ يألفها الإنسان ، ويداوم عليها وتصير جزءاً من حياته ؛ يسهل أمرها عليه ممّا يفيد حَفَّتْها على نفسه ، وهذا ما عبّر عنه بالماضي ( تَطَوَّعَ ) ، فاستمرّ تصاعد النسق من ( يَطْوَعُ ) الموحى بالكَلْفَةُ والمشقّة إلى ( تَطَوَّعَ ) ذي اليسر والسهولة ، كما كان الأمر عليه في ( تَشَابَهَ ، وَتَشَابَهُ ) .

وختام الآية : ( فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ) جاء مؤكّداً أنّ طاعات العباد مقبولة عند الله تعالى تنال منه الرضى والمكرمة ورفعة الدرجات ، وهي واقعة موقع القبول بأيّ صورة وقعت من الصور التي أفادتها القراءتان الكريمتان ، والله أعلم .

(١) يُنظَر : الجبلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص (١٣٤ - ١٣٥)

(٢) رواه مسلم : كتاب الجنّة وصِفَةِ نعيمِهَا وأهلِهَا ، حديث (٥٠٥٥)



### ٣. ﴿ وَأَدْخِلَ ﴾ :

في قوله تعالى ﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

حَلِيلِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ إبراهيم: ٢٣

#### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة ( أُدْخِلَ ) فعلٌ ماضٍ مبني للمفعول .
- قرأ الحسن ، وعمرو بن عبيد ( أُدْخِلُ ) برفع اللام على أنه فعل مضارع ، أي : أُدْخِلُ أنا ، وهي قراءة شاذة<sup>(١)</sup>.

#### ❖ معاني القراءتين و توجيهيهما :

يُحْتَمَلُ على القراءة ببناء الماضي للمفعول ( أُدْخِلَ ) أن يكون الفاعل : المولى تبارك وتعالى ، أو الملائكة<sup>(٢)</sup> ، وقد حَمَلَتِ القراءة صورة التغيّر من الماضي إلى المضارع ببناء الفعل للفاعل ( أُدْخِلُ ) بهمزة المتكلم أي : أدخل أنا ، والضمير عائذٌ لله تعالى . ويبرز إشكالٌ على قراءة الحسن ، وعمرو بن عبيد مفاده : بم يُعَلَّقُ : ( بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) في الآية ؟ فلو عُلِّقَ بالفعل ( أُدْخِلُ ) لأصبح المعنى : أدخلهم أنا بإذن ربهم ، وهذا غير ملتئم ، وللعلماء في توجيه هذا التعليق مذاهبٌ : فمنهم من علّقه بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ إبراهيم: ٢٣ ، فيكون المعنى : الملائكة يحيونهم بإذن ربهم قال بذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ)<sup>(٣)</sup> ، وردّه أبو حيان ت(٧٤٨هـ) لأنّ فيه تقديمًا لمعمول المصدر المنحلّ بالفعل وبحرف مصدري عليه ، فـ ( تَحِيَّتُهُمْ ) مصدر مضاف إلى الضمير . وعليه يجوز أن يكون الضمير للمفعول أي : تحيّيهم الملائكة ،

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ١١١ ، ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ، ٧٢ ، الكرمانى ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ، ٢٦٠ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ٧٣٥/١ ، القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ، ٥٨ .

(٢) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٤١٠/٥ .

(٣) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف ، ٥١٨/٢ .

ويجوز أن يكون الضمير للفاعل أي حيِّي بعضهم بعضًا<sup>(١)</sup> . ومنهم من علَّق بـ ( خَالِدِينَ )<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من علَّق بحال محذوف تقديره : ( ملتبسين )<sup>(٣)</sup> . وأيًا كان تقدير التعليق ؛ فإنَّ الذي يعني الباحث هو بيان أثر القراءتين على الدلالة بما لا يُحدث تعارضًا أو تناقضًا .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

تمثل الآية مشهدًا من مشاهد يوم القيامة المتَّسم في عموم أوصافه بالمفاجأة ، والدهشة والتحوُّل والتغيُّر ، وبالنظر في سياق الآيات قبلها نقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ إبراهيم: ٢١ . إنَّ المشهد الرئيس في الآية هو الانتقال والتحول : " انتقالٌ لوصف حال المؤمنين يومئذٍ بمناسبة ذكر حال المشركين ؛ لأنَّ حال المؤمنين يومئذٍ من جملة الأحوال المقصودة بالوصف إظهارًا لِنفاوت الأحوال ، فلم يدخل المؤمنون يومئذٍ في المنازعة والمجادلة ؛ تنزيهاً لهم عن الخوض في تلك الغمرة ، مع التنبيه على أنَّهم حينئذٍ في سلامة ودعة"<sup>(٤)</sup> . ولمَّا أخبر تعالى عن حال أهل الجنة وهم أهلُّ للفضل والنَّعيم ؛ أراد أن يُكرِّمهم بصور متنوعة لبلوغ اللذة ، واستكمال النَّعمة ، فمن جملة ذلك النَّعيم : إكرامهم ببساتين تجري من تحتها الأنهار ، ماكين فيها أبدًا لا يتحوَّلون عنها ولا يتبدَّلون ، تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، مسلِّمة عليهم بالأمان والإقامة الدائمة ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٤ ، وقد صُدِّر هذا النَّعيم ببيان صفة دخولهم الجنة وهيئتهم ، إذ أفادت قراءة الماضي ( أُدْخِلَ ) الاحتفاء بأهل الجنة ، والتفخيم للموقف الذي يقفونه ، وكان المدخِل لهم الله تبارك وتعالى ، أو

(١) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٤١٠/٥

(٢) يُنظر : الزمخشري : الكشاف ، ٥١٨/٢

(٣) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٩٨/٧

(٤) ابن عاشور : التحرير والتوير ، ٢٢٢/١٣

ملائكته الكرام ، ويؤيّد مشهد الاحتفاء هذا قوله : ( بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) ، ولم يقل بإذني تعظيمًا وتفخيمًا ، قال ابن جنّي ت(٣٩٢هـ) : " أعاد ذكر الربّ ليضيفه إليهم ، فنقوى الملابس باللفظ ، فيكون أحنى وأذهب في الإكرام ، والتقريب منه لهم " (١) .

وأفادت قراءة الحسن ( أدخلُ ) وجهًا آخر للنعيم تمثّل في إظهار المولى تبارك وتعالى نفسه بلفظ المتكلم ممّا يربي في النفوس الهيبة ، ويُسْتَحْضِرُ معه كمال القدرة والإنعام له تعالى على الصّالحين من عباده بتولّيه شأن إدخالهم الجنّة بذاته العليّة ، كما يُشعر كذلك أنّ إدخالهم الجنّة لم يكن بواسطة ، بل من الله تعالى مباشرة منّة له عليهم (٢) ، وفي إضافة الفعل إليه سبحانه مزيد تشريف وتكريم لهم إذ يشعرهم بالتربية والاعتناء والاصطفاء القائم على متابعة شؤونهم وتنوّع أحوالهم حتى يستقرّوا في دار كرامته ، كما يراعى المعلّم شأن تلاميذه ، والأمّ أولادها والله تعالى المثل الأعلى .

وعليه فلا تعارض بين القراءتين ، فقد حملت كل قراءة صورة من صور النعيم الذي يناله أهل الجنّة حال دخولهم ، سواءً أدخلوها بأمر الله تعالى لهم بالدخول ، أو بأمر الله ملائكته بإدخالهم ، أو كان الفعل مسندًا لله تبارك وتعالى ، فقد تعاضدت تلك المعاني في إظهار العناية بهذه الثلّة من أهل الجنّة والاهتمام بهم ، ويظهر بمزيد تأمل في المعنى الذي حملته القراءتان الإذن الخاصّ من أمر القضاء العام ، فأمر الله تعالى لهم بالدخول عامّ ، أخصّ منه أمر الله تعالى ملائكته بإدخالهم ، أخصّ منه إسناد الفعل له تبارك وتعالى ، ليستمرّ ما كان أشار إليه الباحث - والله أعلم - من دور النسق التصاعديّ الناشئ عن تغيّر بنية الفعل بين القراءتين في إحداث التفاعل مع الموقف ، والخروج عن المألوف ، والمعاني لتفاصيل الحدث ودقائقه .

(١) ابن جنّي : المحتسب ، ٣٦٣/١

(٢) يُنظر : محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ١٨١ ، الزغلول ، محمد : الالتفات في القراءات القرآنية ، ص ٧

## ٤. ﴿وَنَزَّلَ﴾:

في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَشْفِقُ السَّمَاءَ بِالْغَمِّ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ الفرقان: ٢٥

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير (نُزِّلَ) بضمّ النون ، وكسر الزاي مشدّدة ، وفتح اللام ماضٍ لم يسمّ فاعله ، ورفع (الملائكة) نائباً للفاعل .
- وقرأ ابن كثير (نُزِّلُ) بضم النون الأولى ، وسكون الثانية ، وكسر الزاي مخففة ، وضم اللام ، مضارع (أُنزِلَ) ، ونصب (الملائكة) مفعولاً به<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراءتين و توجيهيهما :

قراءة الجمهور : (نُزِّلَ) ماضٍ لم يُسمّ فاعله من : (نَزَلَ) ، وقد قيّد بالمصدر : (تَنْزِيلًا) الموافق للفظ الفعل ، فإنَّ (تَنْزِيلًا) لا يكون إلا مصدر (نَزَلَ) ، أمّا قراءة ابن كثير (نُنزِلُ) فمضارع ، من (أُنزِلَ) ، وأجراه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه ، وكان من حقّ المصدر أن يأتي بعد هذه القراءة على (إنزال) ، ويرى أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) أنّ (أُنزِلَ) و (نَزَلَ) يجريان مجرى واحداً ، وبالتالي أُجْرِيَ مصدر أحدهما على الآخر ، يقول : "التنزيل مصدر (نَزَلَ) ، فكما أنّ في بعض الحروف (وأُنزِلُ الملائكة تنزيلاً) ؛ لأنّ أنزل مثل نُزِّلَ . كذلك قرأ ابن كثير : (ونُنزِلُ الملائكة تنزيلاً) ، وفي التنزيل : ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المزمل: ٨ ، فجاء المصدر على فعّل ، ولو كان على تبتّل لكان تبتّلاً ... فأماً

(١) يُنظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ٤٦٤، الداني: التيسير، ٣٨٧، ابن خلف: الاكتفاء في القراءات السبع، ٢١٨، العكبري: إعراب القراءات الشواذ، ١٩٨/٢، أبو شامة: إبراز المعاني، ٦١٨، ابن الجزري: النشر، ٦٠٥، الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر، ٣٠٨/٢

(نُنزِلُ الملائكةَ) نصبًا ، والمعنى في (نُنزِلُ الملائكةَ) و (نُزِلَ الملائكةُ) واحدٌ<sup>(١)</sup> .  
ووافقهُ السَّمِينُ ت(٧٥٦هـ)<sup>(٢)</sup> ، وابن أبي مريم ت(٥٦٥هـ)<sup>(٣)</sup> .

وقد فرّق الراغب الأصفهاني ت(٤٢٥هـ) بين دلالتيّ كلِّ من (أُنزِلَ) و (نَزَلَ) خاصة حينما يردان في السياق القرآني ، قال : " والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة : أنّ التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرّقًا ، ومرّة بعد مرّة ، والإنزال عامٌّ ، فمِمَّا ذُكِرَ فيه التنزيل قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ الشعراء: ١٩٣ ، وقرئ : (نَزَلَ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ الإسراء: ١٠٦ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ الحجر: ٩ ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ ﴾ الزخرف: ٣١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٨ .<sup>(٤)</sup> ، ويتّضح من كلامه الفرق بين دلالتيّ الفعلين : (فَنَزَلَ) إنّ وردت في سياق الحديث عن القرآن الكريم ؛ فتفيد نزوله مفرّقًا منجمًّا حسب الأحداث والوقائع ، وأشارت الآيات السابقات إلى هذا المعنى ، أمّا (أُنزِلَ) فتفيد الدلالتين : نزوله جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر: ١ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴾ الدخان: ٣ ، أو نزوله مفرّقًا بنفس الدلالة التي يحملها (نَزَلَ) . وذكر د. أبو موسى أنّ هذا التفريق ليس محلّ اتفاق بين الأئمة<sup>(٥)</sup> .

إنَّ (فَعَلَ) ومنه (نَزَلَ) يفيد : التّكثير غالبًا<sup>(٦)</sup> ، ومن مقتضيات تكثر الفعل أنّ يستغرق وقتًا أطول يفيد ثلثًا وتمكّنًا ، ورأى بعض الباحثين التّكثير من جهة الكيفيّة

(١) الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ٧١/٤

(٢) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٤٧٦/٨

(٣) يُنظر : ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ، ٥٧٠

(٤) الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ، ٧٩٩-٨٠٠

(٥) يُنظر : أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني ، ٢١٠

(٦) يُنظر : الاسترأبادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٩٢/١ ، التفتازاني : شرح مختصر التصريف ، ٣٧

لا الكميّة<sup>(١)</sup> ، وسيتعرّض الباحث لهذا الرأي عند حديثه عن أثر القراءتين على الدلالة والمعنى . ومن دلالات استعمال البنية ( فَعَلَ ) : الاهتمام والمبالغة<sup>(٢)</sup> ، وعليه قد يستعمل التنزيل فيما هو أهمُّ وأبلغ من الإنزال . ومن لطيف ما وقع نظرُ الباحث عليه في دلالاتي الفعلين أنَّ ( تنزِيل ) : مصدر : ( نَزَلَ ) كانت تعني في صدر الإسلام : ( الهندسة ) ، كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب : ( البكریات في توجيه مفردات الآيات )<sup>(٣)</sup> ، مستأنساً بقصة أوردها صاحب كتاب ( أخبار عمر رضي الله عنه ) نصّها : " وكتب عمر رضي الله عنه إلى سعد رضي الله عنه بأن يدعو صاحب التنزيل ( أي : رئيس فرقة الهندسة في الجيش ) أبو الهَيَّاج بن مالك ، فيأمره أن يحدد لهم خطط المدينة ، وأن يجعل فيها مناهج ( أي شوارع ) بعرض أربعين ذراعاً ، وما يليها ثلاثين ، والصغيرة منها عشرين ، وأن يجعل فيها أزقةً ، الزقاق سبعة أذرع ، وليس دون ذلك شيء ، وشرعوا في بناء المدينة "<sup>(٤)</sup> . وبالرجوع إلى استعمال المعاجم لمادة ( نَزَلَ ) نجد الإشارة إلى ذلك ، يقول ابن فارس ت(٣٩٥هـ) : " والتنزيل : ترتيب الشيء ، ووضعه منزله <sup>(٥)</sup> ، وفي لسان العرب : " التنزيل : الترتيب "<sup>(٦)</sup> .

ويحصل مما سبق أنَّ : دلالات الفعل ( نَزَلَ ) تختلف عن ( أَنْزَلَ ) لا سيّما إن ورد بها السياق القرآني ، فمن الدلالات التي يحملها ( نَزَلَ ) :

- التدرُّج والتكرار وأنه يقع مرّة بعد مرّة ؛ لأجل التضعيف في بناء الفعل .
- التّكثير ، وذلك بأن يستغرق عدداً ووقفاً أطول مما يستغرقه ( أَنْزَلَ ) .
- الاهتمام والمبالغة ، ومراد ذلك إلى السياق الذي يرد به الفعل .
- التّرتيب والتّنظيم .

(١) يُنظر : حسون ، رضا : الصيغة العامة المزيدة في القرآن الكريم ، ص ١٢  
(٢) يُنظر : ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ٤٦٠ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ٦٦  
(٣) يُنظر : البكري : البكریات في توجيه مفردات الآيات ، ٤٢  
(٤) الطنطاوي ، علي والطنطاوي ، ناجي : أخبار عمر ، ١٢٢  
(٥) ابن فارس : مقاييس اللغة ، مادة ( نزل ) ، ٤١٧/٥  
(٦) ابن منظور : لسان العرب ، مادة ( نزل ) ، ٤٣٩٩

أما ( أنزل ) فالأصل فيه العموم ، إذ قد يفيد التدرّج والتكرار كما في ( نزل ) ، وقد لا يفيد ، وقيل : إنّ ذلك هو الأكثر ، وليس نصّاً في أحد المعنيين<sup>(١)</sup> . قال الاسترأبادي ت(٦٨٦هـ) : " لذلك سُمِّي الكتاب تنزيلاً ؛ لأنه لم ينزل جملة واحدة ، بل سورة سورة ، وآية آية ، وليس نصّاً فيه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْزُرَّارِ ۚ ﴾ الزخرف : ٣١ ، وقوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأُ نُنَزِّلُ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ فَمَا خَصَّيْعِينَ ﴾ الشعراء : ٤<sup>(٢)</sup> ، وعلى هذا يُحمَل كلام أبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) ومن تابعه في إجراء الفعلين مجرى واحداً ، وإجراء مصدر أحدهما على الآخر ، وذلك من حيث اشتراكهما في أحد الدلالات الأنفة الذكر ، وسيشير الباحث فيما سيأتي من حديث إلى أثر بنية الفعلين على المعنى بين هاتين القراءتين ، وما حملته كل بنية من دلالات ناسبت المقام .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

يمكن في ضوء ما سبق فهم صورة التغيّر الحاصلة في بنية الفعل من ( نُزِّل ) ( نَزَّل ) الماضي المبني للمفعول ، إلى ( تُنَزِّل ) المضارع المبني للفاعل ، ولماذا توحد الفعلان على مصدر واحد ( تنزيلاً ) مع اختلافهما في الدلالة !؟

فبالعودة إلى سياق الآيات : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقُولُونَ هَٰذَا جِجْرًا

تَحْجُورًا ۗ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۗ ﴾ (٣٣) أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۗ ﴾ (٣٤) وَيَوْمَ نَشْفُقُ السَّمَاءَ بِالْغَمِّمْ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا

﴿ الفرقان : ٢٢ - ٢٥ . نراها تُصَوَّرُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة القائم على الدهشة وإثارة الرعب في النفوس ، المليء بالتغيّرات في نظام الكون وبنائه ، تتشقق فيه

(١) السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ٦٧ ،

(٢) الاسترأبادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٩٣/١ ،

السماء بالغمام " أي عن الغمام" (١) ، وتنزّل الملائكة إلى الأرض ، قال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) : " والمعنى أنّ السماء تنفتح بغمام يخرج منها ، وفي الغمام الملائكة ينزلون ، وفي أيديهم صحف أعمال العباد" (٢) ، ويختم سياق الآيات ببيان الملّك والمَلِكِ الحقيقي ، لا ملّك ملوك الدنيا ، قال تعالى: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الفرقان: ٢٦ ، لقد أفادت القراءة بالماضي ( نُزِّلَ ) عددًا من الدلالات لاعمت وصف هذا المشهد :

- تتسم أحداث ذلك اليوم بالتدرّج والتكرار ، وهذا ظاهرٌ من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ، يقول : " تتشقق سماء الدنيا ، فينزل أهلها وهم أكثر ممّن في الأرض من الجنّ والإس ، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممّن في سماء الدنيا ، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة ... " (٣) . فنزول الملائكة متدرّجٌ ، تشقق السماء وينزل أهلها ، وهكذا في كلّ سماء ، فهو مشهد فيه تدرّج بين كلّ سماءٍ وسماء ، ثمّ إنّه متكرّرٌ تكرارًا لا يُشعر بالملل والسامة ، بل بالهيبّة والفرح والخوف من هذه الحشود والأعداد التي تتوافد تمهيدًا لنزول الربّ تبارك وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ البقرة: ٢١٠ .

- كما أفادت القراءة بالماضي ( نُزِّلَ ) دلالة أخرى ناسبّت أوصاف ذلك اليوم : هي التّكثير ، فبناء الفعل ( نُزِّلَ ) فيه تضعيف ، والتّضعيف يفيد التّكثير ، وعدم ارتضاء بعض الباحثين (٤) دلالة التّكثير الكميّ لبنية الفعل ( نُزِّلَ ) راجعٌ إلى دراستها في سياقات من القرآن تقتضي ألاّ تحمّل هذه البنية على تلك الدلالة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، وقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا ﴾ الإسراء: ٩٥ ، ويرى الباحث أنّ الأولى في دراسة ( نُزِّلَ ) أن تُقرّر دلالاته على التّكثير كما قرّر ذلك

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩٩/١٥

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ٢٨٠/٣

(٣) ابن جبر ، مجاهد : تفسير مجاهد ، ٤٩٨ ، الطبري : جامع البيان ، ٤٣٨/١٧

(٤) يُنظر: حسّون ، رضا : الصيغة العامة المزيّدة في القرآن الكريم ، ص ١٢



علماء التصريف<sup>(١)</sup> ، ويترك تحديد نوعه كمّا كان أو كيفاً إلى السياق الذي يرد به ، أمّا التعميم فيلزم منه توحيد دلالةٍ قد لا يُريدها السياق ولا تناسبه . والباحث ينظرُ للتكثير على هذه القراءة من زاويتين : من أعداد الملائكة ، والزمن الذي يستغرقه الحدث . يمكن أن يُطلق على الأولى : ( التّكثير الكميّ ) ، وعلى الثانية : ( التّكثير الزمنيّ ) ، أمّا أعداد الملائكة فواضحٌ أنّ أعدادهم التي تنزل من كلّ سماء تفوق أعداد أهل الأرض كثرةً ، كما تشهد بذلك الآية قبلها : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ ﴾ الفرقان: ٢٥ ، فإنّ بناء الفعل ( تَشَقَّقُ ) على التّضعيف ؛ لاعم بناء الفعل ( نُزِلَ ) في إفادة الكثرة ، قال الشريف الرضي ت(٤٠٤هـ) : " وهذه استعارة ، والمراد بها - والله أعلم - على أحد القولين صفة السماء في ذلك اليوم بتعاطف الغمام فيها ، وانتشاره في نواحيها كما يقول القائل : قد تشققت الغمام بالبرق ، وتشققت السحاب بالرعد إذا كثر ذلك فيها"<sup>(٢)</sup> ، ويشهد لكثرة أعداد الملائكة قوله تعالى : ﴿ وَفُجِّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ النبأ: ١٩ ، قرأ العشرة ( فُتِّحَتْ ) بتشديد التاء عدا عاصم ، وحمزة ، والكسائي فبالتخفيف<sup>(٣)</sup> ، والتشديد في الفعل مناسبٌ لصورة المشهد المتسم بكثرة الملائكة ، فهو فتحٌ بعد فتحٍ ممّا يدلُّ على الكثرة ، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا"<sup>(٤)</sup> دلالةً واضحةً على هذه الكثرة المهيبة التي تأخذ بمجامع العقول والأبواب . ويختم الباحث الحديث عن هذه الدلالة بالإشارة إلى اللام في ( الملائكة ) التي تفيد الاستغراق<sup>(٥)</sup> ، أي : جميع الملائكة . أليس في هذا الاستغراق دلالة واضحة على عظم الجمع وكثرته يومئذٍ؟! ، أمّا الزمن الذي يستغرقه الحدث ، فقد سبقت الإشارة إلى أنّ من مقتضيات التكثير في الفعل أن يستغرق وقتاً أطول يفيد ثلثاً وتمكناً ، ولا شك أنّ هناك أطراً بين

(١) يُنظر: الاسترأبادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٩٢/١ ، التفازاني : شرح مختصر التصريف ، ٣٧

(٢) الرضي ، الشريف : تلخيص البيان ، ٢٠٨

(٣) يُنظر : الداني: التيسير ، ٥٠٩

(٤) أخرجه الترمذي : كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار ، حديث (٢٥١١) .

(٥) ابن عاشور : التحرير والتوير ، ٩/١٩

كثرة أعداد الملائكة في ذلك الموقف والزَّمن الذي يستغرقه نزولهم ، ومع أنَّ أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا كما في هذه المسألة ؛ إلا أنَّ السياق القرآني في مواضع أُخر يفيد هذه الدلالة ، كما في وصفه لذلك اليوم وأحداثه بالتَّقلُّ قال تعالى : ﴿ إِن هَؤُلَاءِ يُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَّيْلًا ﴾ الإنسان: ٢٧ ، وتارة يعيِّن مدَّةً زمنيَّةً تصف هذا التَّقلُّ ، وتُسْتَوْحَى منها دلالة الكثرة لمُجْمَل الأحداث فيه ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج: ٤٧ ، وقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعارج: ٤

- ومن الدلالات التي حملتها القراءة بالفعل (نُزِّلَ) الاهتمام والمبالغة ، وأيُّ اهتمام ومبالغة أعظم أثرًا من هذا الوصف : تُفْتَحُ كل سماء فينزل أهلها من الملائكة ، جَمَعَ يتلوه جَمَعَ في دِقَّة ونظام - كما سيأتي - ألا يوحي هذا المشهد بالاهتمام ، وتكسو النفس هالةً من الخوف ، ويكسبها مزيدًا من الفرع تمهيدًا لموقف أعظم إنَّه : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ المطففين: ٦ . قال الشوكاني ت(١٢٥٥هـ) : " يدل على أنَّ هذا التنزيل على نوع غريب ، ونمطٍ عجيب " (١) ، وقال أبو السعود ت(٩٨٢هـ) : " ونُزِّلَ الملائكة تنزيلاً : أي : تنزيلاً عجيباً ، غير معهود " (٢) ، وتمهيد الآيات بما قبلها من مشهد تشقُّق السماء ، وتناثر الغمام أكسب الفعل (نُزِّلَ) هذه الدلالة وزيادة .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بناء الفعل (نُزِّلَ) للمفعول يكسب القراءة هذه الدلالة ، فقد زاد الأمر تعظيماً بإبهام الفاعل مع أنه معلوم سلفاً - وكأنَّه لما حذف الفاعل من الآية وبنى الفعل للمفعول ؛ استعاض عنه بالمجيء الحقيقي للفاعل ، وهو الله تبارك وتعالى كما قال في آية أخرى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ الفجر: ٢٢ ، وتحقَّق الفعل عياناً

(١) الشوكاني : فتح القدير، ٩٦/٤

(٢) أبو السعود : إرشاد العقل السليم ، ١٧٢/٤

على أرض الواقع يوم البعث والنشور ، لله ما أجمل قسمات هذا الكتاب ، وأدق تفاصيله .

- ويختتم الباحث دلالات هذه القراءة بإفادة الفعل ( نَزَّلَ ) للترتيب والتنظيم ، ذلك أنه في يوم القيامة لا يُدَّ للملائكة من القيام بمهامهم ووظائفهم ، ولا بُدَّ لهذا القيام من ترتيب يقتضيه أحوال ذلك اليوم وأحداثه ومجرياته ، فَتَنَزَّلُ الملائكة هنا يعني : ترتيبهم كلُّ حسب وظيفته ، لِنَصْدَرِ أعمالهم على الهيئة والترتيب المطلوبين<sup>(١)</sup> ، فالترتيب هنا من جهة وظائفهم وأعمالهم في ذلك اليوم ، يسبقه الترتيب والنظام في هيئة نزولهم ، أورد الطبري ت(٣١٠هـ) بسنده " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنَّ هذه السماء إذا انشقت نزل منها الملائكة أكثر من الجنِّ والإنس ، وهو يوم التَّلَاقِ .... ثم تتشقق السماء الثانية ، ثم سماء سماء ، على قدر ذلك من التَّضعيف إلى السماء السابعة ...<sup>(٢)</sup> . وقبل الانتقال إلى الحديث عن دلالة القراءة بالمضارع يسجل الباحث ملاحظة هي : عبّرت القراءة بالماضي ( نَزَّلَ ) عن حدثٍ لم يأت بعدُ ، وإنَّما يقع في المستقبل لإفادة تحقُّق وقوعه لا محالة ، وكأنَّه مشاهدٌ وبارز للعيان ، يقول ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) : " الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد بعد ؛ كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده ، لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد ، وإنَّما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"<sup>(٣)</sup> ، كما أشار ابن هشام ت(٧٦١هـ) إلى أنَّ الغرض من مثل هذا الأسلوب الخروج عن حالة المشاهدة إلى الإخبار ؛ قصدًا لإحضاره في الذهن<sup>(٤)</sup> ، وقد جمع د. الهتاري الداليتين : الدلالة السياقية التي تقتضي استحضار الفعل ، والدلالة النحوية للصيغة التي تقتضي مُضِيَّه تحت مسمّى : الماضي الحاضر ، أو بعبارة ( فندريس ) المضارع التاريخي<sup>(٥)</sup> .

(١) يُنظر : البكري : البكريات في توجيه مفردات الآيات ٤٢،

(٢) الطبري : جامع البيان، ٤٣٨/١٧،

(٣) ابن الأثير : المثل السائر، ١٨١/٢،

(٤) يُنظر : ابن هشام : مغني اللبيب، ٩٠٥/٢،

(٥) يُنظر : الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم ، ٤٣،

ويغلب إيراد مثل هذه الصُّورة في القرآن الكريم في مقام الحديث عن الغيب كمشاهد يوم القيامة ، أو عذاب النَّار ممّا يثير في النفوس الدّهشة ويحمل القلوب على الخوف ، وتَنزُّل الملائكة يوم القيامة مشهد استُحقّق التعبير عنه بالماضي وأراد تحقُّق وقوعه بدلالة مجيء القراءة الأخرى بالمضارع - والله أعلم - .

أما قراءة ابن كثير ( نُنزِلُ ) بالمضارع بإجراء الفعل على الإخبار من الله تعالى عن نفسه ، فقد أکسبت السياق هيبه ومهابة ملائمة لوصف ذلك اليوم وتفاصيل أحداثه ووقائعه ، وذلك من جهات عدّة :

- التعبير بالفعل المضارع يدلُّ على التجدّد والاستمرار - كما مرّ - ، والتعبير بالمضارع على هذه القراءة يُشعر باستمرار تنزُّل الملائكة حتى نزول الربِّ تبارك وتعالى ، ممّا نستحضر في الذهن كلَّ معاني الهيبة والجلال لذلك اليوم وأحداثه .

- نسبة الإنزال إلى الله تعالى بنون العظمة ( نُنزِلُ ) زاد الأمر مهابة وإجلالاً ، حيث عيّن الفاعل الذي أبهم في القراءة الأولى - وإن كان معلوماً ابتداءً - ولعله السرُّ في إتيان ( نُنزِلُ ) مخفّفاً حيث إنّ إسناده إلى الله تعالى يكفي في إدخال المهابة في النفس فيغني عن تضعيفه ، وليس كذلك حين أبهم الفاعل في القراءة الأخرى<sup>(١)</sup>.

- وفي تعيين الفاعل وهو الله تبارك وتعالى المأخوذ من هذه القراءة تناسق مع ما بعده من قوله تعالى: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الفرقان: ٢٦ ، فجاء به تصريحاً ، لا تلميحاً في مشهد يرسم كل معاني القوة والهيبة للرحمن تبارك وتعالى " فالملك الكامل إنما هو الله تعالى ، ولكنَّ العقول قد لا تلتفت إلى ما في الملوك من نقص وعجز " (٢) .

(١) يُنظر: الجبلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص (١٣٨)

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ١١/١٩

- كما أنّ القراءة بالمضارع ( نُنزِلُ ) تتسبّب مع المضارع ( تَشَقُّقُ ) قبله ؛ لأنّه مثله في إفادة وقوع ذلك مستقبلاً ، وأنّه كائنٌ لا محالة ، ولا مجال للشكّ والريب فيه .

ويؤكد الباحث على ألا تدافع بين هاتين القراءتين ، ولا بين الأثر المترتب عليهما ، ولا يُحكّم بأنّ القراءة بإسناد الفعل للفاعل أقوى من إسناده للمفعول لكونه لا داعي للجوء إلى الفرع مع إمكان وجود الأصل كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين<sup>(١)</sup> . فقد ختم الله تعالى هذه الآية مع التغيّر الحاصل في بنيتي الفعلين بالمصدر ( تنزيلاً ) وهو مصدرٌ للفعل ( نَزَلَ ) ، أمّا ( أَنْزَلَ ) فيأتي مصدره على ( إنزال ) ، وهذا العدول يوحى بدلالة مشتركة بين الفعلين تمثلت في : " تأكيد النّزول ، وسرعة إسراعهم فيه "<sup>(٢)</sup> ، واستعمال القرآن الكريم للمصدر في هذا الموضع يعدّ استعمالاً رافياً أخرج في صورة فنية عجيبة في قمة الإعجاز والذهشة فقد " جمع بين معنى الفعل ، ومعنى المصدر من أقرب طريق ، وأيسره "<sup>(٣)</sup> ، فجاء بالفعل على القراءتين لبيان التدرّج ، والتكثير ، والمبالغة ، والترتيب ، مع التجدّد ، والاستمرار على الاختلاف الحاصل بين بنيتي الفعلين ، ثم جاء مرّةً أخرى بالمصدر ليؤكد معنى آخر هو : حصول المعاني السابقة للفعل على وجه الإسراع فيها ، لتكون في مجملها وصفاً لمشهد سريع الأحداث والتقلّبات ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ الانفطار : ١ - ٢ ، لكنّه في المقابل مشهدٌ ثقيلٌ على النفس وقعه ، شديدٌ على القلوب وطأته كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج : ٤٧ .

(١) يُنظر : الهيّتي : ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ، ٤٨ ،

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٧٤/٢٤ ،

(٣) السامرائي ، فاضل : التعبير القرآني ، ٣٣ ،

٥. ﴿أُخْفِيَ﴾ :

قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٧

❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة عدا حمزة ويعقوب (أُخْفِيَ) بفتح الياء ، وبناء الماضي للمفعول .
- وقرأ حمزة ويعقوب (أُخْفِيَ) بإسكان الياء ، وبناء الفعل للفاعل ، مضارع<sup>(١)</sup> .

❖ معاني القراءتين و نوجيههما :

ناسب سياق الآيات الواردة بعد الماضي (أُخْفِيَ) المبني للمفعول من جهة الاكتفاء بالضمير الذي ألحق بالفعل عن الفاعل الظاهر ، كما في قوله تعالى : ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، السجدة: ١٧ ، وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ السجدة: ١٨ ، وقوله تعالى : ﴿نَزَلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٩ ، ومن قرأ (أُخْفِيَ) جعله مأخوذاً من الماضي : (أُخْفِيْتُ)<sup>(٢)</sup> ، وبناء الفعل في هذه القراءة للفاعل ناسبه سياق الأفعال الواردة قبله كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى نَّهَا﴾ السجدة : ١٣ ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَسِيتُكُمْ﴾ السجدة : ١٤ ، وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ السجدة : ١٦ ، وكلها أفعال مبنية للفاعل ، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ( مَا نُخْفِي لَهُمْ )<sup>(٣)</sup> . فناسب قراءة حمزة ، ويعقوب سياق الآيات الواردة قبل الفعل (أُخْفِيَ) المبني للفاعل ، كما ناسب سياق الآيات الواردة بعد بنية الفعل (أُخْفِيَ) المبني للمفعول قراءة الجمهور .

(١) يُنظر : ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ، ٤٩٨ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ٣٠٧ ، الداني : التيسير ، ٤١٥ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٢٩٦/٢ ، ابن الجزري : النشر ، ٦١٥ ، الثشار : البدور الزاهرة ، ٢٠٦/٤ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ، ٣٦٧/٢ ،

(٢) يُنظر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ١٦٦/٤ ، أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٦٩ ، الباقولي : كشف المشكلات ، ٢٢٠/٢ ، ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ، ٦٢٥ ،

(٣) أورد هذه القراءة الفراء : معاني القرآن ، ٣٣٢/٢ ،

## ❖ أثر القراءتين على المعنى :

تصوّر الآية مشهدًا من مشاهد يوم القيامة يتمثّل في النعيم الذي أعدّه الله تعالى للمؤمنين ، وقد سبقَت الإشارة إلى أنّ ملامح ذلك اليوم تتسم بالتحوّل ، والمفاجأة ، والحركة الناتجة عن تغيّر الكون وتبدّله ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ إبراهيم: ٤٨ ، وبالنظر في دلالة كل قراءة وأثرها على المعنى تتجلّى الصورة البديعة في جري الكلام على نسق واحدٍ من التوافق والانسجام . قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٧ ، أي : " لا يعلم أحدٌ ما أُخفي لهؤلاء الذين ذكرهم الله ممّا تقرأ به أعينهم " (١) ، وينبّض من خلال النظر في سياق الآيات : ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ ، أنّ الحديث عن المتهجّدين بالليل وأهل القيام فيه ، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله : ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ " قَالَ : قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ " (٢) ، وقد أورد ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) أربعة أقوال في مَنْ نزلت فيهم هذه الآية ؟ وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم ؟ مؤدّاها إلى معنى استخفائهم في صلاتهم سواء كانت نافلةً كقيام الليل ، أم فرضًا كالعشاء (٣) . واستدل الزّجاج ت(٣١١هـ) بالآية على أنّها الصلاة في جوف الليل ، يقول : " لأنّه عملٌ يستسرُّ الإنسان به ، فجعل لفظ ما يُجَارَى به (أُخْفِيَ) " (٤) ، فناسب إيراد الفعل (أُخْفِيَ) بقراءته السياق العام للآيات ، فقيام الليل في أصله عبادةٌ خفيّةٌ ، تتسم بالسرِّ والخفاء .

لقد أفادت القراءة بالماضي المبني للمفعول (أُخْفِيَ) التعظيم ، فالفكر يذهب كلّ مذهب في المخفيّ ، هذا الخفاء وقع فعلاً وحصل ، لكن ما هو ؟! وما كُنْهُهُ ؟! وأيُّ جزاءٍ مترتّبٌ على أعمالهم ؟! لم تبيّنه الآية ، ولم تُسمّه وإنما اكتفت بالإشارة إليه بالفعل

(١) الكرمانى ، محمد بن أبى المحاسن : مفاتيح الأغاني ، ٣٢٩

(٢) أخرجه أحمد في المسند : مسند العشرة المبشرين بالجنة ، حديث رقم (٢١٤٥٦)

(٣) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير ، ٦/٣٣٧ - ٣٣٩

(٤) الزّجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٤/٢٠٧

المبني للمفعول وذلك " للعلم بأنّه سبحانه الذي أخفوا نوافل أعمالهم لأجله " (١) ، ولنتأمل في بعض الإشارات التي توحى بخفاء الجزاء لهؤلاء العباد جزاءً وفاقاً ، كما يظهر من الآيات:

- نفى العلم بالجزاء المتمثّل بدخول لا النافية الداخلة على الفعل المضارع في قوله

تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم ﴾ السجدة: ١٧ .

- النكرة ( نفس ) في سياق النفي ( فَلَا تَعْلَم ) أفادت العموم ، أي : لا يعلم أيّ

أحد (٢) ، فنفت العلم عن أيّ نفس كانت " فهي إذاً نفوسٌ غير عالمةٍ ، ولكن غير

عالمةٍ بماذا ؟ بالذي أُخْفِيَ لهم ، وذلك بطي ذكر العالم الرَّحْب الذي تمّ إخفاؤه ،

وطي ذكر من أعدّ هذا العالم الرَّحْب من التكريم والتنعيم ، فالسياق سياق إبهام ،

والإبهام عنصرٌ مراعى ومقصودٌ ؛ لتذهب النفس في تقديره كلّ مذهب " (٣) ،

ولعلّ هذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) في نظرية المعنى

ومعنى المعنى ، يقول : " نعني بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي

تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى : أن تعقل من اللفظ معنىً ، ثم يُفْضَى

بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " (٤) ، فالمعنى حاصلٌ من الإخفاء لمظاهر النعيم

الذي ينالونه ، ثم يذهب الفكر بعيداً في تقدير هذا الجزاء وهذا ما قصده

الجرجاني ت(٤٧١ هـ) بمعنى المعنى .

- ( ما ) في الآية تعرب كالآتي (٥) :

- إن كانت بمعنى ( الذي ) ؛ فهي في موضع نصب بـ ( تَعْلَم ) على

القراءتين ، وتكون الهاء محذوفة من الصلة على قراءة ( أُخْفِيَ ) أي : أخفيه

(١) الجبلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص(١٣٤-١٣٥)

(٢) يُنظَر : عباس ، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها (المعاني) ، ٥٣٤

(٣) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ، ٣٢٠-٣٢١

(٤) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، ٢٦٣

(٥) يُنظَر : النحاس : إعراب القرآن ، ٧٥٩ ، مكّي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن ، ٣٥٩



لهم ، ولا حذف في قراءة : ( أُخْفِيَ ) ؛ لأنّ الضمير لنائب الفعل يعود على :  
( الذي ) .

- وإن كانت استفهاماً بمعنى ( أيُّ ) ؛ فهي في موضع رفع بالابتداء على  
قراءة ( أُخْفِيَ ) ، وفي موضع نصب على قراءة ( أُخْفِيَ ) ، والجملة : ( ما  
أخفي ) في موضع نصب سدّت مسدّ مفعولي ( تَعَلَّمُ ) .

ونقل أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) أنّ الراجح عند النحاة جعل ( ما ) استفهاماً  
مرتفعاً بالابتداء<sup>(١)</sup> ، وهذا الاستفهام يثير تساؤلات عدّة عمّا أخفي لهؤلاء المنعمين ،  
والمتمأمّل لهذا الاستفهام بعين البصيرة ليتذوق حلاوة القرآن ودقته في اختيار مفرداته ،  
فقد لاءم الاستفهام الذي رُجِح في معنى ( ما ) دلالة الفعل ( أُخْفِيَ ) لما يحمله الاستفهام  
من طلب العلم بالشيء ، وطلب العلم بالشيء ناشئ عن وجه خفاء ، وبذلك يرد عنصر  
جديداً من عناصر الإبهام المقصود في الفعل .

وإذا انتقل الباحث إلى دلالة الفعل ( أُخْفِيَ ) بينائه للفاعل ؛ يجد ثمة توافق وتساوم  
بينه وبُنية المضارع قبله : ( يُنْفِقُونَ ) ، ولأنّ الفعل المضارع يحمل التجدد ، ويُشعر  
بالحركة والحياة ؛ " نَجَمَ عن هذا جزاءً مستمرّاً متجددّاً في نسيج الفعل المضارع ذي  
الفعل الربّاني : ( أُخْفِيَ ) في مقابل المضارع ذي الفعل البشريّ ( يُنْفِقُونَ ) " (٢) .

ولعلّ التعبير بهذه البنية مناسبٌ لحالهم - والله أعلم - فما داموا مستمرّين في إخفاء  
أعمالهم حرصاً على مرضاة ربّهم تبارك وتعالى ، مداومين عليها كما جاءت بذلك  
الأفعال : ( تَتَجَافَى ) ، ( يَدْعُونَ ) ، ( يُنْفِقُونَ ) ؛ ناسبهم أن تبقى نفوسهم مطمئنّة  
بفضل الله تعالى وعطائه ، متشوّقةً دوماً إلى المزيد من رضوانه ، غير ملتفتة إلى  
النوال من غيره ، " تروي غليلها بما يخفيه لها ربّها عزّاً وجلّاً من أطيب النعيم

(١) يُنظر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ١٦٦/٤

(٢) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ، ٣٢٠

ونفائس التّكريم ، فتقرُّ عينُها بذلك المخفيّ المتجدّد المستمرّ في عطائه الرّحب  
الجزيل " (١) .

وهكذا كملت كلُّ قراءة الأخرى بما أكسب المعنى ثراءً واضحاً ، وسواء أكانت  
القراءة بالماضي أم بالمضارع فإنّ الدلالة في الآية تُحمّل على الاستمرار حتّى من  
الرحمن تعالى أن يستمرّ العباد في طلب مرضاته " فالخفاء مستمرّ ، ووَأَوْقِعْ - وإنْ  
كانُ الفعل ماضياً - إلى يوم القيامة ، على أنْ تقرُّ أعينُهم بما أُخفيَ لهم " (٢) .

(١) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، ٣٢٠  
(٢) أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع، ١٧٦

## ٦. ﴿وَأَمَلَى﴾ :

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِم مِّن بَعْدِ مَا نَبَّئَهُم أَنَّهُمْ أَهْدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ

وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ محمد: ٢٥

### ❖ مذاهب القراء :

في الآية ثلاث قراءات<sup>(١)</sup>:

- قرأ العشرة عدا أبي عمرو ، ويعقوب بفتح الهمزة ، واللام ، وألف بعدها : (أَمَلَى) .
- وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة ، وكسر اللام ، وفتح الياء : (أَمَلِيَ) .
- وقرأ يعقوب بضم الهمزة ، وكسر اللام ، وإسكان الياء : (أَمَلِي) .

### ❖ معاني القراءات ونوجيهاها :

قراءة العشرة عدا أبي عمرو ، ويعقوب بفتح الهمزة واللام وألف بعدها (أَمَلَى) على الماضي .

ومثله قراءة أبي عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء (أَمَلِيَ) ببناء الفعل للمفعول ، على الماضي كذلك .

والفعل في قراءة يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء (أَمَلِي) مضارعٌ ماضيه (أَمَلَى) ، والمخبر هو الله تعالى عن نفسه<sup>(٢)</sup> .

(١) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٦٠٠ ، الداني : التيسير ، ٤٦٢-٤٦٣ ، مكي بن أبي طالب : التنصرة ، ٣٣٨ ، ابن البادش : الإقناع في القراءات السبع ، ٧٦٨ ، ابن الجزري : النشر ، ٣٦٤ ، الثنشار : البدور الزاهرة ، ٣٢/٤ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ، ٤٧٨/٢

(٢) يُنظر : الفراء : معاني القرآن ، ٦٣/٣ ، الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٤/٥ ، المهدي : شرح الهداية ، ٧٠٦ ،

قراءة الجمهور ( أَمَلَى ) على الماضي المبني للفاعل ، والضمير فيه إمَّا : أن يعود للباري تبارك وتعالى ، أو للشيطان ، فإن عاد الضمير إلى المولى تبارك وتعالى ؛ فالمعنى : أَمَلَى لَهُم اللهُ تَعَالَى بِأَنْ أَمَدَّ أَعْمَارَهُمْ وَأَجَالَهُمْ وَأَمَهَلَهُمْ زَمَانًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ إِنْ كَيْدَى مَتِينٌ ﴾ الأعراف: ١٨٣ ، كما لم يُعَاجِلَهُمْ بالعقوبة نتيجة معاصيهم وكفرهم ؛ استدراجًا لهم ، كما قال في الآية بعدها : ﴿ نَزَلْنَا بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ محمد: ٢٦ ، ويحسُنُ على هذا المعنى الوقف على قوله تعالى : ( سَوَّلَ لَهُمْ ) ؛ لأنَّ الإملاء في هذه القراءة مسندٌ لله تبارك وتعالى ، بينما التسويل للشيطان ، قال الداني ت(٤٤٤هـ) : " ( سَوَّلَ لَهُمْ ) كافٍ سواء قُرئ : ( وَأَمَلَى لَهُمْ ) على تسمية الفاعل ، أو : ( وَأَمَلَى لَهُمْ ) على ما لم يسمَّ فاعله ، أو ( وَأَمَلَى لَهُمْ ) على الإخبار ؛ لأنَّ الإملاء في كل القرآن مسندٌ إلى الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ الحج: ٤٤ ، فيحسُنُ قطعه من التسويل الذي هو مسندٌ إلى الشيطان" (١) ، ومثل هذا المعنى واردٌ كثيرًا في كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ الأنفال: ٤٨ ، وقوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ هُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ ﴾ النحل: ٦٣ ، وقوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ البقرة: ٢٦٨ .

وإن عاد الضمير في الفعل إلى الشيطان ، كان المعنى : سَوَّلَ وَأَمَلَى لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِأَنْ مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَمَلِ وَالتَّمَنَّى ، ووعدهم بالغرور وأوقعهم في شباك الأمانى ، ومنعهم العمل حتى فجأهم الموت ، وبغتهم الأجل . ولهذا شاهدٌ في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ النساء: ١٢٠ ، وقوله

(١) الداني : المكتفى في الوقف والابتداء ، ٥٢٥ ، ويُنظر: الأشموني : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ٣٦٢

تعالى : ﴿ وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ ﴾ النساء: ١١٩ ، وإسناد فعل الإملاء إلى الشيطان إنما هو من جهة أن الله تعالى قدَّر على يده ولسانه ذلك ، وإلا فإنه : " يُعَلِّمُ يَقِينًا أَنَّهُ لَا يُوَخِّرُ أَحَدًا مَدَّةَ أَحَدٍ ، وَلَا يُوسِّعُ فِيهَا إِلَّا اللَّهُ " (١).

وَحُمِلَتْ قِراءةُ أَبِي عمروٍ ( أَمَلِي ) على وجهين : إما أنَّ الإملاء من الشيطان بمعنى : " مَدَّ لَهُم فِي الْأَمَانِي وَالْأَمَالِ ، وَمَعْنَى الْمَدِّ فِيهَا تَوْسِيعُهَا ، وَجَعَلَهَا مَمْدُودَةً بِنَفْسِهَا أَوْ بِزَمَانِهَا ، بِأَنَّ يُوسِسُ لَهُم بِأَنَّكُمْ تَتَالُونَ فِي الدُّنْيَا كَذَا وَكَذَا مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ ، حَتَّى يَعْرِقَهُم عَنِ الْعَمَلِ " (٢) ، أو من الله تعالى لِتُزِيلَ التَّوَهُّمَ الْحَاصِلَ مِنْ أَنَّ الْإِمْلَاءَ لِلشَّيْطَانِ كَوْنَهُ جَرَى ذَكَرَهُ قَبْلَ هَذَا فَقَالَ : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ ﴾ ، وَلَمْ يَجِرِ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرًا ؛ فَجَاءَتْ هَذِهِ الْقِراءةُ لِتُزِيلَ هَذَا التَّوَهُّمَ ، وَبِأَنَّ الْإِمْلَاءَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ الحج: ٤٤ .

والفاعل على قراءة يعقوب ( أَمَلِي ) يعود ضميره إلى الله تعالى ، لأنه تعالى هو المملي ، والألف في الفعل ألف المتكلم ، وأصل الإملاء : الإمهال والمد في الأجل (٣) ، وقد ناسب المعنى في هذه القراءة قوله تعالى : ﴿ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ الأعراف: ١٨٣ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا ﴾ آل عمران: ١٧٨ .

### أثر القراءات على المعنى :

سيتناول الباحث صورة التغْيِيرِ الحاصلة في هذه القراءة من الماضي ( أَمَلِي ) على قراءة الجمهور إلى قراءة يعقوب بالمضارع ( أَمَلِي ) ، وسيحاول توظيف صورة

(١) الكرمانى ، محمد بن أبى المحاسن : مفاتيح الأغاني ، ٣٧٦ ،

(٢) الألوسى : روح المعاني ، ٢٣١/٩ ، الجزء ١٣

(٣) يُنظَرُ : الشنقيطي : أضواء البيان ، ٦٢٠/٧

التغيُّر بين هاتين القراءتين في بيان الأثر الدلالي المترتب على كل قراءة وفق سياقها الذي وردت به .

لقد اغترَّ القوم - سواء أُريد بهم اليهود ، أم المنافقون على تأويل المفسرين للآية<sup>(١)</sup> - بنعم الله تعالى عليهم من سهولة الرزق ، وطول العمر ، وتغادق النعم ، وقابلوا ذلك بالعناد ، وارتدوا على أديبارهم كفَّارًا من بعد ما تبين لهم الحقُّ ، وآثروا الغواية على الرشاد عنادًا وكفراً من عند أنفسهم . صورة هذا الاغترار ناسبها التعبير بالفعل الماضي ( أَمَلَى ) ليبين - والله أعلم - تسهيل حدوث الإملاء منه تعالى لهم بإطالة أعمارهم وإسباغ النعم عليهم ، وتسهيل الأمان والحلم عن المعالجة بالنقم حتى اغتروا<sup>(٢)</sup> . وهي موافقة لقوله تعالى : ﴿ سَسْتَدرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم: ٤٤ ، كما أنَّ نسبة الإملاء إلى الشيطان ناسبت الحالة التي اختاروها من تكبُّ طريق الإيمان ، ولَهْثِهِمْ وراء الكفر ، وكان الدافع للسير في هذا الطريق إغواء الشيطان وتزيينه لهم وخداعه ، وهو ما صوّرتَه دلالة القراءة ( أَمَلَى ) .

ويرى بعض الباحثين أنَّ إسناد فعل الإملاء للشيطان من قبيل قول العرب : " أَمَلَى البعير في القيد ؛ إذا أرخى ، ووسَّع فيه " بمعنى : أنَّ الشيطان لما زَيَّن لهم معاصيهم ، وسوَّل لهم عصيان ربهم ، كان كمن وسَّع عليهم قيد الإسلام في أعناقهم ليتمكن من إخراجهم من الإسلام ، كما تخرج الإبل من قيدها إنَّ وسَّعناه لها<sup>(٣)</sup> .

لقد أحدثت صورة التغيُّر في بنية الفعل من الماضي ( أَمَلَى ) إلى المضارع ( أَمَلِي ) مشهدًا من التهديد والوعيد المتمثِّل بإسناد الفعل لله تبارك وتعالى ( أَمَلِي ) ، ولو تأمَّل القارئ سياق الآيات قبل هذه القراءة لظهر له مدى العناد الذي بلغ إليه هؤلاء الكفار . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا

(١) يُنظر : ابن الجوزي : زاد المسير، ٤٠٨/٧ ، الطبري : جامع البيان ، ٢١٧/٢١

(٢) يُنظر : البقاعي: نظم الدرر ، ٢٤٦/١٨

(٣) يُنظر : البلوز : النظير ودروه في توجيه القراءات ، ١١١

أَلْعَمَ مَاذَا قَالَ عَاقِبًا ﴿ محمد: ١٦ ، فهم من بلادتهم وقلة فهمهم يجلسون إلى الرسول ﷺ يستمعون كلامه فلا يفهمون شيئًا ، فإذا خرجوا من عنده ﷺ سألوا أصحابه سؤال لا مبالاة وعدم اكتراث : ( مَاذَا قَالَ عَاقِبًا ) ؟؟ . ثم إنهم أهل فزع ورعب وجبن حال لقاء العدو ، كما قال تعالى : ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ محمد: ٢٠ ، سَمِئَهُمُ الْعَامَّةُ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ عَمومًا : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ محمد: ٢٢ ، وقطع الأرحام خصوصًا : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ محمد: ٢٢ ، لذا حلت عليهم اللعنة ، وعميت أبصارهم عن التعرف على الحق (١) ، كل هذه الأفعال التي أدموا عليها واستمرروها كقيلة أن يحمل الخطاب في طبيّاته تهديدًا ووعيدًا لهم ، فعدم مبالاتهم بكلام الله تعالى وأوامره وأوامر رسوله ﷺ ، وسعيهم في الأرض فسادًا وإفسادًا بسفك الدماء ، وقطع الأرحام ، وإعراضهم عن تدبر القرآن والعمل به ، وتلوّثهم وتبدّلهم من الإيمان إلى الكفر رفعت من وتيرة الدلالة التي يحملها المضارع ( أَمْلِي ) مقارنة بدلالة القراءة بالماضي ( أَمَلِي ) . حيث إنّ أفعالهم هذه تستحقّ أن يتولى الله بذاته تعالى - ولا موجب عليه سبحانه - الإملاء لهم ، والإطالة في أعمارهم وأرزاقهم استدراجًا وفتنة .

ويرى الباحث في الفعل ( أَمْلِي ) قوّة واشتدادًا في نبرة الخطاب وذلك من حيث ابتداء الفعل بهمزة قطع ، وختمه بالياء ، وكأنّ مشهد الإملاء ملخّص بين الحرفين : ( الهمزة ، والياء ) ، فالهمزة حرفٌ شديدٌ مستنقلٌ من أقصى الحلق ، صامتٌ حنجريٌّ انفجاريٌّ (٢) ، لتدلّ بهذه الصفات على القوة والقدرة ، وأنّ الله تعالى لا يُعجزه شيء ، أما الياء فمجهورةٌ رخوةٌ منفتحةٌ (٣) ، فيها من إثبات الاختصاص والنسبة له تعالى ما لا يشاركه أحدٌ في فعله ، ما دام أنّ أفعالهم مشاقّةٌ لله تعالى وأوليائه ، " هذا المشهد لا

(١) يُنظر للاستزادة: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٧٢٠-١٧٢٢

(٢) يُنظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ١٠٧/٩، أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ٧٧، الراجحي، عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ٩٥

(٣) يُنظر: ابن الجزري: التمهيد في علم التجويد، ١٥٠

يكاد يتحقّق على الوجه الأكمل إلا في القرآن الكريم ، الذي يتميّز بتمام التلاؤم بين طبيعة المواقف والأغراض وبين التعبير عنها . فحيث الوعيد والتهديد نجد البناء التعبيري قويًّا بجملته وتفصيله ، فجد الأصوات زاجرة زجر ما تحمله من معاني ، فالشكّل والمضمون وحدة متّفقة السّمات والخصائص (١) .

بقي أن يشير الباحث ألاً ثمة تعارض بين القراءات الواردة في هذه الآية ، فعلى اختلاف دلالات كل قراءة ؛ إلا أنّ المعاني جميعها تظّهَر بصورة متناسقة : فإن قلنا : إنّ الإملاء فيها جميعاً لله تعالى فقد اتّفقت المعاني واختلّفت في اللفظ ، ولا يخفى ما في ( أُمْلِي ) من المهابة حيث صرّح بإسناد الإملاء لذاته العليّة ، وما يدلُّ عليه تجدّد لفظ المضارع من تجدّد ذلك في كل زمان ومكان ، حتى لا يأمن أحدٌ مكره تعالى ، وكذلك ما في ( أُمْلِي ) من الإبهام الذي يجعل النفس تتفكّر فيه ، وتذهب كلّ مذهب حيث أُبهم فاعله ، ومثلها ( أُمْلَى ) التي أفادت تسهيل الإملاء لهم بالمدّ في الأعمار والأرزاق استدراجاً ، وإن قلنا : إنّ ( أُمْلَى ) - بالبناء للفاعل - للشيطان فتكون هذه القراءة أفادت معنى آخر هو : أنّه وعدم وطول لهم في الأمل ، وتكون قراءة ( أُمْلِي ) قد أفادت : أن الله أملى لهم بمعنى مدّ لهم في العمر ولم يعاجلهم العقوبة ، وعليه فالمعاني كلّها صحيحة يكمل بعضها بعضاً ، تُنزّل فيها كل قراءة منزلة آية ليظهر أثرها وجمالها (٢) .

قد تبدو هذه الصورة من التغيّر منذ الوهلة الأولى أنّها لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال التغيّر اللفظي بين القراءات ، التي تحمل مدلولاً واحداً ، لكن ما أن يُنعم المتأمّل فيها الفكر ، ويتذوقها حتى تتفجّر أمام عينيه العديد من الدلالات التي تحمل معاني متفرقة لا تتسم بالتناقض ولا بالتعارض ، بل " تبدو في العين جرماً واحداً ، لكنّها عندما تجري على اللسان ، وتقع على السمع تتفجّر منها أشتاتٌ من المعاني السامية ، وأنواع من الإشارات اللطيفة ، ممّا يجعل السامع يُلنقظ منها ما يناسب المقام ، ويتلاءم مع

(١) شادي ، محمد : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ٦٥

(٢) للاستزادة : الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص ١٤٢



الأفهام»<sup>(١)</sup>. لقد أسهمت هذه الصورة من التغيّر في الإطالة في مشهد الحدث ، والتّسريع من وتيرته تبيّن ذلك في صورة الانتقال من زمن إلى آخر بين القراءات القرآنية ، كما ركّزت في معانيها على مآلات الحدث ونتائجه .

(١) لاشين ، عبد الفتاح : صفاء الكلمة ، ١٢٠



## المبحث الثاني

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي، ودلالته



## توطئة :

تمتلك لغة القرآن الكريم قدرات هائلة في استحضار المعاني وتشخيصها ، إذ يمكن لها أن تختصر مشهداً فيه من التفاصيل والأحداث ، وتختزله في بنية أو كلمة واحدة ، وبنية المضارع أحد هذه البنى التي تختزل مشاهد الحركة والانتقال في بنية واحدة ، تتلاءم بشكل متناسق مع السياق الذي ترد فيه .

يُعرّف الفعل المضارع بأنه : الحدث المقترن بأحد الزمّانين الحال ، أو الاستقبال<sup>(١)</sup> ، ويحمل المضارع في سياقه الاعتيادي العديد من الدلالات ، من مثل<sup>(٢)</sup> : دلالاته على الحال والاستقبال ، ودلالاته على الحقيقة من حيث هي غير مقيّدة بزمن ، والاستمرار التجديدي ، ومقاربة حصول الفعل وغيرها من الدلالات ليس هذا محلّ بسطها ، والحديث هنا عن الدلالة التي تنشأ من تغيّر بنية الفعل من المضارع إلى الماضي .

إنّ الفرق بين هذه الصورة والصورة التي ناقشها المبحث الأول من هذا الفصل يوضّحها لنا ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) بقوله : " الفعل الماضي يُخبر به عن المضارع ؛ إذا كان المضارع من الأشياء الهائلة التي لم توجد ، والأمور المتعاطمة التي لم تحدث ، فيجعل عند ذلك ممّا قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدثه . وأمّا الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضي ؛ فإنّ الغرض بذلك تبين هيئة الفعل واستحضار صورته ، ليكون السّامع كأنّه يشاهدها ويعاينها "<sup>(٣)</sup> .

ويرى الباحث أنّ السياق هو الذي يحدّد هذه الدلالات للفعل ، فما قد يرد دلالة لقراءة الماضي يمكن أن يكون دلالة لقراءة المضارع ، والعكس بالعكس إن اقتضاه السياق . وسيناقش الباحث هذه الدلالات في ضوء النماذج التي تمّ استقراؤها في هذه الصورة ، فقد بلغت في مجموعها : ( تسعة عشر ) أنموذجاً<sup>(٤)</sup> ، تطرّق الباحث لـ :

(١) يُنظر : الأزهرى : شرح التصريح ، ٣٨/١

(٢) يُنظر : السامرائي ، فاضل : معاني النحو ٢٨٩-٢٨٠/٣

(٣) ابن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ١٠٤

(٤) يُنظر : ملاحق الرسالة

( أربعة ) نماذج منها بالدراسة والتحليل وبيان الأثر الدلالي للتغير الحاصل في بنية الفعل على المعنى ، ومن ذلك :

١- ﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ :

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي

الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ آل عمران : ٦٥

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة ( يُصَوِّرُكُمْ ) بالمضارع .
- وقرأ طاووس ( تَصَوَّرَكُمْ ) بالتاء وفتح الواو ، فعلٌ ماضٍ<sup>(١)</sup> ، وهي شاذة .

### ❖ معاني القراء اثنين ونوجيههما :

- ( يُصَوِّرُكُمْ ) بلفظ الحال ، مناسبة للأفعال المضارعة الواردة قبله وبعده من مثل : ( يخفى ) ، ( يشاء ) ، أمّا القراءة بالماضي ( تَصَوَّرَكُمْ ) فللعلماء فيها توجيهان<sup>(٢)</sup> :
- ( تَصَوَّرَكُمْ ) : أي صَوَّرَكُمْ لنفسه ولتعبّده ، كقولك أَثَلْتُ مَالاً ؛ إذا جعلته أَثَلَةً ، أي : أصلاً ، وتَأَثَلْتَهُ ، إذا أَثَلْتَهُ لنفسك . وهذا باعتبار إتيان ( تَفَعَّلَ ) بمعنى ( فَعَّلَ ) نحو : تَوَلَّى بمعنى وَلَّى ، ومعنى صَوَّرَكُمْ : أي جعل لكم صورة .
- ( تَصَوَّرَكُمْ ) : عَلَّمَكُمْ صَوْرًا ، كقولك : صَوَّرْتُ هذا الأمر ، أي عَلَّمْتُ صورته .
- وقد لاعم القراءتين الأوجه التي تعرب بها ( كيف ) في الآية ، أظهرها<sup>(٣)</sup> : ( كيف ) للجزاء ، ولا يجزم بها ، وجوابها محذوفٌ لدلالة ما قبلها ، والتقدير : كيف يشاء

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ٣٩ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٣٠٢/١

(٢) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف ، ٣٦٤/١ ، السمين : الدرر المصون ، ٢٣/٣ ، أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٩٥/٢ ، أبو عريش ، أحمد : أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ، ٥٥٤

(٣) يُنظَر : العكبري : إملاء ما من به الرحمن ، ١٣٠ ، السمين : الدرر المصون ، ٢٤/٣

تصويركم بصوركم ، وهذا الوجه مناسبٌ للقراءة بالمضارع . و ( كيف ) منصوب على الحال بالفعل بعده ، والمعنى : على أيّ حالٍ شاء أن يصوركم صوركم ، وهذا الوجه مناسب للقراءة بالماضي .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

إنّ وقوع البنى المتغايرة للفعل في مستوى تركيبى واحد لا يعنى بالضرورة تفرّيقها من الزّمن ، وإنّما الأثر كلّهُ في تفقّد روابط الكلام وأحواله وصيغته ، واستخراج مكنونات تعبيراته ، ولطائف إشاراته من السياق الذي يرد به .

وفي إيراد الفعل بهذه الصورة من التغيّر من المضارع إلى الماضي دلالات ، وإنّ كانت القراءة شاذة ؛ إلاّ أنّه يُستأنس بها في بيان المعنى وتوضيحه .

وفي ضوء السياق نفهم صورة هذا التغيّر ، فالقراءة بالمضارع : ( يُصوّرُكم ) الذي يحمل في دلالاته التجدّد والحصول تناسب مراحل تخليق النّطفة في الرّحم ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : **حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، قَالَ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خُلُقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ "** (1) ومراحل تخليق النّطفة في الرّحم توحى بالحركة في الحدث المناسبة تمامًا للتعبير بالمضارع ؛ إذ هي قائمة على الانتقال من طور إلى طور في حركة منظّمة أبدعها المولى تعالى ،

(1) أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى : " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده " ، حديث (٢٩٨٨)

وهذا ما عبّرت عنه القراءة ( يُصَوِّرُكُمْ ) ، قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " ( يُصَوِّرُكُمْ ) على حسب ما يظهر لنا ، حالاً فحالاً " (١) .

أمّا القراءة بالماضي فإنّما جاءت على نسبة التّقدير ، وأنّ أفعاله تعالى - التي منها تصوير الخلق في أرحام أمّهاتهم - في حُكْم ما قد فرغ منه (٢) ، وهذه الدلالة مناسبة لمقام عظمته تبارك وتعالى وألوهيته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ لقمان: ٣٤ ، وخلق العباد ممّا اختصّ الله تعالى به وبعلمه فلا ينازعه فيه أحدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، وهذا ما أفادته القراءة بالماضي الذي " يعطي من المعنى أنّه قد كان ووَجِدَ ، وإنّما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها " (٣) ، وِفعلٌ : ( الخلق ) من هذا الباب ، إلا أنّه في حقّ الله تعالى ممّا استقرّ تحقّقه ، وفرغ منه ، قال تعالى : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَاحِدَةً ﴾ لقمان: ٢٨ .

ومؤدّي القراءتين بيان عظمة الله تعالى ، وإيراد الشواهد الدّالة على هذه العظمة ، وأبرز شاهدٍ تمّ إيراده فعلٌ ( الخلق ) الذي اختصّ المولى تبارك وتعالى به وبعلمه فقال : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ، ثمّ أورد دلالة جزئية تشير إلى هذا الفعل ، وهي : ( التصوير ) ، ولا تتناقض بين القراءتين إذ " لا اعتبار بالأزمنة في أفعاله تعالى " (٤) ، فهو ﴿ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣

ويرى الباحث أنّ النّظر إلى القراءة إنّ كان باعتبار الفعل مجرداً دون النّظر إلى أعيان مَنْ يقع عليهم الفعل ؛ فإنّ التصوير بالفعل الماضي ممّا قد فرغ الله تبارك وتعالى منه ، وتحقّق وقوعه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(١) أبو حيان : البحر المحيط، ٣٩٥/٢،

(٢) يُنظر : السيوطي ، قطف الأزهار ، ٥٥٨/١،

(٣) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٨٥/٢،

(٤) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط، ٣٩٥/٢،

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿١٧٢﴾ الأعراف: ١٧٢ . وإن كان النظرُ إلى أعيان من يقع عليهم الفعل ؛ فإنَّ القراءة بالمضارع ناسبت مشهد الحركة المتجدّدة المتمثّل في خلق الله تعالى لعباده ، وتصويره لهم في بطون أمّاتهم يوماً بعد يوم ، وزمناً بعد زمنٍ إلى أن يرث الأرض ومن عليها كما قال تعالى : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ الزمر: ٦ ، وقد جاء سياق الآيات من مطلعها إلى خاتمتها يؤكّد هذه الدلالة ، فقد صُنِّدَت الآيات بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ آل عمران: ٥ ، و( شَيْءٌ ) نكرةٌ في سياق النَّفي فتعمُّ ، وهي دالّةٌ على كمال العلم بالكليات والجزئيات<sup>(١)</sup> ، وهذا من كمال قُيُومِيَّتِهِ وتَمَامِ عَظَمَتِهِ تعالى ، لا يغيّب عن نظره غائبٌ ، ولا يَعْزُبُ عن عِلْمِهِ عَازِبٌ . ثم يستمرُّ السياق في التأكيد على هذه الدلالة بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ٦ ، ( يَصَوِّرُكُمْ ) بلفظ الحال ؟ أم بالمضى ؟ على ما سبق بيانه . وتفردُهُ بالمشيئة دليل هذه العظمة وبرهانها .

ثم يُختم سياق الآيات بإخلاص العبودية له : ( لا إله إلا هو ) ، ووَصَفَ تعالى نفسه بوصفين لخصاً مظاهر هذه العظمة هما : ( العزيز الحكيم ) ، قال الطُّوفِي : " الختم بالعزيز الحكيم مناسبٌ لأول الآية ، لأنَّ التصوير في الأرحام أمرٌ عظيمٌ لطيفٌ دقيقٌ ، يحتاج لِعَظَمِهِ إلى عِزَّةٍ وَقَدْرَةٍ ، وَلِلطَّفِهِ وَدِقَّتِهِ إلى حِكْمَةٍ " (٢) .

وهكذا تناسقت القراءتان في نظام بديع في رسم لوحة فنية من مظاهر عظمة الرَّبِّ تعالى ، وجاء سياق الآيات قبلُ وبعْدُ متناغماً مع هذه الدلالة ، مؤكِّداً عليها .

(١) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٩٥/٢

(٢) نقلاً عن : السيوطي : قطف الأزهار ، ٥٥٩/١

## ٢. ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ :

في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بَغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١

### ❖ مذهب القراء :

الخلاف في الفعل : ( يقتلون ) الموضع الثاني ، وفيه قراءتان متواترة ، وثالثة شاذة<sup>(١)</sup> :

- قرأ العشرة عدا حمزة : ( يَقْتُلُونَ ) بفتح الياء ، وإسكان القاف ، وحذف الألف ، وضم الناء .
- وقرأ حمزة : ( يُقَاتِلُونَ ) بضم الياء ، وألف بعد القاف ، وكسر الناء .
- وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والأعمش : ( قَاتَلُوا ) بالماضي ، وهي قراءة شاذة ، مخالفة لرسم المصحف ، يرى بعضهم أنَّ الأولى حملاً على التفسير<sup>(٢)</sup>.

### ❖ معاني القراءات ونوجيهاها :

توجَّه قراءة الجمهور ( يَقْتُلُونَ ) بغير ألف على معنى : القتل ، أمَّا قراءة حمزة ( يُقَاتِلُونَ ) فبمعنى : القتال وكلاهما مضارعٌ ، أمَّا قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والأعمش ( قَاتَلُوا ) فماضي ( يُقَاتِلُونَ ) ويحمل دلالته ، إلا أنَّه في الماضي<sup>(٣)</sup> .

(١) يُنظر: الطبري: جامع البيان ٢٨٩/٥، الداني: التيسير، ٢٤٩، أبو حيان: البحر المحيط، ٤٣٠/٢، ابن الجزري: النشر، ٥٣٨، السفاقي: غيث النفع، ١٣٧  
 (٢) يُنظر: عبد الجواد، سمير: التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش، ٣٦٣  
 (٣) يُنظر: الطبري: جامع البيان، ٢٨٩/٥، السمين: الدر المصون، ٩٤/٣



## ❖ أثر القراءات على المعنى :

تتحدث الآيات عن الصفات التي أُتسم بها اليهود ، قال الطبري ت(٣١٠هـ) : " هؤلاء أهل الكتاب كان أتباع الأنبياء يبهونهم ويذكرونهم ؛ فيقتلونهم " (١) ، وهذه الصفات ضمن قائمة طويلة من المعاني الرذيلة التي وُسموا بها ، وقد وصفتهم هذه الآيات بثلاث خصالٍ : الأولى : كفرهم بآيات الله تعالى ، والثانية : قتلهم الأنبياء بغير حقٍّ ، والثالثة : قتلهم من يأمر بالعدل ، يقول أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " فهذه ثلاثة أوصاف بُدئَ فيها بالأعظم فالأعظم ، وبما هو سببٌ للآخر ، فأولها : الكفر بالله ، وهو أقوى الأسباب في عدم المبالاة بما يقع من الأفعال القبيحة ، وثانيها : قتل من أظهر آيات الله واستدلَّ بها ، والثالث : قتل أتباعهم ممّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر " (٢) .

والحديث هنا عن صورة التغيّر الحاصلة في بنية الفعل من المضارع : ( يَقْتُلُونَ ) و ( يَقَاتِلُونَ ) إلى الماضي ( قَاتَلُوا ) ، لننظر هل يؤثر التغيّر الزمني لتلك الأفعال في هذه القراءات على الدلالة ؟ وهل قدّمت هذه الصورة من التغيّر ثراءً للمعنى القرآني ؟ أم أنها لم تعدُّ أن تكون مجرد اختلاف جرّت به القراءات القرآنيّة .

إنّ بنية المضارع أكثر انفتاحاً على خصيصة التغيّر والتحوّل من بنية الماضي الذي يفتح على دلالة التحقّق والثبات ، وإن كان بصورة أقلّ من الاسم المجرد من الدلالة على الزمن . وفي بنية الفعل ( يَقْتُلُونَ ) و ( يَقَاتِلُونَ ) تتجسّد هذه الدلالة . فالقتل : " إزالة الروح عن الجسد " (٣) ، والمقاتلة : " المحاربة ، وتحريّ القتل " (٤) ، وكلاهما سمة ملازمة لأهل الكتاب متجدّرةً فيهم ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ البقرة: ٦١ ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ آل عمران: ١١٢ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

(١) الطبري : جامع البيان ، ٢٩٠/٥

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٢٩/٢

(٣) الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ، ٦٥٥

(٤) المرجع السابق ، ٦٥٦

رُسِلَ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ آل عمران: ١٨٣ ، وغيرها من الآيات كثير ، وفي الحديث : عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةَ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ (١) ، وهذه الأعداد الكثيرة من القتل في هذا الحديث تدلُّ على تجذُّر هذه الصفة فيهم ، وأنها سمةٌ معهودةٌ عنهم مع أنبياء الله تعالى تمامًا كما حملته القراءة بالمضارع .

ويجدر التنبيه عند الحديث عن دلالة هذه القراءة ربطها بما قبلها من سياق الآيات ، فقد عطفَ الفعل على قوله تعالى : ﴿ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ آل عمران: ٢١ وعلى قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبْعَثُ عَلَيْهِمْ ﴾ آل عمران: ٢١ ، وفي تكرير الفعل ( يقتلون ) في الموضوعين دلالاتٌ ، منها :

- إمّا أن يكون العطف من باب عطف الجمل ؛ لغرض إبراز كلّ جملة في صورة التشنيع والتفطيع .
- أو لاختلاف ترتيب العذاب بالنسبة لمن وقع به الفعل ، فقتلُ الأنبياء أعظم من قتل من يأمر بالمعروف من غير الأنبياء ، فجعلَ الفعل بسبب اختلاف مرتبته كأنهما فعلاّن مختلفان .
- أو أن يراد بالقتل الأول : تفويت الروح ، وبالأخر : الإهانة ، فيكون معنيا الفعلاّن مختلفين (٢) .

(١) أخرجه البزار في مسنده ، مسند أبي عبيدة ، حديث (١١٧٠) ، وأورده الطبري : جامع البيان ، ٥/٢٩١

(٢) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٢/٤٣٠ ، السمين : الدر المصون ، ٣/٩٤

أمّا القراءة بالماضي ( قَاتَلُوا ) فيوردها السّمين ت(٧٥٦هـ) شاهدًا على قراءة حمزة ( يُقَاتِلُونَ ) بمعنى : المقاتلة ، واحتمل أن يكون المضارع ( يُقَاتِلُونَ ) في هذه القراءة لحكاية الحال ، ومعناه المضى<sup>(١)</sup>.

وصفة القتل سمة لآبائهم من قبل وإن كان المخاطب في الآية أهل الكتاب في عصر النبي ﷺ ، فالقراءة بالماضي تذهب بنا إلى صورة ما كانوا عليه من قتل ، وسفكٍ للدماء قديمًا . أمّا إسناد فعل القتل إليهم في الآيات مع أنه لم يصدر منهم وإنما صدر من آبائهم فربّما أنّ هذه الطريقة لمّا كانت طريقة أسلافهم وآبائهم ؛ صحّت إضافتها إليهم ؛ إذ صنع الأب قد يضاف إلى الابن لاسيما إن كان راضيًا به ، متولّيًا له ، وهم قد علّم منهم الرضا عن أفعال آبائهم وأسلافهم بل وتولّيهم لها ، ومحاسناتها في أحيان كثيرة والنسج على منوالها ، أو لأنّ من شأنهم القتل ، وعدم التورّع عنه إن لم يوجد مانع ، والتقييد ( بغير حق ) يُظهر هذا المعنى .

لقد صوّرت القراءتان معالم شخصية أهل الكتاب في تعاملاتهم مع أنبيائهم وأهل الفضل فيهم ، فنيّة الغدر والخيانة مبيّنة في قلوبهم ، وهذا واضح في سندهم المتصل بأسلافهم من الآباء والأجداد ، ذلك السند المليء بالخianات وجرائم القتل .

وقد خُتِمَت الآيات بقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ آل عمران: ٢٢ ، إشارة إلى أنّ هذا العقاب مناسب لحالتهم التي هم عليها سواء استمروا في القتل والنكايّة بهؤلاء الصنف من المصلّحين ، واستمروا ذلك على نحو ما حملته قراءة المضارع : ( يَقْتُلُونَ ) و( يُقَاتِلُونَ ) ، أم وافقوا أسلافهم وآباءهم في صنيعهم ، ووالّوهم على ذلك الفعل الشنيع ، وتابعوهم عليه على نحو ما حملته قراءة الماضي ( قَاتَلُوا ) ، بأيّ الحالين كانوا وعلى أيّ الطرفين هم ؛ فـ ( مالمهم من ناصرين ) ، ذلك أنّهم ما استنقوا

(١) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٩٤/٣

على أولئك النَّفَر قَدِيمًا وَحَدِيثًا إِلَّا لَعْدَمِ وَجُودِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ ، فَنَاسِبُهُمْ أَنْ يَصْطَلُّوا بِنَفْسِ النَّارِ الَّتِي كَوَّأَ بِهَا غَيْرَهُمْ .

وهكذا تنوعت القراءات في تناسق عجيب في بيان الحالة التي أُتسم بها أهل الكتاب حيث أُلقت كلُّ قراءة الضوءَ على جزءٍ من تاريخ هذه الشعوب ، ورسمت ملامح حقبة من أحقاب سِنِّيهِمْ وتاريخهم ، فهم امتدادٌ لمن قبلهم ، كما أنّ من قبلهم سلفٌ لهم : ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ التوبة: ٦٧ ، ليكون مؤدّى القراءات لا تعارض بينها ، المعنى فيها : إرذالٌ لمن انتصب لعداوة رسول ﷺ ؛ إذ هم سالكون في ذلك طريقة آبائهم<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر : أبو حيان البحر المحيط ، ٢/٣٠٤

□ ٣. ﴿وَنَمْنَعُكُمْ﴾ :

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤١

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة ( نَمْنَعُكُمْ ) بالجزم عطفًا على ما قبله ( نستحوذ ) .
- وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه ( وَمَنْعَاكُمْ ) فعلاً ماضياً ، وهي شاذة لمخالفتها رسم المصحف<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراء انين ونوجيههما :

قراءة العشرة بالجزم واضحة في أنَّ عطف الفعل ( نَمْنَعُكُمْ ) على ما قبله من أفعال جزمت بـ ( ألم ) .

أما القراءة بالماضي ففيها حملٌ على معنى ما قبله ، فإنَّ معنى ( ألم نستحوذ ) : إنَّا قد استحوذنا<sup>(٢)</sup> ، وأجاز الفراء ت(٢٠٧هـ) أن تكون جملة ما بعد الواو في ( ومنعناكم ) على هذه القراءة في تأويل جملة معطوفة أو حالية ، يقول : " فإنَّ شئت جعلت : ( ومنعناكم ) في تأويل ( وقد كنا منعناكم ) ، وإن شئت جعلته مردوداً على تأويل : ( ألم ) كأنه قال : أمَّا استحوذنا عليكم ، ومنعناكم<sup>(٣)</sup> .

(١) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٤/١٢٤

(٢) يُنظر : الفراء : معاني القرآن ، ١/٢٩٢

(٣) المرجع السابق ، ١/٢٩٢ ، ويُنظر : النحاس : إعراب القرآن ، ٢١١

## ❖ أثر القراءتين على المعنى :

ذكر ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) أنّ هذه الآية نزلت في المنافقين خاصّةً قال : مقاتل : كان المنافقون يتربّصون بالمؤمنين الدوائر فإن كان الفتح قالوا : ألم نكن معكم ؟ فأعطونا من الغنيمة ، وإن كان للكافرين نصيب أي : دَوْلَةٌ على المؤمنين قالوا للكفار : ألم نستحوذ عليكم<sup>(١)</sup> . أي " ألم نغلب على أموركم ، ونستول على مودتكم "<sup>(٢)</sup> والاستحواذ : " التغلّب على الشيء ، والاستيلاء عليه "<sup>(٣)</sup> .

وفي هذا الخطاب المتأرجح لمثل هذا الصنف من الناس ، الذين هم تارة مع المؤمنين وتارة مع الكفار دليلٌ جليٌّ على دورانهم مع مصلحتهم ، وعدم اتزانهم وثباتهم على موقفٍ واحد ، كما قال تعالى : ﴿ مُدْبِرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ النساء : ١٤٣ ، هذا التذبذب والتأرجح في المبادئ والقيم صورته القراءتان صورةً واضحةً جليّةً بوضوح موقفهم ، فخطابهم للمؤمنين ببنية المضارع ( نَكُنْ مَعَكُمْ ) دليلٌ واضح على تمكّن الرعب من قلوبهم ، وإقرارهم بالغلبة للمؤمنين وإن تأخّر وقت هذا الإقرار ، لذا آثروا أن يدوروا مع مصلحتهم حيث دارت ، وليضمّنوا استعطاف المؤمنين واستدّارَ محبّتهم عبّروا عن ذلك بالمضارع مجدّدين هذا الروغان ، مستمرّين في مسك العصا من الوسط ، كلّما بدا فتح ظهر الخطاب ( أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ) ، وإن وزّعت الغنائم تردّد الصوت : ( أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ) ، وهكذا لا شيء يجمعهم ويفرقهم سوى المصلحة والأغراض الدنيوية .

ولمّا كانت الدَوْلَةُ للكفار على المسلمين وهم يعلمون أنّها حالة استثنائية يمرُّ بها المسلمون ؛ فإنهم صاغوا خطابهم وفق المصلحة ، فجاء الخطاب تارةً بالمضارع : ( نَمْتَعُكُمْ ) ، وتارةً بالماضي : ( مَتَعْنَاكُمْ ) .

(١) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢/٢٢٩

(٢) السمين : الدر المصون ، ٤/١٢٤

(٣) الجوهري : الصّاح ، ( مادة حوذ ) ، ٢٧٢

- ( نَمَنَعُكُمْ ) : مجدّدين الولاء ومبرمين العزم على نصره الكفار طالما كانت الدولة لهم ، " والمضارع في هذه الحالة يدلُّ على استحضر الصورة ؛ لأنَّ صيغته تحمل الحدث من قلب الزمّان الغابر لتصنعه أمام الحاضر الرّاهن في جلاء ووضوح " (١) ، لذا تراهم يؤثرون المضارع عند ذكر الحدث الأهمّ ، والأهمُّ لهم في هذا الموقف ألا يُنسوا في مصالحهم ورغباتهم ، وهذا المعنى يناسب بجلاء الصورة التي عرضوها للكفار مذكّرين لهم بمعاني ( نَمَنَعُكُمْ ) التي يعتبرونها سجلاً إنجازات تشهد لهم أنّهم السبب في هذا النصر ، وتشفع لهم في الحصول على منافعهم ومصالحهم ، وهذه المعاني أوردتها ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) عند حديثه عن هذه الآية فقال : " وفي ( نَمَنَعُكُمْ ) أقوال : نمنعكم منهم بتخذيّلهم عنكم ، وبما نُعلّمكم من أخبارهم ، وبصرفنا إيّاكم عن الدخول في الإيمان " (٢) ، وفي كل معنى من المعاني السابقة يظهر مقدار اللجاجة والحرص على عرّض الدنيا ، وتقديمهم الدليل تلو الدليل ، حرصاً على منافعهم .

- ( مَنَعَاكُمْ ) : يعود بهم الخطاب إلى الماضي ، وينقل لهم صورة قد عفا عليها الزمن ، يخشون أن تُتسى ، وما عليهم في تغيير صيغة خطابهم ما دام أنّ هذا الخطاب يجلب مصالحهم ، ويحقّق لهم منافعهم فقالوا : " نَبْطَنَاهُمْ عَنْكُمْ ، وَخَيَّلْنَا لَهُمْ مَا ضَعُفَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، وَمَرْضَوْا فِي قِتَالِكُمْ ، وَتَوَانَيْنَا فِي مَظَاهِرْتَهُمْ عَلَيْكُمْ ، فَهَاتُوا نَصِيحًا لَنَا بِمَا أَصَبْتُمْ " (٣) .

وهذا التغيّر في بنية الفعل يؤكّد ما أشار إليه الباحث من موقفهم المتأرجح ودورانهم مع المصلحة وجوداً وعدمًا ، فجاءت القراءتان تكشفان بجلاء أغراضهم من هذا التلوّن ، ومردّد المعنى في القراءتين إلى : " إظهار المنّة منهم على الكفار ولسان حالهم : اعرفوا لنا هذا الحقّ عليكم " (٤) . ولمّا كانوا بهذا المستوى من الجشع والحرص على المتاع الدنيوي الزائل ولو بأساليب من النكابة والخداع ؛ أراد الله تبارك وتعالى أن يقلّل

(١) أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني ، ١٠١ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢/٢٢٩ .

(٣) الزمخشري : الكشاف ، ١/٦١٢ .

(٤) ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢/٢٢٩ .

من شأن ما حصلوا عليه من غنائم فسَمِيَ ظفر المؤمنين ( فَتْحًا ) وظفر الكافرين ( نَصِيْبًا ) ، ونسب ( الْفَتْح ) إليه ، بينما لم ينسب ( النَّصِيْب ) إليه ، فقال في المؤمنين : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ النساء: ١٤١ ، وقال في حق الكفار : ﴿ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ النساء: ١٤١ ، كل ذلك تحقيرًا لهم ولشأنهم وتخسيسًا لما حصلوا عليه ، وأنه ما هو إلا " حظُّ دنيٍّ ، وَلَمْظَةٌ مِنَ الدُّنْيَا يَصِيْبُونَهَا " (١) .

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٦١٢/١



## ٤. ﴿يُوقَدُ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِثْلُ مِصْبَاحٍ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٥

### ❖ مذهب القراء :

- قرأ حمزة ، والكسائي ، وشعبة ( تَوْقَدُ ) بالتاء المضمومة ، وإسكان الواو ، وفتح القاف مخففة وضم الدال ، مضارعٌ ( أَوْقَدُ ) مبني للمفعول .
- قرأ نافع ، وابن عامر ، وحفص ( يُوقَدُ ) كالقراءة السابقة إلا أنّها بياء مضمومة أول الفعل .
- قرأ السلمي ، وابن محيصة ، وعاصم من طريق المفضل ( تَوْقَدُ ) بفتح التاء والواو والقاف مشددة ، وضم الدال آخر الفعل ، مضارعٌ ( تَوْقَدُ ) .
- قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب ( تَوْقَدُ ) بفتح التاء والواو ، والقاف مشددة والدال ، فعلٌ ماضٍ<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراءات ونوحيها :

الخلاف بين صور القراءات الأنفة الذكر هو في إسناد الفعل للفاعل ، وما يترتب على ذلك من تأنيث الفعل أو تذكيره .

- فالقراءة بالفعل ( تَوْقَدُ ) بالتاء المضمومة ، وإسكان الواو ، وفتح القاف مخففة ، وضمّ الدال : مضارعٌ لم يسمّ فاعله ، وماضيه ( أَوْقَدُ ) ، وجعل الإيقاد للزجاجة ؛

(١) يُنظر : الداني : التيسير، ٣٨٣ ، ابن الجزري : النشر، ٦٠٤ ، السفاقي : غيث النفع، ٤٢٣ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ، ١٨٤/٢ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر، ٢٩٨/٢ ، ابن خالويه : القراءات الشاذة ١٥٤،

لأنّه جاء في سياق وصفها ، وقَرَّبَ منها ، فَجَعَلَ الخبر عنها لقربها منه ، وبُعَدَها من المصباح . والمعنى في الآية على هذه القراءة محمولٌ على مصباح الزُّجاجة ، فَحُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وجاز أن يوصف الإيقاد بالزُّجاجة ؛ لارتفاع اللبس عن وهم السامعين وعلمهم المراد من الكلام ، وهذا سائغ كثيراً في كلام العرب إذ يسندون الأفعال إلى مالا فاعل له في الحقيقة ؛ إذا كان الفعل يقع فيه فيقولون : ( ليلٌ نائمٌ ) ؛ لأنَّ النوم فيه ، وكما قال تعالى : ﴿ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ إبراهيم : ١٨ ، فالعصوف للرَّيح ، فجعله من صفة اليوم لكونه فيه<sup>(١)</sup> .

- والفعل على قراءة ( يُوقَدُ ) : بضمّ الياء ، وسكون الواو ، وفتح القاف مخففة ، وضم الدال ، مضارعٌ لم يسمَّ فاعله ، مسندٌ إلى المصباح والمعنى : " أنَّ هذا المصباح يوقد من زيت شجرة . فحذف المضاف "<sup>(٢)</sup> ، وقد جعله بعضهم<sup>(٣)</sup> مسنداً إلى الكوكب كونه يوصف كثيراً بالتوقُّد المشابه لتوقُّد النيران ، وردَّ عليه<sup>(٤)</sup> بأنَّ في ذلك فساداً للمعنى .

- والفعل على قراءة ( تَوَقَّدُ ) بفتح التاء ، والواو ، والقاف مشددة ، وضم الدال مضارعٌ حذفته منه التاء ، والمعنى : ( تتوقَّد ) ، ويحمل الكلام فيه على الزُّجاجة.

- و الفعل على قراءة ( تَوَقَّدُ ) بفتح التاء ، والواو ، والقاف المشددة ، والدال ، ماضٍ مضارعه ( يَتَوَقَّدُ ) ، يعود للمصباح ؛ لأنّه هو الذي يتوقَّد ، ويرى مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ) أنَّ المعنى للمصباح لكنّ لما التبس المصباح بالزُّجاجة

(١) يُنظر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٠٠ ،

(٢) ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ، ٥٦١-٥٦٢ ،

(٣) يُنظر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٠٠ ،

(٤) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٤٠٧/٨ ،

؛ حُمِلَ التَّأْنِيثُ عَلَى الزُّجَاجَةِ ، وَجَعَلَ الْفِعْلَ مَاضِيًّا<sup>(١)</sup> ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : " الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، تَوْقَدُ الْمَصْبَاحُ "<sup>(٢)</sup>

### ❖ أثر القراءات على المعنى :

سيناقش الباحث صورة التغيُّر في بنية الفعل بين القراءتين ( يُوقَدُ ) بالمضارع إلى الماضي ( تَوْقَدُ ) ، والكلام في بقية القراءات تبع في الغالب لهاتين القراءتين . في هذه الآية مثلٌ ضرب به الله تعالى لبيان نوره على قلوب عباده ، وللعلماء في وجه هذا المثل أقوالٌ ثلاثة<sup>(٣)</sup> :

- الأول : شُبِّهَ نُورُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْمَصْبَاحِ النَّيِّرِ ، فَالْمَشْكَاءُ : جَوْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْمَصْبَاحُ : النُّورُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ، وَالزُّجَاجَةُ : قَلْبُهُ ﷺ .
- الثاني : شُبِّهَ نُورُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَصْبَاحِ ، فَالْمَشْكَاءُ : صَدْرُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمَصْبَاحُ : نُورُ الْإِيمَانِ فِيهِ ، وَالزُّجَاجَةُ : قَلْبُهُ .
- الثالث : شُبِّهَ الْقُرْآنُ بِالْمَصْبَاحِ ، وَالزُّجَاجَةُ : قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمَشْكَاءُ : لِسَانُهُ وَفَمُهُ .

ويرى الباحث أنَّ توجيهِ المثلِ بَأَنَّ المَشْكَاءَ جَوْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْمَصْبَاحُ : النُّورُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ، وَالزُّجَاجَةُ : قَلْبُهُ ﷺ بَعِيدٌ لِعَدَمِ دَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْمَعَانِي فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - ، فَهِيَ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مِنْ بَابِ اخْتِلَافِ التَّنَوُّعِ عَلَى نَحْوِ مَا فُسِّرَ بِهِ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ<sup>(٤)</sup> فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(١) يُنْظَرُ : مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ : الْكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، ١٣٨/٢

(٢) الرَّجَّاجُ : مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ ، ٤٤/٤ ، وَيُنْظَرُ : الْمَجَاشِعِيُّ ، عَلِيٌّ بْنُ فَضَالٍ : النُّكْتُ فِي الْقُرْآنِ ، ٤٤٠ ،

(٣) يُنْظَرُ : ابْنُ الْجَوْزِيِّ : زَادَ الْمَسِيرَ ، ٤٤/٦ ؛

(٤) يُنْظَرُ : الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ١٥/١

الفاتحة: ٦ . و يميل الباحث إلى توجيه المثل بالإيمان ؛ فمن تأمل سياق الآيات قبل إيراد هذا المثل وجد استفاضة في ذكر الإيمان ومفرداته كما في الآيات :

- ﴿ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٣
- ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ النور: ١٢
- ﴿ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ١٧
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ١٩ .

ويستمر سرد هذه القضية في سياق الآيات إلى أن نصل لقوله تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١ ، فتوجيه المثل إلى الإيمان مناسبٌ للسياق .

- في قراءة المضارع ( يُؤَفِّدُ ) إفادة تجددٍ إيقاد هذا الإيمان واتقاده في قلب المؤمن فلا يذوى ولا يُطْفَأُ<sup>(١)</sup> . لقد بُنِيَت الآية في مُجْمَلِهَا على معنيين : الثَّبات ، والتجدُّد . فـ ( الثَّباتُ ) مأخوذٌ من توارد الأسماء في هذه الآية الكريمة مثل : ( اللهُ نُورٌ ) ، ( المِصْبَاحُ ) ، ( الزُّجَاجَةُ ) هذا الثَّبات في مقام الحديث عن نور الله تعالى الذي نورُ السماوات والأرض بجلاله وبهائه ، ومنه نور الإيمان ، الذي يحتاج في حقيقته إلى ثبات ومداومة وملازمة عليه ، كحال ما بُنِيَت عليه الآية في شقِّها الأول . وفي المقابل أُخِذَ معنى التجدُّد من توارد مجموعة من الأفعال عبَّرَ عنها بالمضارع نحو : ( يُؤَفِّدُ ) ، ( يَكَادُ ) ، ( يُضِيءُ ) ، ( تَمَسَّسَهُ ) ، ( يَهْدِي ) ، ( يَضْرِبُ ) ، وكانَّ قضية الإيمان ممَّا يحتاج فيها الإنسان إلى حركة دؤوب لتحصيله ثمَّ الثَّبات عليه ، فجاءت القراءة بالمضارع في هذه الآية موافقة لهذا الجو العام الذي رُسمت فيه هذه اللوحة الفنية البديعة .

(١) يُنظَر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٣٩/١٨

كما أنَّ القراءة بالمضارع تُوجِّه لفتةً تربويةً لنا معاشر المسلمين من خلال توجيه الله تعالى لنا بالحفاظ على هذا الإيمان ، والترقي في درجاته ، وبنية الفعل ( يُوقَدُ ) أوحى بهذه الدلالة ، فكما لا يخفى ما في الإيقاد من بعث الهمة ، فالإيقاد : " وضع الوقود ، وهو : ما يُزاد في النَّار المشتعلة ليقوى لهبها " (١) ، " وتوقَّد الشيء : تلاًأً " (٢) فكذلك الإيمان يحتاج إلى هذا الوقود ليستمرَّ ويتجدَّد ، ومن ثمَّ تتلأأً النفس متَّقدةً بنشاطه ، مفعمةً بحيويته .

- أما القراءة بالماضي ( تَوَقَّدَ ) فقد أفادت أنَّ : " وقود الإيمان قد ثبت وتحقَّق " (٣) . ولا شكَّ أنَّ هذه المرحلة جاءت بعد عناء وجهد كبيرين من الحركة والحرص على الترقي في درجات الإيمان ومنازله ، وهذا ما فهم من الدلالة السابقة لقراءة المضارع ( يُوقَدُ ) ، ولما أنَّ حصلت المجاهدة ، واستنأذ الإنسان الطاعة ، وذاق حلوتها وصار الإيمان وصفاً لازماً له ؛ جاء التعبير بالماضي ( تَوَقَّدَ ) الملازم للإنسان في جميع أحواله ، وبه صار علماً يهندي به الناس إلى هذا الطريق طريق الإيمان . وفي تشديد الماضي ( تَوَقَّدَ ) أبرز الدلالة على هذه الهداية ، فزيادة إيمانه ازداد تألقاً واشتعالاً ، وهذا كفيلاً بأن يجعله علماً يقتدي به النَّاس ، " وهذا حال قلب المؤمن المنار بالإيمان من الله تعالى ، فهو إيمانٌ قويٌّ ، تأثيره كبيرٌ على المؤمنين وأفعالهم " (٤) ، يقول القاسمي ت(١٣٣٢هـ) : " فإنَّ النور ظاهرٌ بذاته ، مظهرٌ لغيره " (٥) .

لقد صوّرت القراءتان حالتين مختلفتين في الشَّكل ، متكاملتين في المضمون يراد للمؤمن أن يكون عليهما ، يراد منه أن يكون حريصاً على تعاهد إيمانه ، والاستقامة عليه ، والترقي في درجاته ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾ النساء: ١٣٦

(١) ابن عاشور : التحرير والتتوير ، ٢٣٩/١٨

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة ( وقد ) ، ٤٨٨٨

(٣) ابن عاشور : التحرير والتتوير ، ٢٣٩/١٨

(٤) جاد الله ، هدى : تفسير القرآن بالقراءات العشر (النور - النمل) ، ٥٢

(٥) القاسمي : محاسن التأويل ، ٤٥٢/١٢

، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ الْخُلُقُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ " (١) . وهذه الحالة صورتها قراءة المضارع ( يُوقَدُ ) ، كما أنّ القراءة بالماضي صورت حالة أخرى يراد من الإنسان تحقيقها هي: الثبات على الإيمان ، وعدم انحطاطه عن الحد المرخص له فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا ﴾ الأنفال: ٤٥ ، " فهديا لله قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات ، وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي يكون فيه زجاجة صافية ، وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية بالصفاء " (٢) . وهذه الهداية تستلزم منه أن يثبت عليها ، ويتحقق من وجودها في حياته العملية تماما كما حققتها دلالة القراءة بالماضي ( تَوَقَّدَ ) .

وبذا يتضح للقارئ الكريم بعد دراسة هذه الصورة أنه من غير المقبول أن نعدّها صورة عاديّة مفرغة من الإيحاءات والمعاني ، أو أن ننكئ من خلالها على القول بالتنوع في الأساليب ، التي تحدث في نفس الناقد والباحث تناقضا مرده إلى أنّ القرآن الكريم نصّ إعجازيٌّ بدیع في أسلوبه ، معجز في بلاغته ، والقول بالتنوع في الأساليب يشعر بأنّ عوامل الإضجار والرتابة قد حفت به وما جاء التنوع إلا ليكسر الرتابة ويذهب السامة . وهذا ادعاءٌ خطير في حق كلام الله تعالى ، فإذا كان التغيّر عن بنية إلى بنية أخرى في الكلام العادي لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك كما يقول ضياء الدين بن الأثير ت(٦٣٧هـ) (٣) ، فكيف الحال مع أرقى لغة في الخطاب ، وأسلم نصّ من النقص ، وعليه فمن جملة ما أحدثته هذه الصورة من دلالات أنّها أظهرت الرغبة في حصول الفعل ، وأنّ المضارع لاحق للماضي في التحقّق والحصول . كما أفادت الاستمرار التجديدي لاسيما إنّ كان الخطاب متعلّقا بأفعال الله تعالى كالخلق والرزق والتدبير وغيرها .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في الصحيحين ، كتاب الإيمان ، باب إن الإيمان لخلق في جوف أحدكم ، حديث(٥)

(٢) ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، ٣٨٦/١٤

(٣) يُنظر : ابن الأثير : المثل السائر ، ١٨٣/٢

## الفصل الثاني

التغير من الفعل الماضي إلى  
الأمر والعكس ، ودلالة ذلك

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغير من الفعل  
الماضي إلى الأمر ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغير من الفعل  
الأمر إلى الماضي ، ودلالته .



## المبحث الأول :

التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر ، ودلالته





### توطئة :

الأمر: طلب الفعل بصيغة مخصوصة<sup>(١)</sup> ، ويمثّل التغيّر من الماضي إلى الأمر في القراءات القرآنية عدولاً عن أسلوب الإخبار إلى الإنشاء الطلبي ، وهما أسلوبان مختلفان من أساليب اللغة العربية مبنّى ومعنى .

وقد علّم فيما سبق أنّ الماضي يحمل دلالة تحقّق وقوع الفعل ، وحضور جميع مشاهدته على مسرح الحدث ، في حين أنّ الأمر يؤكّد هذا الحضور ويظهر الرغبة في تحقيق وقوع الفعل على وجه الإلزام . والنّاظر في دلالات التغيّر من الماضي إلى الأمر يلحظ توجيهاً للكلام بصيغة مباشرة بعيداً عن الغموض والإبهام الذي ربّما يكتنف أسلوب الإخبار الناشئ عن عدم التحديد ، الذي قد يتوهم معه السامع معنى غير المعنى المراد ، لذا " كان العدول إلى الأمر يدلُّ على طلب الفعل على سبيل الوجوب ، ويحمل في طبيّاته الزمن الحاضر والمستقبل"<sup>(٢)</sup> . وفي هذا تعيينٌ مباشرٌ للمتّقين بما يحقّق أغراض هذا العدول . والحقيقة أنّ دلالة الوجوب التي يُحدّثها فعل الأمر لا ينبغي تجريدها عن السياق ، بل ينبغي أن تُفهم في ضوء السياق نفسه بالمقارنة مع الفعل المعدول عنه ، الذي يمثّل هنا الماضي ، لنرى أنّ الوجوب ربّما خرج إلى أغراض بلاغية أخرى على سبيل المجاز تتماشى مع السياق العام .

وقد اجتهد الباحث في استقراء الأفعال التي وردت على هذه الصورة من التغيّر بين القراءات القرآنية فألفاها ( سبعة أفعال ) ، توزّعت على ( أحد عشر ) موضعاً ، يحسب الباحث أنّ ليس في هذه الصورة من التغيّر أفعالٌ سوى ما ذكر ، وقد أثبتّها الباحث في جدول خاصّ في الملاحق<sup>(٣)</sup> ، وسيتناول بالتحليل والدراسة النماذج التالية :

(١) يُنظر: ابن يعيش : شرح المفصل ، ٥٨/٧

(٢) الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ، ٧١

(٣) يُنظر : ملاحق الرسالة

١. ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ إبراهيم: ١٥

❖ مذهب القراء :

- قرأ العشرة بالماضي : ( اسْتَفْتَحُوا ) بفتح التاء .
- وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ، وابن محيصن بالأمر : ( اسْتَفْتِحُوا ) بكسر التاء ، وهي شاذة<sup>(١)</sup> .

❖ معاني القراءتين و نوجيههما :

تُوجَّهُ قراءة الماضي على العطف على الفعل ( أَوْحَى ) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ إبراهيم: ١٣ - ١٥ ، وفي الضمير المتصل بالفعل ( اسْتَفْتَحُوا ) أقوال ، منها<sup>(٢)</sup> :

- عائدٌ على الرُّسل الكرام : وعلى هذا يكون معنى الاستفتاح : الاستتصار : أي استنصروا الله على أعدائهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ الأنفال: ١٩ ، أو : طلب الحكم والقضاء ، من الفتاحة : أي استحكّموا الله تعالى ،

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ١١٠ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٧٣٢/١ ، الدميطي : إتحاف فضلاء البشر ، ١٦٧/٢

(٢) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير ، ٣٥١/٤ ، السمين : الدر المصون ، ٧٨/٧

وطلّبوه القضاء بينهم ، كما قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] .

- أو عائدٌ على الكفار : واستفتاحهم : سؤالهم العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦] .

- أو عائدٌ على الفريقين : لأنَّ كلًّا طلب النَّصر على صاحبه .

أمَّا قراءة الأمر فتوجّه على العطف على ( لَنْهَلِكَنَّ ) ، قال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) : " وقرئ ( واستفتحوا ) بلفظ الأمر . وعطفه على ( لَنْهَلِكَنَّ ) ، أي : أوحى إليهم ربهم وقال لهم : لنهلكنَّ ، وقال لهم : استفتحوا " (١) ، وتقوي هذه القراءة عود الضمير في الفعل على الرُّسل .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

كثيراً ما شهد القرآن الكريم معارك من الخصومة وإثبات الحجة والدليل بين الأنبياء وأقوامهم ممن كذبوهم وناصروهم العدا ، وعندما يعرض القرآن الكريم مثل هذا النوع من الخصومات ؛ فإنَّ صورة التشخيص تبدو واضحة جليّة في إبراز المعركة ، ونقلها من حكاية تروى إلى مشهد يُنظرُ ويُسْمَعُ ، وتُقرأُ كلُّ فصوله ، وهو أسلوبٌ بديعٌ من جماليّات الأداء في القرآن الكريم . وقد مثلت الآيات من سورة إبراهيم جزءاً من مساحة المناظرات والحوارات التي جرت بين الأنبياء وأتباعهم ، وبين الجاهليّات المكذبة بالرُّسل والرِّسالات .

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٥١٢/٢

لقد شهدت السورة منذ مطلعها معارك طاحنة بين الصنفين تزداد سخونتها كلما تقدّم بنا السياق ، وأول ما يطالعنا الحديث عن موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل المعروفين بجدا لهم ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ إبراهيم: ٦ ، ويقول بعدها : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٨ ، وهكذا تزداد سخونة هذه الأجواء بنزايدها وتيرة الخطاب والحوار بين الفريقين حتى يحضر المشهد التالي في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِدَعْوِكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مَنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إبراهيم: ١٠ ، فيأتي الرد : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إبراهيم: ١٠ ، صلّف وتمرد على النواميس الإلهية ، ثم يُستأنف الحوار على لسان الرُّسل بقولهم : ﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ إبراهيم: ١١ ، لكنّ هذه اللغة السليسة السهلة ، وهذا الخطاب المتسم بالرفق من أنبياء حرصوا على هداية أقوامهم ما كان ليؤثّر في قلوب طُبع عليها ، ومِلّت غلا وحسداً ، فيأتي ختام المشهد في موقف من المفاصلة والافتراق يقول فيه تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم: ١٣ ، إلى هنا لا ينبغي أن يتجاوز أمثال هؤلاء حدود الأدب مع أنبياء الله تعالى ، وقد غلب على خطابهم الغلظة والجفاء مع من لهم عليهم حقٌّ ، فجاءت القراءة ( اسْتَفْتَحُوا ) بعد جملة من التوكيدات الإلهية والضمانات الربانية : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ لَتُهْلِكُنَّ ﴾ ، ﴿ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ ﴾ ، لترسم " موقف الطغاة المتجبرين بقوتهم الهزيلة الضئيلة في صف ، وموقف الرُّسل الداعين المتواضعين ومعهم قوة الله سبحانه في صف . ودعا

كلاهما بالنّصر والفتح<sup>(١)</sup> ، وكانت العاقبة كما يجب أن تكون : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ إبراهيم : ١٥ . لقد أحدثت القراءة بالماضي جملة من الدلالات حيث جعلت المشهد متعاوراً بين صنفين : الأنبياء ومكذّبيهم ، فإنّ كان المُستفْتَحون : الرُّسل ؛ كان المعنى : أنّ الرسل استفتّحوا ، أي : طلبوا النّصر فنصروا ، وظفروا بمقصودهم ، وفازوا ، و ( خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) وهم قومهم ، وإنّ كان المستفتّحون : الكفرة من أقوام الأنبياء ؛ كان المعنى : أنّ الكفار استفتّحوا على الرُّسل بطلب العذاب على سبيل التهكّم والاستهزاء ظناً منهم أنّهم على حقّ ، والرسل على باطل ، ومع فعلهم هذا فقد : ( خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) منهم ؛ بسبب استفتاحه على الرُّسل . وإنّ قلنا : المستفتّحون هم : الفريقان : الأنبياء ومكذّبوهم ؛ فإنّهم كلّهم سألوا الله تعالى أن ينصر المحقّ ، ويبطل المبطل<sup>(٢)</sup> . ويزيد الباحث أنّ استفتاح كلا الطرفين : الأنبياء بطلب النّصر ، ومكذّبيهم بطلب العذاب كان مصحوباً بإلحاح وجهه بُدْلاً في سبيل تحقيق هذا الطّلب ، ويظهر هذا المعنى من مجيء الفعل ( استفتّح ) على بُنية ( استفتّعل ) ، قال ابن سيده ت(٤٥٨هـ) : " قال أبو علي : اعلم أنّ أصل ( استفتّعلت ) الشيء في معنى طلبته واستدعيته ، وهو الأكثر<sup>(٣)</sup> ، وزيادة المبني تدلُّ على زيادة المعنى كما قرّر ذلك المحقّقون من أهل اللغة ، قال أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) : " لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد ، قالوا : فإذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه : ( مِفْعَل ) مثل : مرّحَم ومحرّب ، وإذا كان قوياً على الفعل ، قيل : ( فَعُول ) ، مثل : صبور وشكور...<sup>(٤)</sup> ، فلمّا حصلت الزيادة في بنية الفعل بالهمزة ، والسين ، والناء في أوّله ؛ أفادت زيادةً في دلالته تحصّل منها اقتران طلب الصنفين بإلحاح وجهه زائدين عن مستوى الطلب العادي الذي يفهم من بنية الفعل مجردة ، وجميل إشارة من أشار بأنّ هذه الزيادة تفيد المبالغة إمّا : من جهة كثرة الإتيان بالفعل ، أو من الجهد

(١) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ، ٢٠٩٣/٤ ،

(٢) يُنظَر : الرازي : مفاتيح الغيب ، ١٠٣/١٩ ، أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٠١/٥

(٣) ابن سيده : المخصّص ، ١٨٠/١٤

(٤) العسكري ، أبو هلال: الفروق اللغوية ، ٢٤

الكبير الذي يبذله الفاعل عند إتيانه بالفعل<sup>(١)</sup> ، وينظر الباحث - والله أعلم - إلى هذه المبالغة على هذه القراءة من جهة كثرة الإتيان بالفعل فإنّ الله تعالى أخّر الفعل ( اسْتَفْتَحُوا ) عن الفعلين : ( أوحى ) ، ( لَنُهْلِكَنَّ ) ، دلالة على أنّ الأنبياء لم يزلوا داعين إلى أن تحقّق الموعد من إهلاك الظالمين<sup>(٢)</sup> ، هذا في حقّ الأنبياء ، أمّا في حقّ مكذّبيهم فالسياق ينبئ أنّهم ما طلبوا العذاب وأكثروا من هذا الطلب إلا تهكّمًا وسُخريّةً ، وقد استقرّ عندهم ألا سبيل إلى وصول صنف من أصناف العذاب إليهم ؛ لذا لا ضير أن يتكرّر منهم هذا الطلب ما دام أنّه يشبع رغباتهم باحتقار الآخرين ، وختام الآية بقوله : ( وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ) يوحى بجو الغطرسة الذي يعيشونه وعدم مبالاتهم تجبرًا وعنادًا.

ولمّا تغيرت بنية الفعل إلى الأمر : ( اسْتَفْتَحُوا ) تغيرت معها جملة من الدلالات التي ناسبت المقام والمقال . فاستفتحوا : أمرٌ للرّسل بطلب النّصرة<sup>(٣)</sup> ، وعليه فقراءة الأمر إنّما تتوجّه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويرى فيها الباحث - والله أعلم - عددًا من الدلالات :

- الترتيب الزمني المستفاد من التغيّر بين القراءتين ، فإنهم لمّا ( اسْتَفْتَحُوا ) سألوا الله تعالى أن يفتح عليهم ، " أي : ينصرهم " <sup>(٤)</sup> ، و" أذن لهم في الاستفتاح على قومهم ، والدعاء بهلاكهم " <sup>(٥)</sup> ؛ أمروا به بلفظ ( اسْتَفْتَحُوا ) .

- ولمّا كان استفتاح الكفّار على أنبيائهم على سبيل التهكّم والاستهزاء ، أراد الله تعالى أن ينتقم لأنبيائه ، فأهمل ذكر أعدائهم على هذه القراءة وما التفت إليهم بخطاب ، وفي عدم الذّكر تهكّمٌ وازدراء .

(١) يُنظر : الأرنؤوطي ، زهير : دلالة استفعل على المبالغة في القرآن ، ص ١

(٢) يُنظر : الألوسي : روح المعاني ، ١٩٠/٧

(٣) يُنظر : ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، ٣٥٦/١١

(٤) الزّجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ١٥٦/٣

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ١١٧/١٢

- كما أنَّ في اختصاص الخطاب بالأنبياء دون غيرهم مزيدٌ مزيَّةٌ واهتمام ، ومبلغ حظوة وإكرام ، فكأنَّه قال : اسْتَفْتَحُوا أَنْتُمْ لا غيركم ، واستنصروا أنتم دون سواكم .

- ولما أسفر خطاب الكفار عن وجهه من الطغيان فلا جدال ، ولا نقاش ، ولا تفاهم ، ولا تعقل قائلين : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم: ١٣ ، بل جرأة واستعلاءً رسم مشهدهمَّا ( نونا التوكيد ) في الفعلين ( نُخْرِجَنَّكُمْ ) ، ( تَعُوذُنَّ ) ، وحبُّ التملك والاستحقاق الزائف ، الذي تمثَّل في ضمير : ( نا ) في الاسمين : ( أَرْضِنَا ) ، ( مِلَّتِنَا ) بما يفيد الأثرة والأنانية ، صكَّ الله تعالى وجوههم وأسماعهم بخطاب أكثر جرأة واستعلاءً ، فقال : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ إبراهيم: ١٣ ، فإن استعلوا ( بنون توكيدهم ) على أنبياء الله تعالى ، وخصَّوهم لا غيرهم بالإخراج من الأرض والديار ؛ فإنَّ الله تعالى قد زاد في خطاب الاستعلاء عليهم بزيادة أعداد النونات : العظمة والتوكيد: ﴿ لَنُهَلِكَنَّ ﴾ ، ﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ ﴾ مصدرَّة بلام التوكيد في الموضوعين ، واختزل مشهد التفصيل الذي ساقوه في موقف التَّحدي مع أنبياء الله تعالى من عرضهم عليهم الإخراج من الديار أو الرجوع إلى ملَّتِهِم بأنَّ جعل الإهلاك لجميع الظالمين - جميعهم بلا تخيير ولا استثناء - استنصلاً لشأفتهم وقطعاً لأرومتهم ، تلك التفاصيل السابقة في هذا المشهد ناسبت أن يتوجه الأمر : ( اسْتَفْتَحُوا ) إلى الأنبياء إثارةً لمكانتهم عند الله تعالى ، وأخذاً لحقِّهم ، ونصرةً لهم من كل جبارٍ لا يرى لأحدٍ عليه حقًّا ، وعنيدٍ يعدل عن القصد<sup>(١)</sup> .

وهكذا قدَّمت كلُّ قراءة من وارف ظلالها ، ومقاصد أسلوبها في سياقها الذي وردت به ، وبالقرائن التي حفَّتْها ما يجعل الفكر يقف متأملاً في إعجاز هذا الكتاب الكريم ولمسات بيانه وإبداعه .

(١) الزجَّاج : معاني القرآن إعرابه ، ١٥٦/٣

## ٢. ﴿ قَالَ ﴾ :

وردت صورة التغيّر في بنية الفعل ( قَالَ ) في المواضع التالية :

١. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنبياء: ٤

٢. قال تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ١١٢

٣. قال تعالى : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ المؤمنون: ١١٢

٤. ﴿ قُلْ أُولُو حِثِّكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ﴾ الزخرف: ٢٤

## ❖ مذاهب القراء :

### ١-الموضع الأول :

- قرأ حفص وحمزة و الكسائي وخلف ( قَالَ ) بفتح القاف وألف ، على أنه ماض.
- قرأ الباقون ( قُلْ ) بضم القاف بلا ألف ، على أنه فعل أمر<sup>(١)</sup> .

### ٢-الموضع الثاني :

- قرأ حفص ( قَالَ ) بالماضي .
- قرأ الباقون ( قُلْ ) بالأمر<sup>(٢)</sup> .

### ٣-الموضع الثالث :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير وحمزة و الكسائي ( قَالَ ) بالماضي .
- وقرأ الثلاثة ( قُلْ ) على الأمر<sup>(٣)</sup> .

(١) يُنظَر : الداني : التيسير ، ٣٦٨ ، ابن الجزري : النشر، ٥٩٨ ، الدميّاطي : إتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٢٦١

(٢) يُنظَر : الداني : التيسير ، ٣٧٠ ، ابن الجزري : النشر، ٥٩٩ ، الدميّاطي : إتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٢٦٨

(٣) يُنظَر : الداني : التيسير ، ٣٧٩ ، ابن الجزري : النشر، ٦٠١ ، الدميّاطي : إتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٢٨٩



#### ٤- الموضع الرابع :

- قرأ ابن عامر وحفص ( قَالَ ) ماضيًا .

- قرأ الباقر ( قُلْ ) على الأمر<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراءات ونوجيها:

تمثِّل صورة التغيُّر لبنية الفعل ( قَالَ ) في المواضع الآتية الذكر انتقالًا وتغيُّرًا للكلام من الخبر إلى الإنشاء ، ومدار الاختلاف في معاني هذه القراءات هو في توجُّه الفعل إلى الفاعل :

#### ففي الموضع الأول :

جاءت القراءة بالماضي ( قَالَ ) إخبارًا من الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه قال لهم : ﴿ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأنبياء: ٤ ، وذلك بعد أن أطلعه الله تعالى بسابق علمه على خفيِّ قولهم ، وأبان له عن سرِّهم ، وهذا الجواب منه ﷺ مناسبٌ لخطابهم المتَّسم بالنجوى والسرية المتمثِّل في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الأنبياء: ٣ ، وأمَّا قراءة الأمر ( قُلْ ) فتحمل توجيهاً وأمرًا من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يجيب عن سؤال الكفار: ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ؟؟ الأنبياء: ٣ بقوله : ﴿ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأنبياء: ٤ ، " يعلم قولكم وقول كلِّ قائلٍ قولاً في السماوات والأرض ، وهو السَّميع لجميع ذلك ، والعليم بخلقه " (٢) .

#### وفي الموضع الثاني :

جاءت قراءة الماضي ( قَالَ ) على لسانه ﷺ تطلب النُّصرة والحكم من رب العالمين بعد جملة من الحوارات التي دارت بينه وبين الكفار المتعنِّتين من قومه .

(١) يُنظر : الداني : التيسير ، ٤٥٣ ، ابن الجزري : النشر ، ٦٣٠ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ، ٥٥/٢ ،

(٢) أبو زرعة : حجة القراءات ، ٦٥ .

مستأيساً في ذلك بمن مضى من الرُّسل والأنبياء حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وتضمنت القراءة بالفعل ( قُلْ ) أمراً من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يتوجه بالدعاء إليه كما توجه سلفه من الأنبياء والرسل بقولهم في الآية السابقة : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ .

### أما الموضوع الثالث :

فقد تضمن المشهد سؤال الله تعالى لهؤلاء الكفار عن مدة لبثهم في الأرض تبكيئاً لهم ، وتوبيخاً على تقصيرهم في حقه تعالى ، وهذا السؤال إما أن يكون يوم البعث ، أو في النار<sup>(١)</sup> ، والفاعل على قراءة الماضي :

- إما أن يكون عائداً لله تعالى ، وهذا مناسبٌ للسياق الذي ورد بإسناد الخطاب إليه

تبارك وتعالى كما في الآيات : ﴿ قَالَ أَخْسَتْوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ

مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۗ ﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ

سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا

أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٨ - ١١١ ، ثمَّ إنهم أجابوا الله تعالى ، فقالوا :

﴿ لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ المؤمنون: ١١٣ ، " فنسي الأشقياء لعظم ما

هم فيه من البلاء والعذاب مدَّة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصرَ عندهم أمْدُ

مكثهم"<sup>(٢)</sup> .

- أو أن يكون خبراً من الله تعالى عمَّن أمرَ بسؤالهم من الملائكة .

(١) يُنظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ٤٩٤/٥

(٢) الطبري: جامع البيان، ١٣٠/١٧

أما القراءة بـ ( قُلْ ) فيتوجّه الأمر فيها :

- إلى المَلَكِ المأمور بسؤالهم .

- أو يكون متوجّهاً للنبي ﷺ أَنْ يسألهم : كم لبثتم في الأرض ؟

- أو يتوجّه الأمر إلى أهل النَّار أو بعض رؤسائهم ، وعليه فقد أُخْرِجَ الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة ، كما نقل ذلك الطبري ت(٣١٠هـ) (١) - وإن لم يختَر القراءة بهذا الوجه - ، وأبو زرعة ت(٤٠٣هـ) (٢) ، وردّه الألوّسي ت(١٢٧٠هـ) (٣) ، وهذا الأسلوب وارد في لغة العرب فهم يخاطبون الواحد ويريدون الجماعة إذا كان المعنى مفهوماً ، وقد جاء القرآن الكريم بمثل هذا في أكثر من موضع ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْرَبِ ﴾ الانفطار: ٦ ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتِيهِ ﴾ الانشقاق: ٦ .

ويرى الباحث جمعاً بين هذه الأوجه أنّ الأمر خطابٌ لمن يأمره الله تعالى بسؤال هؤلاء الأشقياء من المعدّبين ، سواءً أكان المأمور بالسؤال محمد ﷺ ؟ أم المَلَك ؟ أم أهل النَّار وبعض رؤسائهم ؟ ، ولا مانع من أن يتعدّد السائلون ليكون أبلغ لهم في التبكيت والتحقير . والله أعلم .

#### وفي الموضوع الرابع :

ذمّ الله تبارك وتعالى التقليد الأعمى القائم على غير الدليل ، والمبني على : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ الزخرف: ٢٢ ، وقد أراد الله تبارك وتعالى في هذه الآيات أن يبيّن أنّ الهداية الحقّة ما كانت مستفاعة من الوحي ؛ إذ لا وجه للمقارنة بين الوحي الربّاني والإرث البشري .

(١) يُنظر : الطبري : جامع البيان ، ١٧/١٣٠

(٢) يُنظر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ٤٩٣

(٣) يُنظر : الألوّسي : روح المعاني ، ٩٠/٢٦٧

ويتوجّه الفاعل على هذه القراءة :

- إلى النذير : لتقدّم ذكره في الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا

قَالَ مُرْفُوهُمَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٢ -

٢٤ ، " والنذير: الجماعة " (١) ، فلذلك قالوا : ( إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ) .

- أو إلى الرسول ﷺ ، وناسبه الفعل ( جِئْتُمْ ) بعود الضمير إليه .

أمّا القراءة بـ ( قُلْ ) فإمّا أن تكون أمرًا من الله تعالى للنذير أن يقول لهم ذلك ، ثمّ

أخبرنا الله تعالى بما أجابوا به النذير من قولهم : ﴿ إِنَّا يَمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ الزخرف:

٢٤ ، أو أن تكون أمرًا من الله تعالى لنبيه ﷺ بمعنى : " قل يا محمد لهؤلاء

المشركين من قومك القائلين : ( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ) : أولو جئتم أيّه القوم

من عند ربكم بأهدى لكم إلى طريق الحق ، وأدلكم على سبيل الرشاد ... فقال لهم

ذلك ، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأبيائها :

﴿ إِنَّا يَمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ الزخرف: ٢٤ " (٢) . ولا تعارض بين المعنيين - والله أعلم

- فالنذير داخلٌ فيه الرسول ﷺ كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾

فاطر: ٣٧ ، حيث فسّر بالشيب ، أو النبي ﷺ ، أو موت الأقارب والأهل ، أو

الحمى (٣) .

## ❖ أثر القراءات على المعنى :

كان الأصل أن يُفرد كل موضع بنموذج في التحليل مستقلّ ، لكن لما كانت صورة

التغيّر في تلك المواضع متّفكّة من حيث انتقال الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء ؛ ارتأى

الباحث أن يجعلها تحت أنموذج واحد في التحليل ، مبيّنًا الأثر العام لصورة هذا التغيّر

(١) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢٥٨/٢

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٥٧٤/٢٠

(٣) يُنظر : ابن الجوزي : زاد المسير ، ٤٩٥/٦

على دلالة المعنى ومفهومه ، ثم ينطرق إلى دلالة كل موضع بشكل خاص في سياقه الذي ورد به .

إنّ تغيير أسلوب الخطاب من الخبر إلى الإنشاء ينطوي على معانٍ دقيقة يراد منها الإقبال على المخاطبين ، وتوجيه الكلام إليهم بالصيغة المباشرة ممّا يكون أرسخ في الذهن ، وأدعى للفهم بحسب المقام وعدّاً أم وعيداً ، " ففي مقام الذمّ والوعيد ينطوي هذا الأسلوب على مواجهة المتلقين بالتوبيخ والتفريع والإنكار ، والدلالة على شدة الغضب <sup>(١)</sup> ، ويلقي بالبشارة وكامل الرضا في مقام الوعد هذا من حيث العموم ، ومن حيث التفصيل يمكن القول :

#### في الموضوع الأول :

القراءتان صحيحتان ، وهما بمنزلة الآيتين ، وفيهما من الفائدة " أنه ﷺ أمر ، وأنه قال كما أمر <sup>(٢)</sup> . والترتيب الزمني مقصودٌ في أحداث الفعلين لا سيّما فيما يتعلق بأقوال الرسول ﷺ ، التي هي من قبيل الوحي الإلهي ، فإنّه لا ينطق عن الهوى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُحْيِي ﴾ النجم : ٤ ، وإخبار الرسول ﷺ بهذا القول ناشئٌ عن أمرٍ من الله تعالى له . ولأنّ النبي ﷺ إذ قال قولاً ؛ فإنما قاله عن أمر ربه ، ولأنّ الله تعالى إذا أمر نبيه ﷺ بأمرٍ ؛ قاله . وبهذا لا تعارض بين القراءتين بل حملت صورة التغيّر إعلاماً من الله السميع العليم بنجوى هؤلاء الكفار ، وتبليغاً من الرسول ﷺ إليهم لتبكيّتهم ، وإقامة الحجّة عليهم <sup>(٣)</sup> .

(١) محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ٣٤٢

(٢) النحاس : إعراب القرآن ، ٦٠٠

(٣) يُنظر للاستزادة : أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ٢٤٦ ، سيّب ، خير الدين: تغيّرات الأسلوب في القراءات القرآنية ، ٩٩ - ١٠٠

### أما الموضع الثاني :

فأفادت القراءة بالماضي دعاء النبي ﷺ على من كذَّبه وعانده في دعوته أن يقضي الرحمن بين الصنفين بالحق ، كأنه قال : " اقضِ بيني وبين من كذَّبني بالعذاب " (١) ، ودعاء الرسول ﷺ بصيغة الإخبار بالماضي يحمل عدداً من الدلالات :

- بالرغم من عناد قومه واستعجالهم نزول العذاب ؛ فإنه ﷺ لم يستعجل الدعاء عليهم رحمة بهم ، ورأفة وشفقة عليهم حتى أتاه الأمر من الله تعالى بقوله : ( قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ) كما في قراءة الأمر ، ممَّا يفيد أن النبي ﷺ لم يدعُ عليهم إلا وقد حلتَّ عليهم النقمة ، وحقَّ بهم الغضب فيكون الخير حينئذٍ فيما اختاره الله تعالى باستئصالهم لمصلحة الدعوة .

- بعد أن ظهر للنبي ﷺ بعد طول تأنُّ ألاً فائدة تُرتجى من إيمانهم ؛ حُقَّ الدعاء عليهم بتعجيل العذاب طالما وحالهم كذلك ، والتعجيل بالعذاب مأخوذٌ من الاجتزاء بالكسرة عن الياء في قوله ( ربُّ ) ففيه سرعةٌ في النطق ، ممَّا يشير إلى طلب السرعة في الفعل وذلك باستعجال العذاب لمشركي مكة (٢) ، كما جاء الدعاء بطلب أن يكون العذاب المرجوُّ الذي يقع بهم هو العذاب الشديد دون غيره لقراءة الضم في ( ربُّ احْكُم بِالْحَقِّ ) (٣) ، وذلك أنَّ الضمَّة هي أثقل الحركات وتدلُّ على الشدَّة والقوَّة (٤) .

وحملت القراءة بالأمر تسليَّة للنبي ﷺ ، وتصبيراً له لا سيَّما وأنه قد بَلَغَ الغاية في البيان والنُّصح لهم ، وهم بلغوا الغاية في الكفر والعناد ، وقد برزت هذه الدلالة من

وجوه :

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٢٣٤/٢٢

(٢) يُنظر : الفلاح ، آمال : تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر ( طه - المؤمنون ) ، ١٧٠٠

(٣) قرأ بها أبو جعفر بضم الباء ( ربُّ احكم ) والباقون بالكسر ، يُنظر : ابن الجزري : النشر ، ٥٩٩

(٤) يُنظر : الأزهرى : شرح التصريح ، ٥٥/١ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ١٢٠

- الإذنُ له بأن يدعوَ عليهم إن شاء أسوة بإخوانه من الأنبياء حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وفي الإذن تسليبةً لفؤاده و تصبير .
- حتمية أن يحلَّ بهم العقاب وإن تأخَّر أمده ، فقد جاءت قراءة الأمر لتوحي " بأنَّ عليك الانقطاع إلى ربك ليحكم بينك وبينهم بالحق ، إمَّا بتعجيل العقاب بالجهاد وغيره ، وإمَّا بتأخير ذلك ، فإنَّ أمرهم وإن تأخَّر فما هو كائنٌ قريب " (١) . وهذا ممَّا تقرَّ به عينه ﷺ ويكون فيه سلوى لتكذيبه .
- ومن الدلالات الوارفة ما أفادته القراءة من أنه ﷺ استعجل النصر عليهم بعد ما رأى من تكذيبهم ونفورهم ؛ فجاء الأمر ( احْكُم بِالْحَقِّ ) والمراد : احكم بحكمك الحق ، وفي حذف متعلق الفعل ( احْكُم ) دلالة على أنه استعجل النصر عليهم ، ولم يترك للسياق مجال الاستفاضة والإطناب .

**وخلاصة القول :** أن صورة التغيُّر الحاصلة في هذه القراءة من الماضي إلى الأمر فيها توعُّدٌ من الله تعالى لهؤلاء المعاندين المكابرين ، بدعائه ﷺ عليهم استجابة لأمر الله تعالى له بذلك ، وفي هذا الأمر وعدٌ بالإجابة .

### وفي الموضوع الثالث :

يوقف الله تعالى الخلائق للسؤال يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَوْمُهُمْ لِيَوْمِ مَسْئُولُونَ ﴾ الصافات: ٢٤ ، ولقد عظم الله تعالى من شأن اليوم الآخر وأكثر إيراده في كتابه الكريم ؛ ليُحدِّث من المهابة ما يجعل النفوس على أهبة الاستعداد له ، ومن هذا المبدأ كانت صورة الفعل : ( قَالَ ) في هذه القراءة ، هو فعلٌ منتظرٌ بكلِّ ما فيه من أحداث ووقائع ومع ذلك جرى بمجرى الماضي ، لماذا؟! ؛ لأنَّ أخبار يوم القيامة وإن كانت لمَّا تأت بعدُ ؛ إلا أنَّها بمنزلة ما قد تحقَّق وقوعه ومضى ، وهذا ما أشارت

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٢٢/٢٣٤

إليه القراءة ( قَالَ ) . وسواء أكان القائل : هو الله تعالى ، أم مَلَكٌ من الملائكة ؛ فإنّ في إيهامه وعدم ذكره ملائمة لصورة الدهشة والتبكيّت التي يعيشها أصحاب ذلك الموقف ، فلا يهّمُ أن يُعرَفَ القائل بقدر ما يهّمُ أن يجيبوا على السؤال : ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) ؟ ، بل حتى إجابتهم على هذا السؤال ليست مقصودة لذاتها لإرادة العلم بها ، بل " لاستنصار أمر الأرض ، واستنصار أيامهم فيها ، وإنّهم لَيَحْسُونَ اليومَ بقصر تلك الحياة وضآلتها ، وإنّهم لياتسون ضيقوا الصُّدور ، لا يعينهم حسابها وعدتها " (١)

كما توحى القراءة بالإخبار ( قَالَ ) أنّ الله تعالى يوقفهم للسؤال عن المدة وهو ما يتوافق مع الاستفهام في رسم صورة الهلع والجزع التي هُم عليها ، فيجيبون : ( يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) ؛ إلا أنّ حالة الهلع والجزع لا تفارقهم وإنّ تَجَلَّدُوا وزعموا الجواب . لِيُظْهِرَ فِي خَتَامِ حَدِيثِهِمْ : ( فَاسْأَلِ الْعَادِّيْنَ ) ، " قال ابن عباس : أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين " (٢) .

أمّا القراءة بالأمر ( قُلْ ) فقد زادت من عقدة الموقف بالنسبة لهم ، وزادت في تبكيّتهم وتوبيخهم فبعد أن اقتضت قراءة الماضي توقيفا للسؤال ، جاءت القراءة بالأمر لتطليق الجواب على كل احتمالات الحسرة والندامة التي هي ملابسُهم ابتداءً من أمر الله تعالى بـ ( قُلْ ) سواء أكان المأمور النبي ﷺ ، أم مَلَكٌ من الملائكة ، أم بعض رؤسائهم ، أم هم أنفسهم على إجراء الخطاب للجماعة مجرى الواحد فهم في العذاب سواء ، لغرض التبكيّت والتوبيخ وحينئذٍ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه ، ويعضدُ فعلُ الأمر الاستفهامَ في تحقيق هذه الدلالة ، وثاني ملامح الحسرة التي لا بسُتهم : أن صدّق الله تعالى قولهم : ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) بتقالّهم مدّة لبثهم في الدنيا ، بقوله لهم : ﴿ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ المؤمنون: ١١٤ . وثالثها : توبيخ الله تعالى لهم على غفلتهم التي كانوا عليها في تعاملهم مع قضايا الآخرة فقال : ﴿ لَوْ

(١) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ، ٤/٢٤٨٢

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ٢٣/١٢٧



أَنْتُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿المؤمنون: ١١٤﴾. ولا يمنع على هذه القراءة إن قيل: إنَّ القائل هو الله تعالى أن يكون الأمر منه تعالى للملك، أو لجماعة من الكفار، أو لأحدهم فيكون متعدِّداً بتعدد الأحوال التي يوقَّف فيها الكفار على النار، وما ذلك إلا زيادةً في تعذيبهم بالحسرة، وهو عذابٌ نفسيٌّ أكثر من أن يكون بدنيًّا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الأنعام: ٢٧﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴿الأنعام: ٣٠﴾، نسأل الله السلامة والعافية.

وهكذا تكاملت القراءتان في رسم صورة التَّحذِير من الاغترار بالدنيا، وطول الأمل رغبة للمكث فيها، فالحياة قصيرة، وقد وجَّهنا الشارع الحنيف لنعبرها لا لنعمرها، ومهما طال نعيمها وسرورها؛ فإنَّ موقف التوبيخ الذي يقفُّ العبد بين يدي ربه كفيلاً أن ينسيه كلَّ أيام السرور والهناء التي قضاها وإن شعر أنَّها طويلة ممتدة، فلا وجه للقياس بين الحياتين وإن مكث في الدنيا دهرًا طويلًا؛ إلا أنه سيجد أنَّ تلك الحياة التي تمتع بها قصيرة جدًّا بالنسبة إلى موقف السؤال والتوبيخ بين يدي الله تعالى.

#### أما الموضوع الرابع:

فتضمَّنت الآيات نسفيه رأي الكفار، وإبطال دعاويهم في التمسُّك بهدي آباؤهم، كما جاءت الآيات تبيِّن شدَّة ضلالهم في تقليدهم الأعمى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءآبَاءَنَا ﴿البقرة: ١٧٠﴾، وقد جاءت القراءتان بالماضي والأمر ترسمان صورة هذا التحذير، وتنفران من هذا المبدأ الجاهلي القائم على التفاخر بالآباء، وتقليدهم في الحق والباطل.

والقراءة بالماضي إمَّا أن يكون القائل: النذير، قال لهم: ﴿أَوَلَوْ حِجَّتْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءآبَاءَكُمْ ﴿الزخرف: ٢٤﴾، ثم أخبر تعالى بجوابهم عنه بقولهم: ﴿إِنَّا يَمَّا

أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ الزخرف: ٢٤ ، أو أن يكون القائل : محمد ﷺ ، والمعنيان  
 محتملان ، فلا يبعد أن يكون كل نذير قال لقومه ذلك ، ولا يبعد كذلك أن يكون نبينا  
 محمد ﷺ قال ذلك لقومه فجاءت القراءة بالماضي حكايةً حالٍ لما جرى بين الأنبياء  
 والمنذرين وأقوامهم ، ولا يبعد أن تكون القراءة بالماضي إخباراً ، وحكاية حال حكاها  
 الله تعالى لما قاله كل نذير لقومه ، ثم أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم ذلك ، بقوله :  
 ( قُلْ أُولُوْ جِنْتِكُمْ )<sup>(١)</sup> . ولا يبعد على قراءة الأمر أن يكون الخطاب فيها من الله تعالى  
 للنذير ، وللنبي محمد ﷺ فامتثل كل منهما لهذا الأمر ، وقالوا : ﴿ أُولُوْ جِنْتِكُمْ يَا هَدْيَ  
 وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ الزخرف: ٢٤ .

وفي كلتا القراءتين خطابٌ شديد النبرة ، فيه تجهيلٌ لهم حيث إنهم يقلّدون ولا  
 ينظرون في النتائج . وفي الآيات إشارات تؤكد هذه الشدة الموسوم بها هذا الخطاب  
 ، لاسيما وأن الأمر يتعلق بقضية من قضايا المعتقد ، ومن هذه الإشارات<sup>(٢)</sup> :

- مجيء الفعل ( قُلْ ) أو ( قَالَ ) على القراءتين مفصلاً غير معطوف ؛ لأنه واقع  
 في مجال المحاوره ، التي تقتضي إثبات الحجّة بالدليل ، كما تقتضي القوة في  
 الطرح والتمكّن من القول .

- الواو في قوله : ( أُولُوْ جِنْتِكُمْ ) عاطفة للكلام المأمور به على كلامهم ، وهو ما  
 سمّاه ابن عاشور ( عطف التلقين ) مثل قوله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَمِنْ

دُرَيْبِي ﴾ البقرة: ١٢٤ ، فكان هذا القول : لقنه الله نبيه ﷺ ، والمنذرين بنصّه .

- الهمزة في ( أُولُوْ ) للاستفهام التقريري المشوب بالإنكار ، وقُدّمت على الواو لأجل  
 التّصدير ، فكان مبدؤهم هذا مما استكره الله تعالى عليهم ، وأغلظ عليهم العتاب فيه  
 بما يستحق أن يُقدّم فيه الاستفهام عن سوء فعلهم .

(١) يُنظر للاستزادة : الشوكاني : فتح القدير ، ٧٢٢/٤ ، الجلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي  
 إلى غيرها حكمته ودلالته ، ١٣١-١٣٢

(٢) يُنظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٨٩/٢٥-١٩٠ ، الشنيطي : أضواء البيان ، ٥/٢٤٤

- ( لو ) وَصَلِيَّة ، و ( لو ) الوصلية تقتضي المبالغة بنهاية مدلول شرطها كما في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا آتَتْكُمْ بِهِ ﴾ آل عمران : ٩١ ، فكان المعنى : ولو جئتم بأهدى من دين آبائكم تبقون على دين آبائكم ، وتتركون ما هو أهدى !!!
- وصيغة التفضيل هنا ( أَهْدَى ) لمطلق الوصف ؛ لأنّ آباءهم لا شيء عندهم من الهداية أصلاً .
- وهكذا يُدرك من خلال تلك الإشارات والدلائل التي أحاطت بالقراءتين ، ما تحمله كلّ قراءة في سياق الآيات الذي وردت به من التشنيع على من قدّم هدىً غير هدى الله تعالى وشرعه ، وتجهيله في كونه يقلد ولا ينظر في عواقب الأمور ، وقد لقن هذا القول جميع أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام أن يجيبوا أقوامهم بذلك ، كما حملت القراءتان المواساة للنبي ﷺ وأتباعه على ما يلاقونه من أقوامهم من إعراضٍ عن دعوة الله عز وجل وتكذيبٍ للرسالة .

### ٣. ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾ :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ يس: ٦٦

#### ❖ مذهب القراء :

- قرأ جميع العشرة ( استَبَقُوا ) بفتح الباء على الماضي.
- وقرأ عيسى بن عمر بكسر الباء على الأمر ( استَبِقُوا )<sup>(١)</sup> ، وهي شاذة .

#### ❖ معاني القراءتين و نوجيهيهما :

- القراءة بالماضي عطف على ( طَمَسْنَا ) ، أمّا القراءة بالأمر فعلى إضمار القول ، وقد تأوّل العلماء وصول الفعل إلى ظرف المكان المختصّ ( الصراط ) بأمور :
- إمّا على حذف الجار . والأصل فاستبقوا إلى الصراط .
- أو أن يُضْمَنَ الفعل معنى : ( ابتدروا ) .
- أو أن يكون ( الصراط ) مفعولاً به مجازاً ، وذلك بأن يجعل الصراط مسبوقاً ، لا مسبوقاً إليه .
- أو أن يُنصب على الظرف ، أي : في الصراط . ويكون المعنى : ولو نشاء لأعميناهم فلوا أرادوا أن يمشوا مستبقيين في الصراط الذي اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا ، وهذا التأويل ماث على القول بأنّ الصراط والطريق ونحوهما ليست مختصّة<sup>(٢)</sup> .

(١) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ١٨٧ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٣٧٠/٢ ،  
(٢) يُنظر : الزمخشري : الكشاف ، ٢٧/٤ ، السمين : الدر المصون ، ٢٨٣/٩ ، شيخ زاده : حاشية علي تفسير  
البيضاوي ، ٩٤/٧

## ❖ أثر القراءتين على المعنى :

عَدِ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ أَلَا يَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ سُلُوكِ خَطَايَاهُ وَسَبَلَ غِيَّهُ لَكِنَّهُمْ أَبَوَا إِلَّا الضَّلَالِ ، فَخَاطَبَهُمْ مَبِينًا قَدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنََّّهُمْ عِبِيدٌ لَهُ يَصْرِفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَأَنَّ الْهُدَايَةَ وَالنُّورَ بِيَدِهِ يَقْدِفُهُمَا فِي قَلْبٍ مِنْ يَشَاءُ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : " كَمَا أَعْمَيْنَا قُلُوبَهُمْ ، لَوْ شِئْنَا أَعْمَيْنَا أَبْصَارَهُمْ الظَّاهِرَةَ فَتَبَادَرُوا إِلَى الطَّرِيقِ ، وَكَيْفَ يَبْصُرُونَ وَقَدْ أَعْمَيْنَا أَعْيُنَهُمْ ! فَكَيْفَ يَبْصُرُونَ الطَّرِيقَ حِينئذٍ ! " (١) .

وفي التعبير بالفعل ( اسْتَبَقُوا ) رَسْمٌ لِمَشْهَدٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّخْبُطِ وَالضَّلَالِ وَالشَّبَهَاتِ . وَلَقَدْ حَمَلَتْ الْقِرَاءَةُ بِالْمَاضِي عِدَّةً مِنَ الدَّلَالَاتِ ، مِنْهَا :

- تُوْحِي الْآيَاتُ بَجُوٍّ مِنَ الْكُفَّةِ وَالْجُهْدِ وَالسَّرْعَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، وَهَذِهِ الْمَعْنَى مَأْخُذَةٌ مِنْ بَنِيَّةِ الْفِعْلِ ، فَالْإِسْتِبَاقُ : اِفْتِعَالٌ مِنَ السَّبَقِ ، جَاءَ فِي اللِّسَانِ : " فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ : جَاوَزُوهُ وَتَرَكَوهُ حَتَّى ضَلُّوا ... وَاسْتَبَقَا الْبَابَ : مَعْنَاهُ : ابْتَدَرَا الْبَابَ يَجْتَهِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَسْبِقَ صَاحِبَهُ " (٢) ، وَصِيغَةُ ( اِفْتِعَالٌ ) تَدُلُّ عَلَى التَّكْلُفِ وَالْاجْتِهَادِ وَالِاضْطِرَابِ فِي تَحْصِيلِ أَسْئَلِ الْفِعْلِ (٣) ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ تَحْقِيقَ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ ، وَهَذِهِ الْمَعْنَى مَنَاسِبَةٌ لِلْحَالَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَهَمَّ رَجَاءٌ أَنْ يَصِلُوا إِلَى بَيوتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا صَارُوا فِي حَالَةٍ مِنَ التَّكْلُفِ وَالِاضْطِرَابِ مَعَ الْجُهْدِ الْمَقْرُونِ بِالسَّرْعَةِ أَنْ يَصِلُوا لِمَبْتَغَاهُمْ لَكِنْ : أَنَّى يَبْصُرُونَ !!

- دَلَّ الْفِعْلُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْمَصَاحِبَةِ لَهُ عَلَى تَمَكُّنِ الضَّلَالَةِ وَالْغِيِّ مِنْهُمْ ، بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِإِبْصَارِهِمُ الْحَقَّ ، وَمِنَ الدَّلَالَاتِ الْمَصَاحِبَةِ لِلْفِعْلِ الْمَاضِي الَّتِي تَتَكَرَّرُ مَعَ الْأَمْرِ :

(١) البغوي : معالم التنزيل ، ٢٥٧/٧

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (سبِق) ، ١٩٢٩ ،

(٣) يُنظَرُ : الأسترابادي : شرح شافية ابن الحاجب ، ١١٠/١

- إثاره تعالى لفعل المشيئة بالمضارع دون الماضي فقال : ( وَكَلَّمَ نَسَاءً ) ولم يقل ( وَكَلَّمَ شَيْئًا ) " للدلالة على أنّ عدم الطمس لاستمرار عدم المشيئة" (١) ، ليستدرجهم ؛ لتتمكّن الغواية من قلوبهم والضلال .
- ( لَوَّ ) حرف امتناع لامتناع ، والمعنى : " لم نشأ طمس أعينهم فتركناهم على شأنهم ؛ استدراجاً وتمييزاً بين الخبيث والطيب" (٢) ، وهذا يوافق ما عليه المعنى السابق لفعل المشيئة .
- الطَّمَسُ : إذهاب الشيء وأثره جملة حتى كأنه لم يوجد (٣) ، وفي التعبير به دليلٌ على عدم وصولهم لمبتغاهم فسبيل الهداية محجوبٌ عنهم ، بل قد زال كلُّ أثرٍ يدلُّ عليه .
- ( طَمَسَ ) يَعمدُ بنفسه (٤) ؛ إلا أنّ تعديته في الآية بحرف الاستعلاء ( عَلَى ) فيه دلالة على تمكّن الغيِّ منهم ، واستعلاؤه على مصدر الإبصار لهم فحجب عنهم رؤية الحقيقة .
- لقد سلك بهم الرحمن تبارك وتعالى طريق الإلجاء في الاعتراف بشركهم بعد إنكارهم له ، وهذا الإلجاء جاء بعد خصومة من القول وقعت منهم ، حتى شهدت أعضاؤهم وأقرت كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَحْتَمِ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ يس : ٦٥ ، ومن كان سبيلَ إيمانه الإلجاء لا شكَّ وأنه مرّاً بحالة تمكّن الضلال فيها من قلبه .
- وفي الأوجه التي سبق إيرادها في إيصال الفعل إلى الظرف ( الصرّاط ) من : التقدير بحذف الجار ، أو تضمين الفعل ( ابتدروا ) ، أو النصب على الظرفية

(١) السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني ، ٢٣٠/٢

(٢) يُنظر : ابن عاشور : التحرير والتوير ، ٥١/٢٣

(٣) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٢٨/٧

(٤) يُنظر : الأحمدى : معجم الأفعال المتعدية بحرف ، ٢١٩

، أو أن يجعل الصراط مسبوقةً لا مسبوقاً إليه ، على أيّ مسلكٍ سلكناه في تعديّة الفعل ( اسْتَبَقُوا ) نجد أنّ المعنى القائم على تمكّن الغواية منهم وتلبّسهم بحالة الضلال والغي مصاحبةً للوجه جميعها ، تُحقّق معنى ضلالهم وزيادة .

• ومن الدلالات في هذا المعنى إيثار حرف الاستفهام ( أُنَى ) على غيره فيه مبالغة<sup>(١)</sup> ، يشمل معنى ( كيف ) وزيادة<sup>(٢)</sup> ، وهو مناسب لضلالهم وغيّهم ، فلا يمكن لهم أن يهتدوا لطريق ، أو يسلكوا سبيلاً طُمِسَتْ أبصارهم فيه عن إدراك مسالكه ، واستكشاف مداخله ومخارجه ، وهذا جزاء صَافٍ قلوبهم وشدة قسوتها عن إِبصار الحقّ .

ويختتم الباحث الإشارة في دلالة القراءة بالماضي بكلام مائع للدكتور فاضل السامرائي ، يقول : " فانظر كيف قال : ( طَمَسْنَا ) بدل ( أَعْمِينَا ) وهو يشمل العمى وزيادة . وقال : ( على أعينهم ) وهو يشمل الطمس وزيادة ، وهي التغطية والاستيثاق ، وقال : ( فَاسْتَبَقُوا ) وهو يشمل المسابقة وزيادة ، والمبادرة وزيادة ، والضلال وزيادة ؛ إذ هو يجمع هذه المعاني كلها . وقال : ( الصَّرَاط ) ولم يقل : ( إلى الصَّرَاط ) ليشمل معنى ( إلى ) والتعديّة المباشرة ، ولو قال : ( فَاسْتَبَقُوا إلى الصَّرَاط ) لم يحتمل معنى الضلال . وقال : ( فَأُنَى ) وهو يشمل معنى كيف وزيادة"<sup>(٣)</sup> .

أمّا القراءة بالأمر : ( اسْتَبَقُوا ) فعلى إضمار القول أي : يقال لهم اسْتَبَقُوا ، وطَمَسُوا أعينهم يعيقهم عن الاستباق - وهو معلومٌ ضرورة - وقد جاء الفعل على سبيل التعجيز ، وفي القراءة بالأمر دلالةً الماضي وزيادة . فالاضطراب ، والجهد ، والإسراع ، حاصل في الفعلين ، إلا أنّ الزيادة في الأمر أتت من جهة التغيّر من الخبر إلى الإنشاء الطلبي الذي أفاد طلب تحقيق الفعل في الواقع . ولن يتمّ لهم ذلك للقرائن التعجيزية المحفوفة بالطلب ، التي تجعله في صورة المحال فعله ، وما أمرهم به ومطالبتهم بتنفيذه

(١) يُنظَر : ابن عطية : المحرر الوجيز، ٢٦٢/٧

(٢) يُنظَر : السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني، ٢٣٠/٢

(٣) المرجع السابق، ٢٣٠/٢

إلا زيادة في التكبّيت والتعجيز فالدلائل تؤكّد عدم مقدرتهم على تنفيذهم ما أمروا به ،  
ومن أوجه التعجيز المحفوفة بهذا الطلب :

- تقديم الماضيّ على الرجوع في الآية بعدها : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَضَعُوا مَضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ يس: ٦٥ - ٦٧ ، " إذ الرجوع أهون من الماضيّ ؛ لأنّ الماضيّ لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل ، وأمّا الرجوع فينبئ عنه ، ولا شكّ أنّ سلوك طريق قد رؤي مرة أهون من سلوك طريق لم يرَ " (١) ، ولو سلخوا طريق الهداية ابتداءً لسهّل لهم الدرب ، ونور لهم الطريق لكنّهم لمّا ضلُّوا أضلُّوا ، قال تعالى : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَا مُكْمُوهُمَا وَآتَمَّمْنَا كَاهِنُوهُمْ ﴾ هود: ٢٨ .
- بالعودة إلى أوجه تعدية الفعل ( استَبَقُوا ) إلى ( الصراط ) وبالتأمل في القول بأنّه جعل الصراط مستبقاً لا مستبقاً إليه وجه تعجيز آخر ، إذ كيف يهتدون إلى طريق هم في الأساس في استباق معه ، وكانّ الصراط الذي هم عليه ليسوا قاصدينه طالبين له ، وهذا ما عبّرت عنه حالتهم ، وإنّما هم عليه إذا طمس الله أعينهم لا يبصرونه ، فكيف إن لم يكونوا على الصراط أساساً . نعوذ بالله من الخذلان .

ويرى الباحث أنّ التعبير بالماضي ( استَبَقُوا ) مثلّ حالة ما كانوا عليه من ابتدار الطريق واستباقه بمبادرة ذاتية وتكليف شخصي اجتهاداً منهم لتحصيل أسباب نجاتهم ، وحرصاً على عدم هلاكهم ، ولمّا كانت هذه المعاني متعلقة بمشيئة الله تعالى ، ولم تأت من دافع إيمان وحرص منهم وإنما إلجاءً وخوفاً من العقاب انتقلت صورة الفعل إلى الأمر ( استَبَقُوا ) أي : استمروا في سباقكم وسعيكم ولو زمناً فلن يُمكنكم ، ولا يُمكنكم الاهتداء إلى شيء ، ولا الوصول إلى طريق تعجيزاً وتكبّيّاً . ومن تأمل دلالة ( فأتى يبصرون ) بالمضارع الذي يفيد التجنّد والاستمرار ظهرت له - والله أعلم - مثل هذه

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ، ١٠٣/٢٦



الدلالة التي أوحى باستمرار تخبُّطهم وعدم إحصارهم ما داموا مستمرّين في السِّبَاق على العوار الذي فيهم .

وهكذا تكاملت القراءتان بتعاقب البنيّتين : الماضي التي مثّلت أسلوب الخبر ، والأمر التي مثّلت أسلوب الإنشاء لترسم كل قراءة دلالات صوّرت الجوانب التعبيرية التي تمّ بها الحدث ، وذلك بالإشارة إلى ترتيب الأحداث حال ورودها ، ودلالات كل حدث ، وبذلك تكامل أسلوب الخطاب ومقاماته في القراءتين ، مع اقتصادٍ في اللفظ بالتعبير عن كل تلك المعاني . إنها بحق روعة هذا الكتاب العزيز .

لقد تفنّن القرآن الكريم في نقل لغة الخطاب من أسلوب إلى أسلوب مما استدعى معه إثارة النشاط ، ولم يجر الكلام على نسق واحد ليظل السامع في تشوّق ، وتشوّفٍ أن يطرق سمعه تلك العبارات المسبوكة ، والجمل المتناسقة . ومن خلال تلك النماذج تتاغمت وسائل التعبير المختلفة ، وتجاوبت دلالاتها داخل النسق القرآني ، ويتغيّر بنية الفعل من الماضي إلى الأمر تحقّقت العديد من الدلالات ، منها :

- تعظيم حال من أجري عليه فعل الأمر ، كما في : ( اسْتَفْتِحُوا ) أمرًا للرسول بطلب النصر ، تعظيمًا وإكرامًا لمسيرة جهادهم ودعوتهم لله تبارك وتعالى .
- بيان كيفية وقوع الحدث ، كما في قراءة : ( فاستَبَقُوا ) التي صورت مشهد الحدث ، وأبانّت عن كيفية وقوعه في جوٍّ من التعجيز والتحقير ، فهم لما طُمِست أعينهم ؛ ما أمكّنهم الاستباق .

وهكذا تبين أنّ في صورة التغيّر بين الفعلين إحداثًا لمشهدين : مشهدٍ قائم على الغياب والإخبار بكل تفاصيله تكفّل الفعل الماضي بإبرازه وبيانه ، ما يلبث أن ينساب بسلاسةٍ إلى مشهدٍ آخر قائم على الخطاب والحضور بكل تفاصيله مثله فعل الأمر فكانت معه لغة الخطاب أدعى لإقبال المخاطبين ، وتلقّيهم دلّته دون غموض أو توهم . هذا التكامل بين المشهدين في هذه الصورة لا يجد القارئ معه إلا أن

يُمتع نفسه بلوحات فنيّة جميلة من تناسق اللفظ ودلالته ، " مثال ذلك - والله المثل الأعلى - أنّه لو رسم فنّانٌ لوحةً بالغة الجمال والدقّة ، وتحدّى بها أهل الصنّعة ، فجعل أهل الصنّعة يتأمّلونها ويعجبون ويقولون : إنّ هذه اللوحة لو غيّر أيُّ شيء فيها لفسدت ، ولأمكننا أن نصنع مثلها ، فيغيّر فيها شيئاً فينظرون إليها فيزدادون عجباً ، ويقولون : إنّ هذا التغيير لم ينل منها ، بل زادها حسناً فما أعجب هذا الأمر ! ثم يقولون : إنّها لا تحتمل تغييراً آخر فيها البتّة ، ولو غيّرت لفسدت قطعاً . فيغيّر فيها شيئاً آخر فينظرون إليها فيقولون : ما أعجب هذا ! فإنّها لم تزد إلا حسناً وجمالاً . وهكذا . كان ذلك أدلّ على عظيم قدرة الفنان وإنّ ذلك لم يأت منه موافقة ، بل إنّّه يقدر أن يفعل ما يعجز عنه الآخرون متى أراد " (١) ، وهذا ما أوحى به صورة هذا التغيّر ، فإنّها لم تزد المعنى إلا حسناً وجمالاً .

(١) السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني ، ١٠/١



## المبحث الثاني :

التغيُّر من الفعل الأمر إلى الماضي ، ودلالته



### توطئة :

حظيت بنية فعل الأمر باهتمام بالغ لدى الفقهاء والأصوليين من خلال بيان ما يراد بها في أمور الدين من أحكام شرعية تتعلق بالمكفّ من حيث الوجوب والندب والإباحة ، وكانت مباحث الأمر في فترة من الفترات في بعض الدراسات اللغوية والأدبية تقف عند الحدّ الفقهي لدلالة البنية ولا تتجاوز بيان ما يترتب عليها من أحكام ، ثم جرت محاولات تجديدٍ لدراستها في سياقها اللغوي والبلاغي دون المساس أو التعرّض لمعناها التشريعي كما ظهر ذلك جليّاً عند الزمخشري ت(٥٣٨هـ)<sup>(١)</sup> .

وتمثل حالة التغيّر التي يدرسها الباحث في بنية الفعل من الأمر إلى الماضي عدولاً سياقياً ، يترتب عليه العديد من الدلالات ، تظهر بتصوّر مشاهد هذا التغيّر في سياقها العام ، بعيداً عن البحث في جزئيات دلالة البنية مجردة عن السياق .

وقد ناقش العلماء أغراض مثل هذا النوع من التغيّر ، ورصدوا له دلالات عدّة تمثل في غالبها الأغراض البلاغية لفعل الأمر ، والحقيقة أنّ مثل هذا الرصد لا ينبغي أن يكون مجرداً عن السياق ، واستخلاص دلالة عامة تحكم صورة التغيّر في فعل الأمر كما صنع الفخر الرّازي ت(٦٠٤هـ) حين نصّ على أنّ صورة هذا التغيّر تدلّ على المقته والتبعيد<sup>(٢)</sup> ربّما لا تستقيم في كثير من الأحيان مع السياق الخاص ، إذ قد ترد دلالات أخرى يلمح الموضوع الواحد إلى تنوع أغراضها ، وتعدد مقاصدها باختلاف نظر المتلقين للنص . وقد رصد الباحث ( أحد عشر ) أنموذجاً لصورة التغيّر من الأمر إلى الماضي بين القراءات القرآنية ، منها ( ستة ) أفعال وردت بقراءات متواترة ، والبقية شاذة<sup>(٣)</sup> ، وسيتناول الباحث بالتحليل والدراسة النماذج الآتية :

(١) يُنظر : أبو موسى ، محمد حسنين : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ٣٠٤  
 (٢) يُنظر: الرازي : مفاتيح الغيب ، ٧٢/١٧ ، واعترض عليه محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ٣٥٠  
 (٣) يُنظر : ملاحق الرسالة

١. ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة : ١٢٥

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ ابن كثير وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي بكسر الخاء من الفعل ( واتَّخِذُوا ) على الأمر.
- وقرأ نافع ، وابن عامر بفتح الخاء على أنه فعل ماضٍ ( واتَّخِذُوا )<sup>(١)</sup>.

### ❖ معاني القراءتين و توجيهِهما :

للعلماء في توجيه قراءة الأمر أقوال ، منها<sup>(٢)</sup>:

- عَطَفَ عَلَى ( اذْكُرُوا ) في قوله تعالى : ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ١٢٢، وعلى هذا القول يتوجه الخطاب في القراءة إلى بني إسرائيل ، أي : اذكروا نعمتي ، واتخذوا .
- معمولٌ لقولٍ محذوفٍ أي : وقلنا اتَّخِذُوا ، والمعنى متَّجِهٌ إلى إبراهيم عليه السلام وذريته ، أو لمحمد صلى الله عليه وآله وأُمَّته .
- عطف على الأمر الذي تضمَّنه قوله ( مَثَابَةٌ ) كأنَّه قال : ثوبوا واتَّخِذُوا ، وهو بعيدٌ .
- أن يكون مستأنفاً ، ذكر هذا الوجه العكبري<sup>(١)</sup> .

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ١٦٩ ، ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ، ٢٥٩/٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ١٦١ ، الداني : التيسير ، ٢٣٢ ، ابن البادش : الإقناع في القراءات السبع ، ٦٠٢/٢ ، ابن الجزري : النشر ، ٥٢٦ ، السفاقي : غيث النفع ، ٩١ .

(٢) يُنظَر : السمين : الدر المصون ، ١٠٥/٢ ، ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، ٤٦٢/٢ .

ومردُّ هذه الأقوال جميعها إلى : الإلزام والفرض<sup>(٢)</sup> سواء أكان المخاطب إبراهيم عليه السلام وذريته ، أم بنو إسرائيل ، أم محمد صلى الله عليه وآله وأمته ، ويرى الفخر الرازي ت(٦٠٤هـ) أنّ الأمر هنا لأمة محمد صلى الله عليه وآله أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى ، وأنّ ورود الفعل في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام اعتراضٌ ، التقدير فيه : أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأما ؛ فاتَّخِذُوهُ أَنْتُمْ قَبْلَةَ لِأَنْفُسِكُمْ<sup>(٣)</sup>.

ومما يقوي توجُّه الأمر إلى أمة محمد صلى الله عليه وآله ما أخرج أبو داود في كتاب المصاحف عن مُجَاهِدٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ آخِذًا بِيَدِ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَقَامِ ، قَالَ : هَذَا مَقَامُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله : " نَعَمْ " ، قَالَ : أَفَلَا نَتَّخِذُهُ مُصَلَّى؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ( وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى )<sup>(٤)</sup> .

أما قراءة الخبر فعلى ثلاثة أوجه :

- العطف على ( جَعَلْنَا ) المخفوض بإذ ، ويكون تقدير الكلام فيه على جملة واحدة : واتَّخِذَ النَّاسُ مِنْ مَكَانِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي عَرَفَ بِهِ وَأَسْكَنَهُ ذُرِّيَّتَهُ عِنْدَهُ وَهُوَ الْكَعْبَةُ قَبْلَةَ يَصِلُونَ إِلَيْهَا .
- العطف على مجموع ( وَإِذْ جَعَلْنَا ) ، وعليه فيحتاج إلى تقدير إذ ، فيكون المعنى : وَإِذْ جَعَلْنَا ، وَإِذْ اتَّخَذُوا وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى جَمَلَتَيْنِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ ت(٣٧٧هـ) : " وَمِمَّا يُوَكِّدُ الْفَتْحَ فِي الْخَاءِ أَنَّ الَّذِي بَعْدَهُ خَبْرٌ وَهُوَ قَوْلُهُ : ( وَعَهْدُنَا ... )<sup>(٥)</sup> ، وعلى هذين الوجهين يكون المعنى إخباراً عن ولد إبراهيم عليه السلام أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مَقَامَهُ مُصَلَّى .

(١) يُنْظَرُ : الْعَكْبَرِيُّ : إِمْلَاءُ مَا مِنْهُ بِالرَّحْمَنِ ، ٦٩

(٢) يُنْظَرُ : الْأَخْفَشُ : مَعَانِي الْقُرْآنِ ، ٢٨٢

(٣) الرَّازِيُّ : مِفْتَاحُ الْغَيْبِ ، ٥٣/٤

(٤) ابْنُ أَبِي دَاوُدَ : كِتَابُ الْمَصَاحِفِ ، ٣٨١/٣

(٥) الْفَارَسِيُّ : الْحِجَّةُ فِي عِلَلِ الْقُرْآنِ ، ٥٩/٢

- العطف على محذوفٍ تقديره : فتأبوا واتَّخذوا ، ذكره العكبري<sup>(١)</sup> .  
ومردُّ هذه الأقوال إلى أنّ القراءة بفتح الخاء في ( واتَّخذوا ) إخبارٌ عمَّن كان قبلنا من المؤمنين من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وممن بعده أنهم اتخذوا من مقامه مصلىً ، قال في الكشف : " والتقدير واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واذكر إذ اتَّخذَ الناس من مقام إبراهيم مصلىً ، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم فكله خبر ، فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان . فحُمِلَ على ما قبله وما بعده ؛ لينفق الكلام وينطبق ، ف : ( إذ ) محذوفة مع كل خبر لدلالة ( إذ ) الأولى الظاهرة على ذلك " <sup>(٢)</sup> .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

القراءتان في سياق الحديث عن بدايات قصة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق الذي اتصلت به أفئدة الناس وأرواحهم ، وهفت إليه قلوب كثيرٍ منهم ، ومع امتداد الحقبة التاريخية وطولها بيننا وبين تلك البدايات التي أسَّست فيها قواعد هذا البيت العتيق إلا أنّ القارئ يشعر من خلال السرد المتناسق للآيات بالوحدة الزمنية وكأنَّ معالم القصة وتفاصيلها حادثة تجري الآن أمام ناظره ، وممَّا زاد السياق روعة وأكسبه بهاءً صورة التغيّر الحاصلة في بنية الفعل من الأمر إلى الماضي ، ولنتأمل شيئاً من تلك الدلالات :

#### القراءة بالأمر ( اتَّخذوا ) :

اختارها جمعٌ وقالوا : هي أكد وأبينُّ للفرض ، وبها يتحقق اللزوم<sup>(٣)</sup> ، بل حكم بعض الباحثين بأنَّ القراءة بها أبلغ وأفصح كونها تدلُّ على الأمر الصريح<sup>(٤)</sup> ، ولأنَّ وجوب اتخاذ المقام مصلىً بلفظ الأمر أوجب منه إذا كان بلفظ الخبر ، لأنه إذا كان خبراً عن

(١) يُنظر : العكبري : إملأ ما منَّ به الرحمن ، ٦٩ .

(٢) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢٦٣/١ .

(٣) يُنظر : الطبري : جامع البيان ، ٢٥٤/٢ ، الزَّجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٢٠٧/١ ، الفارسي : الحجة في

علل القراءات ، ٥٩/٢ ، المهدي : شرح الهداية ، ٣٦٩-٣٧٠ .

(٤) يُنظر : عيسى ، محمد : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ، ٢١٢ .

قوم اتَّخَذُوهُ قَبْلُنَا ؛ لم يلزمنا اتَّخَاذَهُ حَتَّى نؤْمَرَ بِذَلِكَ ، أو يفسَّر لنا النبي ﷺ أَنَّ هَذَا الْخَبْرَ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ .

ومنهج التَّمْيِيز بين القراءات والموازنة بينها على أساس التفاضل منهجٌ لم يرتضه الباحث ابتداءً ، وسطرٌ ما يؤيِّد ذلك في أثناء هذه الدِّراسة ، إذ القول بفصاحة أو بلاغة قراءة على أخرى يقتضي تفضيل قراءة على قراءة ، وعقد المقارنة بين القراءتين في هذا الموضوع لا يسلم به ؛ لأنَّ القراءتين متواترتان ، وكلاهما حقٌّ من عند الله تعالى ، كما أنه حين يقال بفصاحة قراءة الكسر وبلاغتها على قراءة الفتح ؛ يُبْرَزُ من يناصر قراءة الفتح ويجعلها الأبلغ والأفصح ، كالشاطبي ت(٥٩٠هـ) مثلا الذي يقول في منظومته :

وَاتَّخَذُوا بِالْفَتْحِ أَعْمَ وَأَوْغَلًا<sup>(١)</sup> ( الطويل )

يقول أبو شامة ت(٦٦٥هـ) : " وَإِنَّمَا جَعَلَ الْفَتْحَ أَعْمَ ؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ إِلَى عَمُومِ النَّاسِ فَيَكُونُ الْفِعْلُ مَوْجَّهًا إِلَى الْأُمَمِ قَبْلُنَا نَصًّا ، وَإِلَيْنَا بِطَرِيقِ الْإِتِّبَاعِ لَهُمْ ؛ لِأَنَّ شَرْعَ مَا قَبْلُنَا شَرْعٌ لَنَا مَا لَمْ يَرِدْ نَاسِخٌ ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُسْرِ فَتَخْتَصُّ بِالْمَأْمُورِينَ<sup>(٢)</sup> .

والباحث يرى أَنَّ تَنْزَلَ كُلُّ قِرَاءَةٍ مَنْزِلَةً آيَةً كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ الْجَزْرِيِّ ت(٨٣٣هـ)<sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّ يُنْظَرُ فِي دَلَالَاتِ كُلِّ قِرَاءَةٍ فِي سِيَاقِهَا الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ ، ثُمَّ نَنْقِبًا مِنْ ظِلَالِ تِلْكَ الْمَعَانِي وَالدَّلَالَاتِ مَا يَكُونُ شَاهِدًا عَلَى إِعْجَازِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، وَامْتِلَاكِه نَاصِيَةَ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ .

ومِمَّا يُمْكِنُ قَوْلُهُ فِي دَلَالَاتِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ : تَوْجِيهِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ يَحْذُو حَذُو مَنْ سَبَقَهُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعِنَايَةِ بِالْمَقْدِسَاتِ ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَمَنْ ذَلِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

(١) الشاطبي : حرز الأمانى ، البيت ٤٨٤

(٢) أبو شامة : إبراز المعاني ، ٣٤٥

(٣) يُنْظَرُ : ابن الجزري : النشر ، ٤٦



حيث وردت القراءة بالأمر ( اتَّخَذُوا ) تأمرهم بالاستمرار على نهج أبيهم إبراهيم عليه السلام ، وألا يكونوا أقلّ عناية ممن سبقهم بأماكن عباداتهم<sup>(١)</sup> .

ومن تلك الدلالات ما يستوحى من الوقف على كلمة ( أَمَّا ) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا ﴾ البقرة : ١٢٥ ، فإنّ الوقف عليها على قراءة الأمر : ( اتَّخَذُوا ) وقف تامٌّ ؛ لأنه وقفٌ على كلامٍ تمّ معناه ، ولم يتعلّق بما بعده لافظاً ولا معنى ، على خلاف من قرأ بالماضي : ( اتَّخَذُوا ) فإنّه لا يحسنُ له الوقوف على ( أَمَّا ) ؛ لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنى ، حيث أنّ : ( واتَّخَذُوا ) جملة في موضع جر بالعطف على ( جعلنا )<sup>(٢)</sup> . ولعلّ هذا - والله أعلم - مناسبٌ لما ينبغي أن يكون عليه الأمر من وضوح عباراته ، وقصر مفردات خطابه ، حتى يكون أفهم عند السامع . ولمّا تمّ الكلام بالوقوف على ( أَمَّا ) ؛ كان الابتداء بالأمر ( اتَّخَذُوا ) واضح الدلالة ، بيّن . قال الزّجاج ت(٣١١هـ) : " والقراءة بالكسر أبين "<sup>(٣)</sup> . أمّا قراءة الماضي فالسرّد القصصيّ مستمرٌّ ، وتلاحق الأحداث متوارداً ، والنفس تواقّة لسماع المزيد من تفاصيل الحكاية ، فلمّا قال : ( وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا ) يتردّد في النفس صدّى يقول : ثمّ ماذا ؟ لتكتمل القصّة : ( واتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ) ، وهكذا إلى أن تنتهي الحكاية .

### القراءة بالماضي ( اتَّخَذُوا ) :

أفادت معنى الإخبار عمّا كان عليه الناس من ولد إبراهيم عليه السلام ، وأتباعه من ذريته من اتخاذهم لمقام أبيهم إبراهيم عليه السلام مصلى . لقد اختصرت هذه القراءة أحياناً متلاحقة ، وفترات زمنية متباعدة ، جيلٌ يتلوه جيلٌ ، وزمنٌ يعقبه زمنٌ ، ومع ذلك فالحركة مستمرة والافتداء بالأب لم ينقطع ، وقد عبّر عن هذه الحقبنة

(١) يُنظر : الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥١٩ ، الدليمي ، أحمد : فن الإنشآت في القراءات السبع . ص ١١

(٢) يُنظر : النحاس : القطع والأنتاف ، ٧٨ ، الداني : المكثفي في الوقف والابتداء ، ١٢٨ ، الجمل ، عبد الرحمن : أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء . ص ٢٩٧

(٣) الزّجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٢٠٧/١

الضّاربة جذورًا في التاريخ ، المُمتدّة أحقابًا من الزّمن بالفعل الماضي المتّصل به واو الجماعة ( اتَّخَذُوا ) لتلخّص تفاصيل موقف الاتّباع والافتداء .

كما أشارت القراءة إلى عِظَم قيمة هذا المقام وأهميته في نفوس المؤمنين والصالحين من أتباع الأنبياء ، وأنّ المؤمنين من لدن أبيهم إبراهيم عليه السلام وهم يعظّمونه ، ويُجلّونه ، ويقصدونه بالصلاة<sup>(١)</sup> .

والملاحظ أنّ كلّ جملة فعلية وردت في هذا السياق من مثل : ( جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً ) ، ( واتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ) ... عبارة عن خبر تحمل معنى التثنية والتذكير لما كان عليه النَّاس في الماضي ، فحُمِلَ الكلام على ما قبله وما بعده ليتَّفَق ويتطابق وهذا ما نصَّ عليه مكي ت(٤٣٧هـ) في الكشف<sup>(٢)</sup> ، وإرادة التطابق والاتفاق في سياق الأفعال على هذه القراءة لبيان قيمة هذا المكان التاريخية وتمدّح المعظّمين له من أتباع الأنبياء<sup>(٣)</sup> ، والتعريف بأنّ ليس كل قديم يُنبَذ ، وأنّ اقتفاء الأبناء هدي آباءهم والسير على خطاهم ليس مذمومًا على الإطلاق<sup>(٤)</sup> .

ويلاحظ أنّ للزمن مساحةً ونظرًا في بنيتي الفعلين ، وقد ذهب د.الهتاري إلى أنّ القراءة بالإخبار عن وقوع الفعل قد تنزّلت بعد قراءة الأمر به ، وترتّبت عليها<sup>(٥)</sup> ، ووجد الباحث قريبًا من هذا الرأي عند د. خير الدين سيّب<sup>(٦)</sup> ، ولعلّ مستند هذا القول تساؤلُ آثاره ابن خالويه ت(٣٧٠هـ) عند توجيهه لهذه القراءة حين قال : " فإن قيل : فإنّ الأمر ضدّ الماضي ، وكيف جاء القرآن بالشيء وضدّه ؟ فقل : إنّ الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئًا ففعلوا ما أمروا به ، فأثنى بذلك عليهم ، وأخبر به ، وأنزله في العرصة الثانية<sup>(٧)</sup> .

(١) يُنظر : الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥١٨

(٢) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢٦٣/١

(٣) يُنظر : حيش ، محمد: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ، ٢٦٣

(٤) يُنظر : الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥١٨

(٥) يُنظر : الهتاري ، عبد الله: الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ، ٧٨ ، تحولات الأفعال في السياق القرآني ، ٣٥

(٦) يُنظر : سيّب ، خير الدين: تغيّرات الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى ، ٩٨

(٧) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ، ٨٧

ويرى الباحثُ خلاف ذلك ، صحيحٌ أنّ دلالة الزمن لها حظٌ ومساحةٌ من بنيتي الفعلين لكنّ الحكم بأنّ فعل الأمر سابقٌ للماضي يحتاج إلى مستندٍ ودليل . قد يُرى لأول وهلة أنّ هناك أمرًا واستجابة له والترتيب المنطقي أن يكون الطلب سابقًا للجواب ، ولكنّا إن نظرنا إلى دلالتَي القراءتين من زاوية أخرى فيمكن القول : القراءة بالماضي سبقت الأمر من حيث أنّ مقام إبراهيم عليه السلام لم يزل مصليًا يتخذهُ المتحنفون على ملته وهذه دلالة الماضي ( اتَّخَذُوا ) ، فجاءت الشريعة بإقرار ذلك ثم الحثُّ عليه بقراءة الأمر : ( اتَّخَذُوا ) ، والقول بأنّ تنزّل قراءة الأمر كان سابقًا لقراءة الإخبار يحتاج إلى دليل ، ولا تُفهم هذه الأسبقية من حديث عمر رضي الله عنه الأنف الذكر<sup>(١)</sup> ، بل يمكن القول أنّ عمر رضي الله عنه قد انقذ في ذهنه أو سمع أخبارًا عن قبلة المسلمين الأولى وكيفية بنائها ، وأنّ هذا المقام مقام إبراهيم عليه السلام وسؤاله يُنبئ عن علم ولو في حدّه اليسير " يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟! ، ولو لم تكن الدلالة الزمنية للفعل ( اتَّخَذُوا ) سابقة لما بادر عمر رضي الله عنه عنه بالعرض ( أفلا نتخذهُ مصلي ؟! ) ، ولماذا إذن الصلاة دون غيرها من سائر العبادات ، لا شك أنّ هناك خلفيّة تاريخيّة في ذهن عمر رضي الله عنه ولدت عنده هذا العرض بغضّ النظر عن حجمها ومقدارها . ومن هنا يمكن القول بأنّ أسبقية تنزّل قراءة الأمر على قراءة الخبر غير متحقّقة .

والباحث يرى أنّ الأولى إعمال القراءتين معًا ، والتأمّل في دلالتيهما مجتمعتين ، بغضّ النظر عن أيّهما كان الأسبق تنزّلًا ؟ فمِمّا يحمله إعمال دلالتَي القراءتين مجتمعتين :

- أنّ الناس من أتباع الخليل عليه السلام اتخذوا من مقامه مصليًا ، وبنية الفعل في معرض المدح باستحباب فعلهم ، وأمّرتنا نحن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن نتخذهُ مصليًا اقتداءً بهم وتأسّيًا ؛ " لأنّ شرع من قبلنا شرعٌ لنا ، ما لم يرد ناسخ " <sup>(٢)</sup> . يقول الله تعالى :

(١) يُنظر : ص ١٢٣ من هذا البحث

(٢) يُنظر : الغزالي : المستصفى من علم الأصول ، ٢/٤٣٥

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل

عمران: ٦٨

- في القراءتين ذمٌ مبطنٌ لليهود على القول بأنَّ الخطاب لهم<sup>(١)</sup> ، فإنَّه تعالى لمَّا فهم ثاؤه على المؤمنين من أتباع محمد ﷺ باتخاذهم مقام إبراهيم عليه السلام مصلًى ؛ قدَّم جزأً لليهود بفعل الأمر ( اتَّخَذُوا ) أي : عن إنكار التوجُّه إلى الكعبة .
  - كما أثارت القراءتان العديد من المسائل الفقهية التي استنبط منها الفقهاء معاني مختلفة منها على سبيل المثال : هل تشرع الصلاة عند المقام أم لا ؟! و هل الصلاة خاف المقام سنة أم واجبة ؟ وغيرها من الخلافات الفقهية ممَّا ليس هذا محلُّ بسطها وتفصيلها<sup>(٢)</sup> ، لأنَّ ما يهمننا هو بيان أثر هذا التغيُّر على الدلالة والمعنى .
- وهذه المعاني المتكاملة لهاتين القراءتين لم تكن لتظهر بهذا الكمال لو أنَّ القراءة كانت بوجه واحد فقط ، فتنوع اللفظ أدَّى ما تؤديه العبارات وزيادة ، وليس هناك أوجز وأدلُّ على المعنى من ذلك .

(١) يُنظر : السيوطي : قطف الأزهار ، ٣٢٢/١ ، واستبعده ابن جرِّي : التسهيل لعلوم التنزيل ، ٨٣/١  
 (٢) يُنظر للاستزادة : آل إسماعيل ، نبيل : علم القراءات ، ٣٨٢ ، حبش ، محمد : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ، ٢٦٣

□ ٢. ﴿بَعْدَ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ سبأ: ١٩

### ❖ مذاهب القراء :

ورد في هذا الفعل عدّة قراءات ، منها<sup>(١)</sup> :

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بفتح الباء في ( رَبَّنَا ) على النداء ، و ( بَعْدَ ) بغير ألف مع تشديد العين وكسره ، على أنه فعل أمر .
- وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزمة و الكسائي وأبو جعفر وخلف ( رَبَّنَا ) بالفتح على النداء ، و ( بَاعِدْ ) بكسر العين مخففة مع ألف قبلها وسكون الدال على أنه أمر
- وقرأ يعقوب ( رَبَّنَا ) بالرفع ، و ( بَاعِدَ ) بفتح العين مخففة مع ألف قبلها ، وفتح الدال ، على الماضي ، ووردت قراءات أخرى من مثل : ( رَبُّنَا بَعْدَ )<sup>(٢)</sup> بفتح العين ، وتشديده ، وفتح الدال ، و ( رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا )<sup>(٣)</sup> و ( رَبَّنَا بَاعِدَ بَيْنَ سَفَرِنَا )<sup>(٤)</sup> و ( بُوعِدَ )<sup>(٥)</sup> ، وغيرها<sup>(٦)</sup> ، وسيقتصر الباحث على ثلاث القراءات الأولى .

### ❖ معاني القراءات ونوجيهاها :

اشتركت قراءة الجمهور مع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام في نصب ( رَبَّنَا ) على النداء أي : يا رَبَّنَا ، والفعل على كلا القراءتين أمرٌ ( بَاعِدْ ) و ( بَعْدَ ) . وقد

(١) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٥٢٩ ، ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر ، ٣٦٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ٣١٢ ، ابن خلف : الإكتفاء في القراءات السبع ، ٢٥٠ ، الجندي : بستان الهداة ، ٧٥٦ ، ابن الجزري : النشر ، ٦١٧ ، حبش ، محمد : الشامل في القراءات المتواترة ، ٢٤٢ ، محيسن ، محمد : الإرشادات الجليلة ، ٦٦٦

(٢) قرأ بها يحيى بن يعمر : يُنظر : ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر ، ٣٦٢

(٣) البيهقي وجماعة : يُنظر : ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ، ١١٢

(٤) يحيى بن يعمر : يُنظر : المرجع السابق ، ١٢٢

(٥) حكاها أبو معاذ : يُنظر : المرجع السابق ، ١٢٢

(٦) يُنظر مثلاً : الكرمانى ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ، ٣٩٠ ، ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ١٨١ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٣٢٧ / ٧

ذهب جمعٌ من العلماء إلى أنّ معنى الفعلين واحدٌ والمقصود به : التّباعد<sup>(١)</sup> ، مستدلينّ بأنّ ( فَاعِلٌ وَفَعَلٌ ) يجيئان بمعنى ، كقولهم : ضاعف وضعّف ، وقارب وقرب<sup>(٢)</sup> ، واللفظان في الآية جميعًا على معنى الطلب والدعاء ، ولفظهما الأمر .

وقد أنعم الله على قوم سبأ المخصوصين بهذه الآيات بنعم كثيرة فقد كان الرجل منهم لا يتزود ويمشي في ظل الشجر بين مساكنهم التي كانت ممتدة من اليمن إلى الشام ، " كان الغادي منعّمًا يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعًا ، ولا عطشًا وعدوًّا ، ولا يحمل زادًا ولا ماءً " <sup>(٣)</sup> ، ولما بطروا هذه النعم ، وجهلوا العافية ، وغمطوا ما أنعم الله عليهم سألوا الله تعالى تغيير ما بهم ، والمباعدة بين أسفارهم ، وفي دعائهم على أنفسهم بصيغة الطلب معان :

- إمّا أن يكون هذا الدعاء بطرًا وأشرًا منهم ؛ كونهم سنموا الراحة ، ولم يصبروا على العافية فتمنوا حينها طول الأسفار ، والكدح في المعيشة ، أو أن يكون بطرهم وأشهرهم على سبيل التطاول على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد ، والماء تفاخرًا بمظهرهم واستهزاءً بالفقراء <sup>(٤)</sup> .

- وإمّا أن يكون معتقدهم في الأصل فاسدًا لشدة اعتمادهم على أنفسهم ، ولأنّهم وإنّ سألوا ذلك فاعتقادهم أنّ الله تعالى لن يقدر عليه - تعالى الله عن ذلك - ، رجّح هذا ابن عاشور<sup>(٥)</sup> ، وهذا الاعتقاد ناشئٌ عن كونهم غير مقرّين بالله تعالى تألّها وتعبّدًا مع اعترافهم بأنّه ربُّهم .

- أو يكون دعاؤهم هذا نتيجة فساد ذوقهم في إدراك مصالحهم وقد يكونون ممّن أدركوا تباعد الأسفار في بلادهم قبل أن تنتهي بهم إلى تلك النعم ، أو كانوا ممن يسمعون عن أحوال الأسفار والتنتقل ؛ فأعجبوا بمثل هذه الأحوال فسألوها .

(١) يُنظر : الأزهرى : معاني القراءات ، ٢/٢٩٤ ، أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٨٨ ، مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢/٢٠٧ ، الكرمانى ، محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ، ٣٣٧  
(٢) يُنظر : الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ، ١/٩٩  
(٣) الرّمخشري : الكشاف ، ٣/٥٨٧  
(٤) يُنظر : سيكو ، كوليبالي : طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة ، ٣٦٨ ، الألوسى : روح المعاني ، ٨/١١  
(٥) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ٢٢/١٧٧

- أو كان دعاؤهم بلسان الحال فإنّ كفرهم ومخالفتهم أمر ربهم تبارك وتعالى تستلزم أن تتحول عنهم النعم ، فلمّا بطروا حلّت بهم أسباب النعمة وتحول العافية ، والشكر قيداً للنعم كما أنّ الكفر من أعظم أسباب زوالها .

#### أما قراءة يعقوب بالإخبار ( ربّنا باعد ) فتحمل معنى :

- الإخبار بأنهم استبعدوا القريب ، ورأوا أنّ ذلك غير مقنع لهم ، وكأنّهم أرادوها متصلة الدور ، وفي هذا الإخبار تعسّفٌ وتسخّطٌ على أقدار الله تعالى وإرادته ، وفيه قلّة شكرٍ لله تعالى على سابغ نعمه ، وسابق عطائه ؛ " لأنّهم ما طلبوا التّبعيد ، إنّما طلبوا أقرب من ذلك القرب بطراً وعُجباً مع كفرهم " (١) .

- أو أنّهم دعوا الله تعالى أن يبعد بين أسفارهم بطراً وأشراً ، وخيّر عنهم كما في قراءة الأمر فلمّا فعل بهم ذلك ، وبوعد بين أسفارهم وتحقّق دعاؤهم ، خبروا به وشكوا على وجه التّسخّط والتّمتر ما فعل بهم .

وعلى كلّ فمن نصب ( ربّنا ) فعلى النداء ، فإن جاء بعده طلبٌ كان ذلك كبيراً وبتراً ، وازدراءً للنعمة ، وإن جاء بعده فعلٌ ماضٍ فيكون ( ربّنا باعد ) إخباراً وشكوى بعضهم لبعض تدميراً ممّا فعل بهم من المباعدة بين الأسفار والمراحل .

#### ❖ أثر القراءات على المعنى :

" هذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجرّ أن يقال : إحداهما أجود من الأخرى ، كما لا يقال ذلك في أخبار الأحاد إذا اختلفت معانيها " (٢) ، ومن هذا المنطلق يتوجب على الباحث التعامل مع شكل التغيّر الواقع لبنية الفعل بين القراءات .

تتحدث الآية عن قوم سبأ وما أنعم الله تبارك وتعالى عليهم من النعم الظاهرة الجلية ، من اتّصال قرأهم بالشجر والثّمار ، يسرون فيها متى أحبّوا من ليل أو نهار ، لا يحملون زاداً ، ومع تغادق هذه النعم عليهم إلا أنّهم بدّلوا نعمة ربهم كفراً وبتراً ، حتى

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠١/١٧

(٢) النحاس : إعراب القرآن ، ٧٩٠

إذا ما تحققت سنة الله تعالى فيهم أخذوا في التبرّم والشكوى . وقد نقل لنا السياق القرآني ونسق الآية طرفاً من ذلك بوجهين من وجوه القراءة :

### وجه النداء والطلب :

اختار هذا الوجه جمهورُ القراء في (بَاعِدُ) ، وابن كثير ومن معه في (بَعْدُ) ، ودعاؤهم على أنفسهم دليل على أنهم ملّوا النعمة ، وبطروا العافية ، وسئموا طيب العيش فطلبوا التبديل عن حالهم ، وتغيير ما هم عليه من النعم ، ومن رأى أنّ الفعلين بمعنى واحد أجرى دلالتهما على : " أنهم سألوا المباعدة في أسفارهم " (١) ، بيد أنّ هناك فرقاً جلياً بين بنيتي الفعلين تظهر من سياق سؤالهم : فالسؤال بـ (بَاعِدُ) فيه إشارة في طلبهم أنّ يطيل الله ذلك البعد ، وذلك مستوحى من الألف الذي يوحى بمضمون طلبهم ، وهو : المباعدة الكبيرة في المسافات بين القرى (٢) ، وممّا يؤيد هذا المعنى إثارهم التعبير بـ (بين أسفارنا) ، وهذا التركيب يعطي معنى : اجعل البعد بين أسفارنا ، يقول ابن عاشور : " ولمّا كانت (بين) تقتضي أشياء تعيّن أنّ المراد : باعد بين السفر والسفر من أسفارنا ، ومعنى ذلك إبعاد المراحل ؛ لأنّ كل مرحلة تعتبر سفراً " (٣) . ولعلّ في طلبهم الإطالة والمباعدة في المسافات تناسقاً مع ما وُجّهت إليه صيغة الطلب عند الحديث عن توجيه القراءة :

- فهم طال تتعمّمهم وانغماسهم في هذه النعم ، بدليل أنّهم سئمواها ، ولا يسأم الإنسان شيئاً إلا إذا أكثر منه ، ولازمه فترة طويلة ، فطلبوا أن يُطال في مسافات سفرهم قياساً على طول مدة تلبّثهم في النعم على مبدأ القياس الفاسد .
- وفي طلبهم طول المباعدة بين الأسفار إحياء صريح بحالة ما كانوا عليه من الكفر والتباعد عن ربهم تبارك وتعالى ، وإلا فإنّهم لن يصلوا إلى مرحلة إنكار قدرة الله على التعجيل بالعقوبة إلا وهم يقفون على مسافات بعيدة عن مراد الله وأوامره .

(١) يُنظر : النحاس : إعراب القرآن ، ٧٩٠ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٠/١٧ ،

(٢) يُنظر : البقاعي : نظم الدرر ، ١٧٢/٦ ، الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥٢٤ ، قاسم ، رياض : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير ، ٤٠ ،

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٧٧/٢٢ ،



- وإن كان دعاؤهم ناشئاً عن فساد ذوقهم في إدراك المصالح والمفاسد ؛ فإنّ طلبهم المباحة بين الأسفار تؤكد أنّ هذا الذوق ذو مفاهيم مقلوبة ، يقف على مسافات بعيدة من مقاييس الذوق السليم ، فإنّ ما يتمناه المرء لنفسه إرادة النعيم ، وطلب الراحة ، لا الكدّ في المعيشة ، والكدّ في الرزق .
- كما ناسبت حالة ما هم فيه من الإيغال في المخالفة والعصيان ، وازدياد بطرهم وأشهرهم بلسان حالهم ومقالهم أنّ يردّ الدعاء على لسانهم بالعقوبة التي تناسب ما هم فيه من البعد عن تعاليم ربهم تبارك وتعالى.

أمّا السؤال بـ ( بَعْدَ ) على القراءة الأخرى ففيه التّشديد الذي يشير إلى إلحاحهم في الطلب ، كأنهم يقولون : بَعْدَ بَعْدَ ، أي : أعْظِمِ البُعْدَ وشدّدْهُ<sup>(١)</sup> ، وفي هذا المعنى ملاحظة على الله تعالى ، وسؤالٌ بالتعنّت والتشديد يفيد حالة ما هم عليه من البطر والكفر بالنعيم ، فتعدّد الأمر على معنّى واحد يشير إلى " المبالغة والتأكيد " <sup>(٢)</sup> في أنّ يستحيب الله تعالى طلبهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَاكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ ﴾ القصص: ٥٨ ، كما يفيد النداء تأكيد حصول الإلحاح منهم في الدعاء بذلك على وجه الجرأة والإنكار لنعم الله تعالى<sup>(٣)</sup> ، وفي كلتا القراءتين تصويرٌ لحالة ما وصلوا إليه من البطر ، وسأم العيش ، وإملاال العافية فطلبوا الانتقال عن حالة كانوا عليها إلى حالةٍ أخرى من نكد العيش وكدحه ، أشاروا إلى هذا الانتقال والتحوّل تارة بالمبالغة ، وتارة بالتأكيد قائلين : " اجعل بيننا وبين الشام فلات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ، وتنزود الأزواد " <sup>(٤)</sup> .

(١) يُنظر : البقاعي : نظم الدرر ، ١٧٢/٦

(٢) الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥٢٤

(٣) بازمول : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، ٤٥١

(٤) الثعلبي : الكشف والبيان ، ٨٥/٨

### الوجه الآخر : وجه الإخبار :

وهو إمّا دليلٌ على إفراطهم في التمتع فاستبعدوا مسائرهم على قصرها ودنوها ، من باب إظهار الهمّ والحزن على ربهم تعالى ممّا صنع بهم ، قال ابن عباس : " شكوا ربهم عز وجل " (١) ، وإمّا تصويرٌ لحالهم من شكوى بعضهم إلى بعض ممّا حلّ بهم من بُعد الأسفار حينما أجاب الله طلبهم ، وكلا المعنيين ينبئ عن عدم اعتدادهم بنعم الله تعالى عليهم ، ويظهر حالة السخّط والتذمّر التي كانوا عليها . قال ابن قتيبة ( ٢٧٦هـ ) : " والمعنيان وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنّ أهل سبأ سألوا الله أن يفرّقهم في البلاد فقالوا : ( ربّنا باعد بين أسفارنا ) ، فلمّا فرّقهم الله في البلاد أيادي سبأ ، وباعد بين أسفارهم ؛ قالوا : ( ربّنا باعد ) وأجابنا إلى ما سألنا ، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين في غرضين " (٢) .

وهكذا أبانت القراءة بالأمر عن حالة التماذي التي وصلوا إليها في إملال النعمة وبطرها ، فبعد أن لم تروق لهم تلك النعم الكثيرة التي متّعوا بها قالوا : ( ربّنا باعد ) فدعوا الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم : استخفافاً بمكر الله تعالى ، أو طلباً للتمايز عن الفقراء على وجه السخرية بهم ، ولم يكتفوا بهذا الدعاء مرّة واحدة ، بل استمروا في تكراره تماذياً في الكفر ونكران النعمة ، فقالوا : ( ربّنا بعد ) ، ثم أخذوا في التبرّم والشكوى بعد أن حلّ العذاب عليهم ، وأخبروا عن ذلك بقولهم : ( ربّنا باعد ) ، وهكذا شكّلت هذه القراءات في مجملها وصف أحوال هؤلاء القوم وحقيقة بطرهم وتماذيتهم في إنكار النعم ، وعلى كل فهم : " في كل حال بطّرون أشرون ، منكرون نعم الله تعالى " (٣) ، وهذا دليلٌ آخر يضاف إلى دلائل إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي استوعب النسق القرآنيّ فيه الطرائق التعبيرية لحالات الخطاب بأخصر العبارات وأبلغها .

(١) الثحاس : معاني القرآن ، ٢/٩٨٦

(٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، ٣٣ ، و يُنظر : المطعني : خصائص التعبير القرآني ، ١/٣٧٩

(٣) يُنظر : نهر ، هادي : التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية ، ١٥٥ ، : البيلي : المكشاف عمّا بين القراءات العشر من اختلاف ، ٢٠٩ ، رضوان ، سامي : تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر ( سبأ - ص ) ، ٦٦

### ٣. ﴿ قُل ﴾ :

في موضعين :

- ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيِّنٌ مِّنْ زُحْرَفٍ أَوْ تَرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّيَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠

### ❖ مذاهب القراء :

#### الموضع الأول<sup>(١)</sup> :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير وابن عامر بالأمر ( قُلْ ) بغير ألف.
- وقرأ ابن كثير وابن عامر بالماضي ( قَالَ ) بالألف .

#### الموضع الثاني<sup>(٢)</sup> :

- قرأ حفص وحمزة وأبو جعفر ( قُلْ ) بغير ألف على الأمر.
- وقرأ الباقون بالألف على الإخبار ( قَالَ ) .

### ❖ معاني القراءات ونوجيهاها :

تمثل هذه القراءة في الموضعين تغيّراً من الأمر ( قُلْ ) إلى الماضي ( قَالَ ) ، والتوجيه العام لمثل هذا النوع من التغيّر أن يُقال : إنَّ الرسول ﷺ إذا قال قولاً ؛ فإنّما قاله عن أمرٍ من ربه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ أَمْوَالِ ﴾ النجم: ٣ ، ويبقى أن

(١) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٣٨٥ ، ابن مهران : المبسوط ، ٢٧٢ ، الداني : التيسير ، ٣٤٥ ، ابن البادش : الإقناع في القراءات السبع ، ٦٨٧/٢ ، ابن الجزري : النشر ، ٥٨٨  
 (٢) يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٦٥٧ ، القرطبي ، عبد الوهاب : المفتاح في اختلاف القراءة السبعة ، ٣٤٨ ، ابن الجزري : النشر ، ٦٤٧ ، محيسن ، محمد : الفتح الرباني ، ٢٥٦

يناقش الباحث في كلِّ موضع أثر التغيُّر لبنية الفعل بين القراءتين على الدلالة والمعنى في ضوء السياق العام .

### ففي الموضع الأول :

جاءت القراءة بـ ( قُلْ ) لتأمر النبي ﷺ أن يقول : ( سُبْحَانَ رَبِّيَ ) للمشركين الذين اجتمعوا لمناظرته ومحاجَّته ، واشتروطوا عليه لإيمانهم بعض الشروط التي فيها من اللجاجة والجفاء ما فيها ، كما بيَّنها قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۙ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۙ ﴿٩١﴾ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ۙ ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۙ ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۙ ﴿٩٤﴾ الإِسْرَاءُ: ٩٠ - ٩٤ ، ويقوي هذا المعنى ما ورد من تكرار بُنية الأمر في الآيات : ﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمشُونَ مُتَمَيِّنِينَ ۙ ﴿٩٥﴾ الإِسْرَاءُ: ٩٥ ، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۙ ﴿٩٦﴾ الإِسْرَاءُ: ٩٦ .

أمَّا قراءة الإخبار : ( قال ) فإنَّ المشركين لما اقترحوا على الرسول ﷺ لإيمانهم ما تقدَّم من الآيات التي ليس في طاقة أحدٍ من البشر أن يفعلها ؛ قال الله تعالى لهم على لسان رسوله ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۙ ﴿٩٣﴾ الإِسْرَاءُ: ٩٣ ، فهذه الأشياء ليس في قوى البشر أن يأتوا بها ، بل هي مما يُظْهره الله تعالى تصديقًا للأنبياء .

### أما الموضع الثاني :

من قرأ ب ( قُل ) ؛ فعلى وجه الأمر من الله تعالى لنبيه ، أي : " يا محمد ، قل للنَّاس الذين كادوا يكونون عليك لبدًا : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠<sup>(١)</sup> ، والآيات بعده توافق هذا المعنى وتؤكدّه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴾ الجن: ٢١ - ٢٢

ومن قرأ بالخبر : ( قَالَ ) ؛ فلماذا تقدّم من ذكر الغيبة قبله في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن: ١٨ ، ولما أمره ربه تبارك وتعالى في القراءة الأولى ؛ أتى بلفظ ما خاطبه الله به من الأمر له بقوله : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠ ، واختار مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ) وجهًا آخر حيث جعل : ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ الجن: ١٨ شرطًا يحتاج إلى جواب ، وجوابه ( قال ) ، لا ( قل )<sup>(٢)</sup> .

### ❖ أثر القراءات على المعنى :

تحكي الآيات في الموضع الأول حالة العناد والعتو التي وصل إليها كفّار قريش في طلب الآيات لا لغرض الإيمان بل للتعنُّت والتعجيز وقد اقترحوا أنواعًا من المعجزات :

- أولها : ﴿ تَفَجَّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يُبْرِئُنَا ﴾ الإسراء: ٩٠
- ثانيها : ﴿ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَيْنٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ ﴾ الإسراء: ٩١
- ثالثها : ﴿ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا ﴾ الإسراء: ٩٢

(١) الطبري : جامع البيان ، ٢٣/٣٤٨

(٢) يُنظَر : مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢/٣٤٢

- رابعها : ﴿ تَأْتِي بِاللَّهِ وَأَمَلَيْكَهَ قَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٩٢

- خامسها : ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُخْرٍ ﴾ الإسراء: ٩٣

- سادسها : ﴿ تَرَفَّقَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الإسراء: ٩٣

ويتدفق من خطابهم كل معاني اللّجاجة والاستكبار عن قبول الحق يشير الباحث إلى شيء من ذلك ، ليُرى مدى مواءمة صورة التغيّر لدلالاتي القراءتين :

- الينبوع : " الجدول الكثير الماء " (1) ، و ( تَفَجَّر ) قرئت : ( تَفَجَّر ) (2) ، أرادوا كثرة الانفجار من الينبوع ، ومع أنّ جريان الماء من الينبوع واضح لكل من شاهده ، إلا أنّهم طلبوا وجهًا آخر من وجوه التعجيز يضاف إلى قائمتهم الطويلة التي تنبئ عن عدم إيمانهم ، وإنّما هو طلب قائم على التّشهيّي والتّفكّه في طلب الآيات ظنًا منهم أنّ ذلك ممّا يعجزه تبارك وتعالى ، فأرادوا : كثرة الانفجار من الينبوع مع أنّه واحد (3) ، ممّا ينبئ عن عنيتهم وشقاقهم .

- في قوله تبارك وتعالى : ﴿ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ الإسراء: ٩١ ، وجّه من التّعنت آخر يضاف إلى مطالبهم السّابقة مفاده : هب أنّك لا تفجّر هذه الأنهار لأجلنا ، ففجّرنا من أجلك ، على سبيل التّهكّم والازدراء

- وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ سَقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَأَمَلَيْكَهَ قَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٩٢ لجاجّة ، ووقاحةً ظاهرتين ، فقد طلبوا أن يسقط السماء كسفًا أي : " جرم السماء حالة كونها منقطعة قطعًا قطعًا " (4) ، وتأمّل اللّجاجة

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ٤٣٢٧ مادة ( نبع )

(٢) قرأ به : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٣٨٤

(٣) يُنظر : الرازي : مفاتيح الغيب ، ٥٨/٢١

(٤) الهجري : حدائق الروح والريحان ، ٢٣٦/١٦

في قولهم : ( كَمَا زَعَمْتَ ) أي: كما زعمت أنك نبيٌّ ، أو كما زعمت أن ربك إن شاء فعل .

- فإن لم يستجب النبيُّ ﷺ للطلبات السابقة فليأتِ بالله والملائكة قبلاً أي: عياناً ، أو كفيلاً أنك رسول الله من عند الله ، أو قبيلةً قبيلةً يناصرون ويدفعون عنك ويقفون معك .

- ثم طلبوا أن يكون له بيتٌ من ذهب ، أو يرقى في السماء ، ولا يكفي ذلك لإيمانهم بل لا بدَّ أن يعود إليهم ومعه كتابٌ محبَّبٌ يقرؤونه يشهد له ، وهكذا قائمة طويلة لمن تأملها في طلب الخوارق الماديَّة فيها من العناد والاستكبار والتبجُّح في حق الله تبارك وتعالى ما لا يقبله عقل ولا شرع ، بل تحمل في طياتها اقتراحات دالة على ( الطفولة العقليَّة ) كما سمَّاها سيّد قطب ، حيث يقول : " وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنيَّة ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق الماديَّة ، ويتعنَّتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقليَّة ، أو يتبجَّحون في حقِّ الذات الإلهيَّة بلا أدب ولا تحرُّج ... وتبدو طفولة الإدراك والتصور كما يبدو التعنُّت في هذه المقترحات الساذجة . وهم يسوِّون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء ! أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله تعالى والملائكة قبيلًا ! والذي يجمع تصوُّرهم بين هذه المقترحات كلها ، هو أنها : خوارق " (1) .

ولمَّا كان كلامهم على هذا الوجه من العناد والتبجُّح ، وليس المقصد في قرارة أنفسهم الإيمان والاستجابة ؛ جاءت القراءة بـ ( قُلْ ) أمره الرِّسول عليه الصلاة والسلام أن ينزِّه ربَّه تبارك وتعالى عن كلِّ تلك المعاني التي أوردوها بما يدل على التعجُّب من كلامهم ، مستعملاً في سبيل ذلك التعجُّب : ( سُبْحَانَ رَبِّي ) ، ثم الاستفهام الإنكاري : ( هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) ، " سبحانه تنزيهاً له من عتوكم وتمردكم وقصدكم العنت وتصفيّة أثار الحق بعد أن عرفتموه وجرى بقيام الدلائل عليه

(1) يُنظر: قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ٤/٢٢٥٠

مجرى المظهر المشاهد<sup>(١)</sup> ، والملاحظ أنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بالردّ على هذه التساؤلات وإيضاحها ، بل أمرَ بتنزيهه تعالى والتعجب من مقترحاتهم تضحيمًا لما قالوا ، وأنّ ما قالوه لا يستحق أن يلتفت إليه بقول ولا خطاب ، فالتعنّت فيها واضح لكلّ ذي لبّ ، وهي لا تعدو أن تكون مقترحات ساذجة ، ولا أدلّ على سذاجتها من ذلك التخبّط في طلبها ، تارة تجمع بين الزخرف والعروج إلى السماء ، وتارة بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله سبحانه وتعالى والملائكة قبيلًا .

ولمّا سمع رسول الله ﷺ مقترحاتهم التي جاءت على سبيل التحديّ ، ولقّن الله تعالى رسوله الردّ الذي يصدر عنه تكيّفًا لهم بما يناسب طلباتهم ؛ جاءت قراءة الماضي ( قَالَ ) مُخْبِرَةً استجابته ﷺ لأمر ربه تعالى فورًا بما لا يدع مجالاً لانتقاص ما هو مُقَدَّسٌ في الشريعة ، ومربيّة على عدم السكوت عن الباطل ، الذي تمثّل في وصف الله تعالى بما لا يجوز في حقه .

وفي الآيات تعليمٌ للمسلمين في كل عصر أن يسترشدوا بآيات الله تعالى في الردّ على تخرّصات الكافرين والمجادلين بالباطل<sup>(٢)</sup> ، كما أنّ في صورة التغيّر من الأمر إلى الماضي ملخّ تربويّ وجب أن يربّي عليه المسلمون أجيالهم ألا وهو : سرعة الاستجابة لأمر الله تعالى و أمر رسوله ﷺ . وهذا إعجاز قرآني أوصلته القراءتان على سبيل الالتفات .

#### أما الموضوع الثاني :

فحتى يُفهم أثر صورة التغيّر في هذا الموضوع نعود قليلاً إلى السياق قبل هذه الآية الكريمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ قُلْ إِنَّمَا

(١) مجهول المؤلف وابن عطية : مقدمتان في علوم القرآن ، ١٢٧

(٢) يُنظر: حمّاد ، آمال : تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر (الإسراء - مريم) ، ١٢٩



أَدْعُوا رَبِّي وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا ﴿ الجن: ١٩ - ٢٠ ، ويجدر أن يناقش الباحث في هذا السياق ثلاث مسائل بها يظهر أثر القراءتين على المعنى :

أولاً : من المقصود بـ ( عبد الله ) في الآية : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ الجن: ١٩ ؟

- قال قوم : هذا نوح عليه السلام ، وفي البحر المحيط : " أبعد من قال ( عبدالله ) هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنفذه الله منهم" (١) .
- وقال آخرون : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذان الوجهان متخرجان على القراءة بفتح الهمزة في ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ ﴾ الجن: ١٩ (٢) ، أمّا على قراءة كسر الهمزة (٣) ، فالعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : هل هذا القول مما أوحاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أم من حكاية الجن لما رجعوا إلى قومهم؟

- قال قوم : هو ممّا أوحاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قولاً .
- وقال ابن جبير: بل هي من مقولة الجنّ لقومهم يحكون ، وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ وَاللّٰوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذْقًا ﴾ الجن: ١٦ ، وما بعده معترض بين كلام الجنّ ؛ لأنّه ممّا يُقطع أنّه ليس من كلامهم ، ويترتّب على هذين القولين المسألة الثالثة ، وهي :

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ٣٤٦/٨

(٢) قرأ بها : ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ، يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات، ٦٥٦

(٣) قرأ بها شعبة ونافع ، يُنظر : المرجع السابق، ٦٥٦

ثالثاً : إلى مَنْ يعود الضمير في قوله تعالى : ( كَادُوا ) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ

عَدُّ اللَّهِ بَدَعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبِداً ﴾ الجن : ١٩ ؟

- إنْ كان القول ممّا أوحاه الله لنبيه ﷺ ؛ فالضمير في ( كَادُوا ) يعود على (١) :

- المسلمين في اجتماعهم على رسول الله ﷺ .

- أو الجنّ حين استمعوا من رسول الله ﷺ قراءته .

- أو الجنّ والإنس في تعاونهم على رسول الله ﷺ في الشرك .

- وإنْ كان القول من حكاية الجنّ لقومهم كما نصّ عليه ابن جبير ؛ فالضمير

في ( كَادُوا ) عائذٌ إلى أصحاب محمد ﷺ ، والمعنى يتّجه إلى إخبارهم بحال

أصحابه ﷺ يَطُوعُونَ له ، ويفتدون به في الصلاة ، فهم عليه لبداً أي :

جماعات<sup>(٢)</sup> .

في ضوء تلك المسائل الثلاث نفهم أثر القراءتين على الدلالة : فإنْ كان الكلام ممّا

أوحاه الله تعالى وممّا قاله ؛ فالعبد المقصود في الآية هو محمد ﷺ ، والضمير

في ( كَادُوا ) إمّا : للمسلمين ، أو الجنّ ، أو الجنّ والإنس في تظَاهُرِهِم عليه في الشرك

، فنكون دلالة القراءة : أنّ الله تعالى يسوقنا بهذا الكلام إلى المشهد الأول من قصة

استماع الجنّ للقرآن الكريم ، كما هو محور السورة قبل أن يسمعوا ما أمر الله تعالى

رسوله ﷺ من قوله : ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ) .

فإنْ كان الجنّ هم المقصودون بالخطاب ؛ فإنّهم حين استمعوا القرآن كادوا يكونون

عليه جماعات حرصاً على سماعهم ، أو تعجباً من هذا الأمر الجديد الذي لم يعهده من

قبل ، فلما رأى النبي ﷺ منهم ذلك قال : ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ) ، أي : ليس ما ترون من

(١) يُنظر: الماوردي : النكت والعيون ، ٦/ ١٢٠

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز ، ٨/ ٤٣٦

عبادتي ورفضني الإشرّك به تعالى بأمر يُتَعَجَّبُ منه ، إنّما يُتَعَجَّبُ ممّن يدعو غير الله ، ويجعل له شريكاً<sup>(١)</sup> ، وهو ما دلت عليه قراءة ( قَال ) ، وهو ﷺ لم يقله إلا بعدما أمره الله تعالى به بقوله : ( قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو ) ، وهذا ما دلت عليه قراءة ( قُلْ )<sup>(٢)</sup> .

وإن كان المقصود المؤمنين ؛ فالقراءة تصف حال أصحاب النبي ﷺ من تلبّدهم عليه أي : تجمّعهم حوله و اقتدائهم به ، فجاء الأمر بـ ( قُلْ ) موجّهًا لنبيه ﷺ أن يوكّد على هذا المعلم في نفوسهم ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ) ، فلما أمر ﷺ انتمر ، وخبّر كما أمر .

وإن كان المراد تظاهر الفريقين عليه من الجنّ والإنس في الشرك ، وفي إطفاء نور الله تعالى ؛ فإنّ القراءة بـ ( قُلْ ) جاءت على وجه الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ : يا محمد قل للنّاس الذين كادوا يكونون عليك لبداً : ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ) ، فقال للمتظاهرين عليه : ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ) وليس هذا ممّا يستوجب عداوتكم وبغضكم .

وإن كان السياق من حكاية الجنّ وهو ممّا يُحتمل : فإنّهم يحكون ما شاهدوه من طاعة أصحاب محمد ﷺ له ، وانتمامهم به في الركوع والسجود ، فكأنهم قالوا : لمّا قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبداً ، ثم واصلوا حكايتهم فحكوا عن النبي ﷺ أنّه قال لهم : ( إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ) ، وهذه الدلالة ظاهرة لمن قرأ بـ ( قَال ) . ومن قرأ بـ ( قُلْ ) ؛ فكأنّ فيه إشارة إلى طبيعة الأوامر التي سيتقافاها الجنّ ، " فالألفاظ بعد ( قُلْ ) مقولّ ذو بداية ونهاية ، محدّد بالألفاظ معيّنة ، ولا مجال أمام المتلقّي المأمور في إيلاغ الأمر إلا بالصيغ التي نطق بها الأمر"<sup>(٣)</sup> ، وفي هذا تمهيد عامّ لنمط الخطاب الموجّه إليهم ، القائم على الأمر بعبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك ، كما أنّ فيه إعلاناً بأنّه

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٤/٦٣٣

(٢) يُنظر : الجبلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص ١٣٣

(٣) العنوم ، كامل : جمال التعبير في النّص القرآني ، ص ١٧٣

ينبغي عليهم تلقِّي الأمر بالصيغة التي وردت ، ويجعلهم في حالة من الترقُّب والاعتناء بما سيؤمر به ، ويشير إلى نقيضه فكما أنَّه أمر بقول : ( إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي ) ؛ لزم منه الأمر بعدم القول بنقيضه وهو الشرك فكأنه قال : ولا تقل غير ذلك . وقد جاء مفتوح السورة بفعل الأمر : ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ الجن: ١ ، ممهِّدًا لهم ، ومهيبًا النفوس لجملة التكليف بعده من مثل : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ الجن: ٢١ ، و﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الجن: ٢٢ وغيرها ، وهكذا دارت صورة التغيُّر مع الدلالات السابقة ، محدثة اتِّساقًا عامًّا في المعاني بشكل التفات بليغ ، أحدث أثره مع كل صنفٍ من المخاطبين ، مربِّيًّا الجميع على الاستجابة لأمر الله تعالى من غير تباطؤٍ أو توانٍ ، بنمطين من القراءة : منسقة ، و منقطعة على الاستئناف ، والمعنيان صحيحان: قل لهم ، فقال : ( إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ) .

وهكذا تناوب فعل الأمر في عدد من الدلالات التي أحدثها السياق القائم على التغيُّر بين بنيتي الفعلين : الأمر والماضي ، ولوحظ أنَّ استبدال الماضي بالأمر في هذه القراءات حقَّق عددًا من المقاصد الدلالية التي ناسبت الأحداث ، والمواقف ، والدعوات ، ومعاني الأحكام الشرعية بالدقة الإعجازية التي لا تُحَدُّ ، ممَّا هو سمت القرآن الكريم وخصائصه في كلِّ أسرار بنائه اللغوي ، ومن هذه الدلالات التي أوجت بها صورة هذا التغير :

#### ١ . النشاء والمدح :

كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة: ١٢٥ . والتي تمدَّحت المعظمين للمقام اقتداءً بإبراهيم عليه السلام ، وأثنت على المقتفين سبيل الأنبياء .

## ٢. التوبيخ والتبكيث :

ويكثر أن ترد هذه الدلالة مع مجادلة الكفار لأنبيائهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣. فقد حمل التغيّر طبيعة الردّ الموجّه لطلبات هؤلاء القوم المبنيّة على التّعنت والجدال بلغة تناسب تمامًا حالتهم التي هم عليها ؛ تنبيهًا لفضاعة جرائمهم ، وإبطالا لثُرّاتهم ، وفيه من التوبيخ والنقريع ما يكتسي معه الخطاب لهجة شديدة صريحة تتناسب مع المقام ، ثمّ تتحوّل المواجهة بتغيّر بنية الفعل إلى الماضي لتحقيرهم و إذلالهم و إهانتهم وذلك بالإعراض عن مخاطبتهم أو الردّ على مطالبهم ، وإنّما بالحديث عنهم بطريق الغيبة ، وإبعادهم عن مقام الحضور ، إذ هم ليسوا بأهل للخطاب .

## ٣. التقرير والإثبات :

كثير من القضايا المهمة يُسلّك للتأكيد عليها ، وتحقيق حصولها سبيل التغيّر بين أساليب الخطاب ، فتارةً ترد بصيغة الأمر المباشرة بما يحمل على إلزام المتلقي وعدم غموض الدلالة عليه ، وتارة تردّ بالماضي لتوكّد القضية وأنها ينبغي أن تكون دخلت حيّز التنفيذ ، بل لزمها المتلقي وصارت عنده في حكم ما قد مضى ، و يتضح هذا جلياً في القراءة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠، فقضيّة خطيرة كقضيّة المعتقد هذه ؛ لجدير أن يتنوع أساليب الخطاب فيها للتأكيد على أهميتها ، يقول ابن عاشور: " وقد يتطلب وجه التفرقة بين ما صيغ بصيغة الخبر وما صيغ بصيغة الطلب ، فنفرق بين الصنفين : بأنّ ما صيغ بصيغة الطلب كان في مقام أهمّ ، لأنّه إمّا تمثيل لإبطال الشرك ، وإمّا لوعيد المشركين ، وإمّا نحو ذلك خلافاً لما صيغ بصيغة الخبر فإنّه كائن في مقام العبرة ، والموعظة للمسلمين وأهل الكتاب" (١) . وسياق الخطاب هو من يحدد هذا المعنى أو ذاك.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٤٠١/٢٣.

٤.المقت و التبعيد :

كما في قراءة : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ سبأ: ١٩ ، وهذه الدلالة ثلاثم الحالة التي كانوا عليها من المقت لنعم الله تعالى ، واستبعاد الخير عنهم ، وأنّ النعم التي كانوا ينعمون بها صباح مساء ما عادت تروق لهم ، وأضحت أحاديث غواير ملؤها وسئموها فلما مَقَتُوا النِّعْمَ مَقَتُوا ، ولما تباعدوا عن شكر المنعم تبارك وتعالى ؛ أبعدهم . وإيراد الآية بطريق الدعاء فيه مزيد تعاسة وإبعاد لهم ، كما أنّ إيراده على هيئة الخبر نوع إهانة وتحقير ، بالإضافة إلى كون الأمر المدعو به عليهم متحقّق لا محالة ، ومحصلّ القراءتين ما زادتهم إلا تُبُورًا .

وهكذا مثل هذا التغيّر بين بنيتي الفعلين ميداناً كبيراً لعمل النحوي والمفسّر يريان من خلاله الوجوه التي تؤكد السمة الإعجازية في العبارة القرآنية ، وصدق الله تعالى حين

قال : ﴿ كُنْتُمْ أَحْكَمَتَّ أَيْنُهُمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ هود: ١ .

## الفصل الثالث

التَّعْيِيرُ مِنَ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ إِلَى  
الْأَمْرِ وَالْعَكْسَ ، وَدَلَالَةَ ذَلِكَ

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التَّعْيِيرُ مِنَ الْفِعْلِ  
الْمُضَارِعِ إِلَى الْأَمْرِ ، وَدَلَالَتُهُ .
- المبحث الثاني : التَّعْيِيرُ مِنَ الْفِعْلِ  
الْأَمْرِ إِلَى الْمُضَارِعِ ، وَدَلَالَتُهُ



## المبحث الأول :

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر، ودلالته





### توطئة :

يتميّز الفعل المضارع عن الماضي والأمر بما يحدثه في نسق السياق من الحركة والتجدّد لمشهد الحدث ، والمضارع إذ يتّسم بذلك لا بدّ وأن يظهر أثره على الدلالة الزمّنية للفعل . بينما الأمر يفيد المستقبل أبداً<sup>(١)</sup> ، لأنّه " مطلوبٌ به حصول ما لم يحصل ، أو دوام ما حصل "<sup>(٢)</sup> ، وخالف بعض النحاة في هذه الدلالة لفعل الأمر فابن السراج ت(٣١٦هـ) لا يرى وجود دلالة على الزمّن في فعل الأمر حيث ذكر صيغتي : ( فَعَلَ ) و( يَفْعَلُ ) وأوضح أنّ الزمان ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وأغفل بُنية الأمر في تقسيمه<sup>(٣)</sup> ، ولمّا قسم ابن يعيش ت(٦٤٣هـ) أصناف الأفعال الدّالة على الزّمان ؛ لم يذكر الأمر<sup>(٤)</sup> .

والتغيّر الحاصل بين البينيين : المضارع والأمر يلقي بظلاله على سياق الكلام ، وهو إحدى صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر التي ذكرها البلاغيّون وعلماء البيان ، إذ يخرج فيه المضارع عن ظاهره . ويكاد ينحصر التغيّر بين بنيتي الفعلين في مظهرين اثنين<sup>(٥)</sup> :

- الأول : ما احتمل سياقه تغاير الوجهين ، فيُحمّل كلُّ أسلوب على ما يناسبه من المعنى .

- الثاني : ما حمّل وجه الإخبار فيه على الأمر بأن اتّخذت القراءة بلفظ الأمر وليجّةً للتدليل عليها . وهذا مقصود الباحث في هذا التغيّر .

والسياق هو من يُعَيّن دلالةً بعينها ، كما أنّه هو المسؤول عن تشكيل بنية الخطاب وشكله والاتجاه الذي يسير فيه ، وممّا يمنح هذه الصورة امتيازاً معنوياً على نظائرها من صور التغيّر في الماضي : امتداد دلالاتها في الزّمان<sup>(٦)</sup> .

(١) يُنظر : سيبويه : الكتاب ، ١٢/١

(٢) السيوطي : همع الهوامع ، ١٦/١

(٣) يُنظر : ابن السراج : الأصول في النحو ، ٣٩-٣٨/١

(٤) يُنظر : ابن يعيش : المفصل ، ٢٤/٧

(٥) يُنظر : محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ٢٣٨

(٦) يُنظر : الكردي : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم ، ١٥٦

واتّضح للباحث من خلال استقراء المواضع الواردة في صورة التغيّر من الفعل المضارع إلى الأمر بين القراءات القرآنيّة قِلَّتْها مقارنةً بغيرها من صور التغيّر السّابقة ، حيث بلغت في مجملها (ثمانية) نماذج ، منها : (نموذجان) من القراءات المتواترة ، وما تبقى يدخل في حيّز القراءات الشاذّة<sup>(١)</sup> ، وهذا دليلٌ على القِلَّة التي أشار إليها الباحث . وسيتناول الباحث بالدراسة ، والتحليل النماذج التالية :

(١) يُنظر : ملاحق الرسالة

## ١. ﴿أَعْلَمُ﴾ :

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةً عَامًا فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْكَنْهُ وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحَمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ البقرة: ٢٥٩

## ❖ مذاهب القراءة :

- قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر ويعقوب : ( أَعْلَمُ ) مقطوعة الألف ، مضمومة الميم على أن الفعل مضارعٌ .
- وقرأ حمزة والكسائي ( اعْلَمُ ) موصولة الألف ساكنة الميم على أن الفعل أمر<sup>(١)</sup>.

## ❖ معاني القراءتين و توجيههما :

القراءة بالفعل المضارع ( أَعْلَمُ ) إخبارٌ من عزيز صاحب القصة عن نفسه ، فالفاعل ضمير مستتر عائد عليه ، حيث إنه لما شاهد قدرة الله تعالى في إحياء الموتى تيقن قلبه وأطمأن والمعنى : " أَعْلَمُ أَنَّ هذا الضرب من العلم لم أكن أعلمه معانية<sup>(٢)</sup> " ، ويرى الطبري<sup>(٣)</sup> ت(٣١٠هـ) أنه إنما قال ذلك بعدما اتضح له ما كان مستكراً في قدرة الله تعالى عنده ، ثم تيقن أمر ذلك بالمعانية<sup>(٣)</sup> ، ولم يوافقه ابن عطية ت(٤٢٥هـ)<sup>(٤)</sup> ورأى أنه إنما كان الاعتذار باعته . قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " قال ذلك على سبيل الاعتبار ، كما أن الإنسان إذا رأى شيئاً غريباً قال : لا إله إلا الله " <sup>(٥)</sup> .

(١) يُنظر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٢٧٣/١ ، ابن الجزري : النشر ، ٥٣٣ ، الدمياني : إتحاف فضلاء البشر ، ٤٥٠/١

(٢) مكي بن أبي طالي : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٣١٢/١

(٣) يُنظر : الطبري : جامع البيان ، ٦٢٠/٤

(٤) يُنظر : ابن عطية : المحرر الوجيز ، ٤٨/٢

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٠٧/٢

أمّا القراءة بوصل الألف ، وسكون الميم على الأمر فتحتمل وجوهاً :

- أن يكون المَلَكُ قال له : ( اَعْلَمُ ) .
- أن يكون أمرًا معناه الخبر ، وذلك أنه لما عين الإحياء ، وتيقن قدرة الله تعالى على ذلك أنزل نفسه منزلة غيره فخطبها كما يخاطب غيره فقال : " اعلم أيها الإنسان أن الله على كل شيء قدير" (١) .
- أو أن يكون أمرًا من الله تعالى . واستبعده مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ) (٢) ، والوجه عنده : أنه لا معنى لأن يأمره الله تعالى بالعلم وقد أظهر له ما يتيقن صحته مشاهدةً .

ويرى الباحث - والله أعلم - أن القول بأن الأمر من المَلَك لا يدعمه السياق ، فلم يرد للمَلَكُ ذكرٌ في الآيات ، إلا إن كان مستندٌ هذا القول قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ببناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل : ( قيل اَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٣) ، فيحتمل أن يكون القائل : المَلَكُ ، ولا يميل الباحث إلى القول بهذا في ظل ثبوت القراءة المتواترة ، ولما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقرأ الآية ( قَالَ اَعْلَمُ ) ويقول : أهو خيرٌ أم إبراهيم عليه السلام ؟ - يقصد سؤال إبراهيم عليه السلام ربه عن إحياء الموتى - إذ قيل له : ﴿ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ (٤) .

أمّا القول بأنه خطابٌ منه لنفسه أنزلها منزلة غيره فهذا واردٌ في لغة العرب ، وممّا تفعله ، فإن أدهم يُنزلُ نفسه منزلة الأجنبيّ فيخاطبها كما يخاطبه ، واستشهد أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) (٥) بأبيات في هذا المعنى من مثل قول الأعشى ت(٧هـ) :

وَدَعَّ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَحِلٌ      وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ (٦) (بسيط)

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٣٤٤/١ ،

(٢) يُنظر : مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٣١٢ ،

(٣) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ٣٥ ،

(٤) يُنظر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ١٤٤ ،

(٥) يُنظر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ١٩٢/٢ ،

(٦) الأعشى : ديوان الأعشى الكبير ، ٥٥ ، التبريزي : شرح القصائد العشر ، ٢٨٨ ،

فخاطب نفسه بالوداع كما يخاطب غيره ، وقال : أيها الرّجل وإنّما يعني نفسه . قال العكبري ت(٦١٦هـ) : " وهذا يسمّى التجريد " (١) ، ومثله قول الأعشى ت(٧هـ) :  
 أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أُرْمَدًا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمَسْهَدًا (٢) ( الطويل )  
 وهو إنّما يخاطب نفسه ، وهذا وجهٌ محتملٌ في القراءة .

وإن قلنا : بأنّ القائل هو الله تعالى ؛ فيناسبه الأوامر السابقة في الآية مثل : ( فَانظُرْ ) ، ( وَانظُرْ ) ويؤيّدُه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ( قِيلَ اعْلَمْ ) على إيهام الفاعل والذي يحتمل أن يتوجّه إلى الله تعالى لدلالة السياق عليه ، وإنّما لم يتوجّه إلى المَلَك على القول الأول لعدم ورود السياق به ، أمّا القول بأنّه لا وجه لأنّ يأمره الله تعالى وقد شهد دلائل القدرة والإحياء عياناً ممّا كان يسأل عنه ؛ فيبيّنُه ما أمر الله تعالى به نبيه إبراهيم عليه السلام حين قال له : ﴿ وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ ، والأمر في الموضوعين على معنى : " لزمَ هذا العلم لَمَّا عاينت وتيقّنت " (٣) . والقراءة تتوجّه إلى المعنيين الأخيرين : إمّا أن يكون هو القائل على سبيل التجريد ، أو أن يكون القائل الله تعالى كما سيبيّن الباحث ذلك في أثر القراءتين على الدلالة والمعنى .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

لو نوقشت دلالة كل قراءةٍ منفردة عن الأخرى لَمَّا أفادت القراءتان ما تفيدهما حال الاجتماع ؛ ذلك أنّ القراءتين تُظهِران المعنى القرآني متكاملًا غير مجزؤ ولا منقوص ، وليبيان ذلك :

حينما مرّ هذا الرّجل على هذه القرية الخاوية على عروشها ، التي لم يبق منها إلا معالم قد دُرِسَتْ ، وأطلال تبقى في عِدَاد الماضي راوده سؤالٌ لا يُعْتَقَدُ أنّه من قبيل الشكِّ ، وإنّما كان من قبيل البحث عن اليقين في مسألة إحياء الموتى (٤) سطره بقوله :

(١) العكبري : إملاء ما منّ به الرحمن ، ١١٧

(٢) الأعشى : ديوان الأعشى الكبير ، ١٣٥

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٩/٤

(٤) يُنظَرُ : العبادلة ، حسن : من أوجه القراءات القرآنيّة إيدال الحروف وأثره على التفسير ، ص(٤٢)

﴿ أَنْ يُحْيِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ البقرة: ٢٥٩، ثمّ أراه الله تعالى من الآيات بعد أن أمّاته ما يُظهِر قدرته على الإحياء والجمع والإعادة ، حينها قال : أعلم أنّ الله على كل شيء قدير .

والذي يدفع إلى القول بأنّ سؤال هذا الرجل - سواءً أكان نبياً أم عبداً صالحاً على خلاف بين أهل التفسير<sup>(١)</sup> - لم يكن سؤال شكٍّ أو جحودٍ ، إنّما طلب رسوخ في العلم هو ما عبّرت عنه القراءة بالمضارع ( أعلمُ ) :

الذي يحمل التجدّد ، فلما أتى ببنيّة المضارع فهم أنّهُ يُجدّد علمه بشيء قد علمه من قبل وإن كانت اختلفت درجة العلم عنده في الحالين : قبل المشاهدة ، وبعدها ، قال ابن عاشور : " وجاء المضارع ليدلّ على ما في كلام هذا النبيّ من الدلالة على تجدّد علمه بذلك ؛ لأنّه علّمه من قبل ، وتجدّد علمه إيّاه "<sup>(٢)</sup> ، " فهو يوّد لو ارتقى إيمانه ليصل إلى اليقين ، وكأنّه قال : أنا أعلم أنّ الله على كل شيء قدير ولا أشكّ في ذلك ، ولكن أردتُ أن يطمئنّ قلبي "<sup>(٣)</sup> ، واستعراض مشاهد القدرة والإحياء بين عينيه لاشكّ وأنها أوصلته إلى مثل هذه المرحلة من اليقين والاطمئنان .

### أما قراءة الأمر ( اعلمُ ) :

- فإنّ توجّه المعنى فيها إلى أنّه خاطب نفسه كما يخاطب غيره على سبيل ( التجريد ) فهذا ملمسٌ فطنٌ يدلّ على عظم التأثير ، فلا يليق بعبدِ أمّاته الله مائة عام ثم بعثه وأراه طعامه وشرابه إلا أن يقف هذا الموقف بين يدي ربه<sup>(٤)</sup> ، كما أنّ في إلزامه نفسه بالعلم توبيخٌ له عن سؤاله من جهة أنّه استشعر بعد أن عاين تلك الدلائل أنّه ما كان ينبغي له أن يسأل مثل هذا السؤال ، بل الأصل أن يجري التسليم والانتقياد على لسانه وقلبه . قال د. الجمل : " وفي هذا تربيّة لنا ونحن نقرأ قصّته ونضع أنفسنا مكانه لنتعلم من تجربته

(١) يُنظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ٢٥٩/١،

(٢) ابن عاشور: التحرير والتتوير، ٣٨/٣،

(٣) الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥٢١،

(٤) يُنظر : أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع ، ١٧٢،

، ونفيد من درسه ، كما نفيد منه سرعة التسليم لله تعالى فقد قال الله تعالى له : ( **اعْلَمْ** )  
 فبادر هو إلى القول : ( **اعْلَمْ** )<sup>(١)</sup> .

ويظهر من هذا المعنى مقدار اليقين الذي وصل إليه من الإيمان بالله تعالى وقدرته  
 وإعجازه فاستوى عنده الخطابان: خطاب النفس ، وخطاب الغير على مسلك التجريد. بل  
 يسعى أن يؤمن غيره بهذه القضية كما ازداد هو إيماناً بها .

- وإن توجّه المعنى إلى أنّ الفائل هو الله تعالى ، ففيه استحضارٌ لكلّ معاني الهيبة  
 والجلال ، فحين يحضر خطاب الله تعالى وأمره أو نهيه لا ينبغي أن يعارض بقول ، أو  
 سؤال ، أو اعتراض بل السبيل سبيل الاعتبار والاتّعاظ بمثول هذه الدلائل والبيّنات أمام  
 عينيك ، ولا يليق بالعبد حينها إلا التّسليم والإيمان ، كما قال تبارك و تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ**  
**عِنْدَ رَبِّنَا** ﴾ آل عمران: ٧ ، ولعلّ هذا الأمر يحمل نفحة عتابٍ خفيفٍ أنّ صدر منه هذا  
 السؤال ، والله أعلم .

وبعيداً عن منهج المفاضلة بين القراءتين كمن حكم بأنّ قراءة الجزم أجود في  
 المعنى<sup>(٢)</sup> ، أو أنّ قراءة الرفع أوضح<sup>(٣)</sup> ، يرى الباحث أنّ صورة التغيّر في بنية الفعل  
 مثّلت حالات اليقين ومراحله التي مرّ بها صاحب هذه القصة ، وذلك أنّ في سؤاله عن  
 مظاهر إحياء الله تعالى للموتى إفادة بوجود العلم عنده ، خاصّة وأنّ سؤاله سؤال اعتبار  
 ، وباحث عن الحقّ ، لا سؤال متعنّتٍ وصاحب هوى ، والإجابات الأولى للسؤال ماثلة  
 أمام عينيه إلا أنّه يحتاج تأكيداً لها ، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة ( **علم اليقين** ) ،  
 فلما قامت الدلائل أمام ناظره ، ومثّلت الشواهد بين عينيه لم تدع مجالاً للشكّ ، وأزالت  
 كثيراً من الغموض ، وأجابت عن جملة من التساؤلات التي كانت تختلج في نفسه انتقل  
 من خلالها إلى مرحلة ( **عين اليقين** ) ، " وفي عين اليقين زيادة طمأنينة ليست في علم

(١) الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ، ٥٢١

(٢) يُنظر : الأخفش : معاني القرآن ، ٣٢١

(٣) يُنظر : الحميري ، قاسم : التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري ، ١١٠

اليقين<sup>(١)</sup> ، ثم لما جاء الأمر له من الله تعالى بالعلم بقوله : ( اعلم ) أي : ازدد يقيناً فيما رأيت ، امتثل الرجل مباشرة ، فقد قام في قلبه من الدلائل ما يحمله على تلبية الأمر ، وعدم الإبطاء بالجواب فقال : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ويمكن أن يطلق الباحث على هذه المرحلة ( حق اليقين ) وهي مرحلة متقدّمة عن سابقتها لما حملته من دلالة التسليم والانقياد المباشر دون الحاجة إلى عرض الآيات ودلائل القدرة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ الحجرات: ١٥ والله أعلم .

(١) الفونوي : حاشية الفونوي على تفسير البيضاوي ، ٤٢٠/٥



## ٢. ﴿تُؤْمِنُونَ - وَتُجَاهِدُونَ﴾ :

في قوله تعالى ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصف: ١١ .

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ جميع العشرة بالمضارع ( تُؤْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ ) .
- وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بالأمر ( آمِنُوا وَجَاهِدُوا )<sup>(١)</sup> .

### ❖ معاني القراءتين و توجيههما :

للعلماء في توجيه قراءة المضارع أوجهٌ ، منها :

- ( تؤمنون ) استئنافٌ : " كأنهم قالوا : كيف نعمل ؟ فقال : تؤمنون "<sup>(٢)</sup> .
- وذهب ابن عطية ت(٥٤٢هـ) إلى تقدير الفعل بـ : ( ذلك أنه تؤمنون )<sup>(٣)</sup> ، قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " وهذا ليس بشيء لأنّ فيه حذف المبتدأ ، وحذف أنه وإبقاء الخبر ، وذلك لا يجوز "<sup>(٤)</sup> .
- وذهب الأخفش ت(٢٠٧هـ) إلى أنّ الفعل عطفُ بيانٍ على ( تجارة )<sup>(٥)</sup> ، وسبيله أن يقدر الفعل بمصدر فيكون أصل الفعل ( أن تؤمنوا ) ، ثم حذف ( أن ) فارتفع الفعل . وله شاهدٌ في قول الشاعر :

ألا أيُّ هذا اللاتميُّ أحضرُ الوغى<sup>(٦)</sup> ( الطويل )

(١) يُنظر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ٢٢٩ ، الفراء : معاني القرآن ، ٣ / ١٥٤

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ٤ / ٥٢٦

(٣) ابن عطية : المحرر الوجيز ، ٨ / ٢٩٦

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ، ٨ / ٢٦٠

(٥) نقله عنه : أبو حيان : البحر المحيط ، ٨ / ٢٦٠ ، ويُنظر : ابن يعيش : المفصّل ، ٢ / ٧ ، ولم يجد له الباحث أصلاً في معاني الأخفش .

(٦) صدر بيت لطرفة بن العبد ، وعجزه : وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي . يُنظر : ابن العبد : ديوان طرفة ، ٢٥ ، السيوطي : همع الهوامع ، ١ / ١٢ ، البغدادي : خزنة الأدب ، ١ / ١١٩

يريد : ( أَنْ أَحْضَرَ ) ، فلما حذف ( أَنْ ) ارتفع الفعل ، وحذف ( أَنْ ) لتقريفة ذكرها في المعطوف في الشطر الثاني للبيت ( وَأَنْ أَشْهَدَ ) . وعليه يكون تقدير الآية على هذا القول : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : إيمان بالله ، ورسوله ، وجهاد في سبيله .

- وذهب المبرد ت(٢٨٥هـ) (١) ، وتابعه أبو حيان ت(٧٤٥هـ) (٢) إلى أنه فعلٌ على الأمر ، صورته صورة الخبر ، ومعناه معنى الأمر ، ومستند هذا القول على :

- مجيء ( يغفر ) مجزوماً .

- قوله : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ إبراهيم : ٣١ ، أي : ليقوموا .

- قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ( آمِنُوا وَجَاهِدُوا ) (٣) .

- تقول العرب : اتقى الله امرؤٌ فعل خيراً ؛ يُتَبَّ عليه ، أي : ليتَّق الله . جيء به على صورة الخبر .

أمّا قراءة الأمر فظاهرة الدلالة على الإيجاب والإلزام ، وجواب الأمر فيها ( يغفر ) .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

نزلت هذه الآية حين قال الصحابة رضي الله عنهم : لو عَلِمْنَا أيّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى لَعَمَلْنَا به أبداً فدَلَّهم الله على ذلك ، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه (٤) . وتمثّل صورة التغيّر بين بنيتي الفعلين عدولاً عن الإخبار إلى الأمر لا يحكم بأنّ أحدهما أبلغ من الآخر في الكلام ، أو أنّ هذا الأسلوب أوثر من ذاك ، وإنّما الأصل أن نستقي مدلولات هذا التغير البلاغية من خلال استقراء مقاماته في سياقه القرآني .

وفي القراءة بالمضارع ( تُوْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ ) عددٌ من الدلالات البلاغية التي يمكن فهمها في ضوء السياق ، وفي ضوء ما تمّ تخريج القراءة عليه ، ومنها :

(١) يُنظر : المبرد : المقتضب ، ٨٠/٢

(٢) يُنظر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٢٦٠/٨ ، ويُنظر : ابن يعيش : المفصل ، ٤٨/٧

(٣) سبق تخريجها ، ص ١٥٨

(٤) يُنظر : ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢٥٤/٨

- تُشعر هذه القراءة بأنّ الامتثال لهذين التوجيهين : الإيمان والجهاد ، قائمٌ متجدّدٌ في نفوس المؤمنين بدليل الوصف بالمضارع الذي يفيد التجدّد .
- وفيها تعريضٌ بالمنافقين وتحذيرٌ من التغافل عن ملازمة الإيمان وشؤونه ، كما أشار إلى ذلك ابن عاشور<sup>(١)</sup> .
- وفيها امتداحٌ لسبيل المؤمنين القائم على الاعتناء بإيمانهم وجهادهم ، فهم يجمعون بين الإيمان والجهاد ، كما أنّهم مستمرّون على هذا السبيل ، فإنّ نادى صارخ الفتن ؛ ظهر بريق الإيمان يدفع عنهم ما غشيهم من لوثاتها ، وإذا استتفروا للجهاد هبوا . وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ الله تعالى صدر الآيات بقوله : ﴿ يَكَايِبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الصف: ١٠ ، ثمّ جاء بالمضارع : ( تُوْمِنُونَ ) فما وجه دعائهم إلى الإيمان والجهاد ، وقد سماهم مؤمنين ؟! والجواب : أنّ النداء في الآية على سبيل الوصف لا التسمية . قال الطبري (ت٣١٠هـ) : " إنه جل ثناؤه لم يسمّهم مؤمنين ، وإنّما وصفهم بأنهم آمنوا ، وذلك وصفاً لهم بخصوصٍ من التصديق " (٢) .
- وفي هذه الدلالة إشارة إلى أنّ التسمية في الإيمان لا تجدي ، إنّما المعوّل عليه أنّ يجمع الإنسان بين الوصف والعمل الذي يرقّيه لينال شرف هذا الوصف ، كما جمعت الآية بين الوصف : ( يا أيها الذين آمنوا ) ، والفعل : ( يؤمنون ) حينها ينال المسمى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الأنفال: ٧٤ .
- والقراءة بالمضارع أشبه ما تكون بصفة ملازمة لهؤلاء المؤمنين ثابتة فيهم ، وهذا المعنى مأخوذ من توجيه القراءة بعطف الفعلين عطف بيانٍ على الاسم ( تجارة ) ، " كأنّ التجارة لم يدر ما هي ؟ فبيّنت بالإيمان والجهاد ، فهي هما في المعنى " (٣) ، والاسم يدل على الثبوت ، وفي ربط الفعلين بمسمى

(١) يُنظر : ابن عاشور : التحرير والتتوير ، ١٩٤/٢٨

(٢) الطبري : جامع البيان ، ٥٩٥/٧

(٣) ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، ٦١/١٩

التجارة تحبيباً في الإيمان والجهاد وتشويقاً لهما ، كحبّ النفوس للتجارة وإفهامها لها ، بل وربما قدّمها النفس على غيرها من المحابّ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ الجمعة : ١١ . وقد جاء في الآية على طريق ما يدل على خير التجارة لا على نفس الخبر ، كأنّه أراد : خير التجارة الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، وليس التجارة الإيمان بالله والجهاد على سبيل الإخبار ، بل أراد الأفضليّة فلا يستقيم : التجارة تؤمنون ، وإنما : التجارة أن تؤمنوا<sup>(١)</sup> . ومن هنا ظهرت هذه الدلالة .

- ولعلّ القراءة بالمضارع ( تؤمنون وتجاهدون ) جاءت لتخفّف من بنية الأمر التي لا تخلو من الجزم المشعر بالاستعلاء ، ومع أنّها مقبولة في نفوس المؤمنين ؛ لأنّ الأمر هو الله تعالى ، إلا أنّ الأمر في أصل بنيته يفيد هذه الدلالة ، وقد أرادت القراءة تجنّب هذه اللغة في خطاب المؤمنين المجاهدين الذي صحبوا النبي ﷺ ، وعلم الله سابقتهم وفضلهم في الإسلام فمع أنّ الخطاب في ذاته أمرٌ ، إلا أنّه جاء بهذا التخفيف ملاطفة لهم ، والنفس الإنسانية من طبعها النفور من الاستعلاء ، فإذا ما وقع الخطاب بصيغة فيها من الملاطفة كان أدعى إلى القبول والاستجابة<sup>(٢)</sup> ، لذا خاطبهم الله تعالى في هذا الموضع بالإخبار وأراد الأمر ، وهذا ليس على إطلاقه فإنّ أسلوب الخطاب يتغيّر تبعاً للسياق الذي يرد بهما الإخبار والأمر .

- كما أنّ طبيعة الإيمان والجهاد شاقّين على النفوس . فالإيمان يحتاج إلى مجاهدة ومداومة عليه حتى لا ينقص ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾ النساء : ١٣٦ ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ الْخَلْقُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ

(١) يُنظر : المجاشعي ، علي : النكت في القرآن ، ٦٢٢ .

(٢) يُنظر : العمري ، ظافر : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ، ٧٣ .

أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ" (١) . وفي هذه المداومة مشقَّة ، كما أنَّ في الجهاد بذلاً للروح في ذات الله تعالى وهي أعلى ما يملكه الإنسان في حياته ، ومشقَّته واضحة بارزة ، كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، لذا نجد أنَّ الله تعالى أحرَّ ذكره في الآية لتقدُّم الإيمان عليه فهو الدافع له ، ولو لم يمتلئ القلب إيماناً لما أقدم المرء في مواطن الجهاد مضحياً بنفسه ، وكذلك لمشقَّة الجهاد على النفس ، فلو ظفر الإنسان بالتأخُّر ؛ لتأخَّر . ومثل هذا المعنى في الآيات بعد هذه الآية : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ الصف: ١١ ، حيث قدَّم الأموال وأحرَّ الأنفس للمشقَّة الحاصلة من الجهاد بالنفس ، ومع هاتين المشقَّتَيْن : المشقَّة الحاصلة من الدوام على الإيمان ، ومشقَّة الجهاد جاءت القراءة بالمضارع ( تُوْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ ) لتخفَّف نِقل هذه المشاقَّ على النفوس ، إذ لو كانت القراءة بالأمر ابتداءً لثقلت على النفوس ، ولَمَّا قَدَّرَ عليها الخلق ، ولشعروا معها بنفور واستنقال ، كما قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ التوبة: ٣٨ ، فلما أن رُغِبُوا وهَيَّئَتْ نفوسهم سألوا عن أحبِّ الأعمال المقربة إلى الله تعالى فذلُّوا على الأمر بالإيمان والجهاد ، حينها طاعت نفوسهم ، وصارت مهياً لقبول الأمر ، قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٠٧ .

أمَّا القراءة بالأمر ( آمِنُوا وَجَاهِدُوا ) فجاءت بعد جملة من التمهيدات التي هيأت نفوسهم لتلقِّي الأمر بالإيمان والجهاد ، وإن كانوا رضي الله عنهم قد تلقَّوا الأمر وفهموه من بنية المضارع ، إلا أنَّ قراءة الأمر يُستأنسُ بها في التأكيد على بعض الدلالات ، منها :

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الإيمان ، حديث (٥) ، ص (٢)

- قوله تعالى ( هَلْ أَدُلُّكُمْ ) في معنى الأمر عند الفراء ت(٢٠٧هـ) تقول : هل أنت ساكتٌ ؟ أي : اسكت<sup>(١)</sup> ، قال الرازي ت(٦٠٤هـ) " هل بمعنى الاستفهام ، ثمّ يندرج إلى أن يصير عرضاً وحثاً ، والحثُّ كالإغراء ، والإغراء أمر<sup>(٢)</sup> . فالأمر في الآية محفوفٌ بإغراءٍ حثّاً للنفوس ، وتشويقاً لها على فعل المأمور بهما .

- رواية ابن عباس رضي الله عنهما : قالوا : لو نعلم أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى لفعلنا ؟ فنزلت هذه الآية ، فمكثوا ما شاء الله يقولون يا ليتنا نعلم ما هي ؟ فدلهم الله تعالى عليها بقوله : ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الصف: ١١ (٣) ، تُظهِرُ لَنَا مِقْدَارَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ تَشَوُّقٍ وَتَطَلُّعٍ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ التَّجَارَةِ وَطِرَانِهَا ، فَلَمَّا أُنْ بُيِّنَ لَهُم السَّبِيلَ سَهَّلَ عَلَى نَفْسِهِمْ مَا كَانُوا تَشَوَّقُوا إِلَيْهِ ، وَتَطَلَّعَتْ نَفْسُهُمْ لَهُ ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ ت(٥٣٨هـ) : " الأَمْرُ الْوَارِدُ عَلَى النَّفْسِ بَعْدَ تَشَوُّقٍ وَتَطَلُّعٍ مِنْهَا إِلَيْهِ : أَوْقَعَ فِيهَا وَأَقْرَبَ مِنْ قَبُولِهَا لَهُ مِمَّا فُوجِئَتْ بِهِ " (٤) .

- وفي عطف الفعل ( وَبَشِّرْ ) في قوله : ﴿ وَأُخْرَىٰ مُجِيبَةً نَّصَرَ مِنَّا اللَّهُ وَفَنَحْ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف: ١٣ ، على الفعل ( تَوَمَّنُونَ ) تأكيد لدلالة استجابتهم لأمر الله ومراده ، كما أنَّ فِيهِ تَثْبِيثًا لِنَفْسِهِمْ بَعْدَ تَلَقُّي الأَمْرِ بَعْدَ أَنْ هَيَّئَتْ مِنْ قَبْلِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : " آمَنُوا وَجَاهَدُوا بِثَبَاتِكُمْ اللَّهُ وَيَنْصِرْكُمْ ، وَبَشِّرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ " (٥) .

وهكذا تكاملت القراءتان في حثِّ المؤمنين على الإيمان والجهاد مهياً نفوسهم ابتداء بقراءة المضارع : ( تَوَمَّنُونَ وَجَاهِدُونَ ) ، مشوّقة لهم بما أعده الله تعالى من نعيم لمن حمل صفتي الإيمان والجهاد ، فلمَّا أُنْ طَرَقَتْ أَسْمَاعُهُمْ ، وَأَلْفَوْا نَمَطَ خُطَابِهَا ، جَاءَتْ الْقِرَاءَةُ بِالْأَمْرِ ( آمِنُوا وَجَاهِدُوا ) لِنَتَذِلَّ لَهَا قُلُوبَهُمْ وَتَتَقَاد .

(١) يُنظَرُ : الفراء : معاني القرآن ، ١٥٤/٣

(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٣١٧/٢٨

(٣) المرجع السابق ، ٣١٨/٢٨

(٤) الزَّمَخْشَرِيُّ : الكشاف ، ٥٢٧/٤

(٥) المرجع السابق ، ٥٢٧/٤

### ٣. ﴿أَتْلُوا﴾ :

في قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ النمل: ٩٢

#### ❖ مذهب القراءة :

- قرأ العشرة ( وَأَنْ أَتْلُوا ) بهمزة قطع أول الفعل ، وإثبات الواو بعد اللام ، والنصب للفعل المضارع .
- وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبي بن كعب رضي الله عنه بهمزة وصل أول الفعل ، وإسقاط الواو من آخره ( وَأَنْ أتلُ ) على أنه أمرٌ ، وهي قراءة شاذة<sup>(١)</sup> ، قال النحاس ت(٣٣٨هـ) : " ولا نعرف أحدًا قرأ هذه القراءة ، وهي مخالفة لجميع المصاحف "<sup>(٢)</sup> .

#### ❖ معاني القراءتين و توجيههما :

- القراءة المتواترة بالمضارع : ( وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ ) فيها توجيهان :
- الأول : من التلاوة أي : القراءة ، فيكون المعنى : وأمرت أن أقرأ القرآن عليكم ؛ لأنَّ ما بعده من التقسيم مناسبٌ لهذا المعنى وهو قوله : ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩٢ ، رجَّحه أبو حيان ت(٧٤٥هـ)<sup>(٣)</sup> .
  - الثاني : من التلوُّ ، وهو: الإتيان ، أي : وأمرت أن أتبع القرآن ، وله نظائر كثيرة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْبِئْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الأنعام: ١٠٦ ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٣ ، واعترض بعضهم

(١) يُنظر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ، ٢٤٩/٢

(٢) النحاس : إعراب القرآن ، ٧٠٩

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ، ٩٦/٧

بأنّ هذا المعنى خلاف الظاهر مستدلاً بما جاء في القراءة الشاذة من الأمر بالتلاوة أي : القراءة<sup>(١)</sup>.

أمّا القراءة بالأمر : ( وَأَنْ أتلُ ) فهي وإن كانت شاذة ؛ إلا أنه يُستأنسُ بها في تأكيد المعنى الأول لقراءة المضارع ، ( وَأَنْ ) على قراءة الأمر يجوز أن تكون المفسرة على إضمار : ( وأمرت أن اتل القرآن ) ، ويجوز أن تكون المصدرية وصلت بالأمر ، وإنكار النّحاس ت(٣٣٨هـ) أو غيره من الأئمة لهذه القراءة إنّما هو من قبيل القراءة بها وثبوت تواترها على ما جرى بيانه في معنى الشاذ في تمهيد هذه الدّراسة ، إلا أنّ معناها موافقٌ لما عليه القراءة المتواترة . قال الفراء ت(٢٠٧هـ) : " ( وَأَنْ أتلُ ) بغير واو مجزومة على جهة الأمر . قد أسقطت منها الواو للجزم على جهة الأمر ؛ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ ، فجعل الواو مردودة بالنهي على حرف قد نصب بأن ؛ لأنّ المعنى يأتي في ( أُمِرْتُ ) بالوجهين جميعاً ، ألا ترى أنك تقول : أمرت عبد الله أن يقوم ، وأن قم . وقال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) وَأَنْ أقيمُوا الصَّلَاةَ ﴿ الأنعام: ٧١ - ٧٢ " (٢) .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

الفعل في القراءتين معطوف على جملة من الأوامر التي قبله ، أمر الله بها نبيه محمداً ﷺ من عبادة الله تعالى ، وأن يكون من المسلمين ، وهذا العطف يربّي المؤمنين تربية غير مباشرة على الاعتناء بالقرآن تلاوة وعملاً ، وأن يؤلّوه أهميّة في حياتهم بدليل عطفه على مفاصل رئيسية في الدين ، وأي شيء أعظم من الإسلام ، والتوحيد .

(١) يُنظر : الألوسي : روح المعاني ، ٧/ ٢٤٨

(٢) الفراء : معاني القرآن ، ٢/ ٣٠٢



لقد رسمت قراءة المضارع ( وَأَنْ أَتْلُوْا ) طريقتين للتعامل مع القرآن الكريم يجب على المسلم أن يسلكهما :

- طريق التلاوة بتدبر وتفكير .

- وطريق الاتّباع بانقياد واستسلام .

وهذان الطريقتان مستقيّان من هذه القراءة فقد أمر النبي ﷺ بتلاوة القرآن الكريم والمداومة عليها ، كما أمر باتّباع هذا الكتاب العزيز ، واقفاء أثره ، ولقد قام ﷺ بالمعنيين أتمّ القيام وأبلغه<sup>(١)</sup> .

ويُفهم من هذه القراءة معنى المواظبة منه ﷺ على هذين الطريقتين ، ويرى الباحث أنّ همزة القطع أول الفعل ( أَتْلُوْا ) توحى بقدر من الجهد والعناء اللذين يُدْلا في سبيل تحصيل هذه المواظبة ، التي ترتّب عليها الخفّة في الأداء فيما بعد ، ومعلوم ما تحتاجه الهمزة من جهد عضلي يزيد عمّا يحتاجه أي صوت آخر ، وما من شكّ أنّه ﷺ جاهد نفسه أوّل ما نزلت عليه هذه التكاليف ، وأخذها بمحمل العزيمة والاجتهاد كما نلاحظ في

أمر الله تعالى له بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ (١) وَرَأَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ

زَدَ عَلَيْهِ وَرَبَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ المزمّل: ١ - ٥ ، هكذا : ( قَوْلًا

ثَقِيلًا ) اختصر بها كل معاني الجهد والنقل الملقى على كاهله ﷺ ، ومن تأمل شيئاً من

سنّته ؛ ظهر له هذا المعنى وزيادة كما في قيامه ﷺ ليلة كاملة بقوله تعالى : ﴿ إِنْ

تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائدة: ١١٨ ، كما أنّ وصل واو

الفعل بالفتح ( أَتْلُوْا الْقُرْآنَ ) أفاد معنى المواظبة أيضاً من جهة أنّ الفتح أخفُّ

الحركات<sup>(٢)</sup> ، ومعلوم أنّ الالتزام بورده ثابت من التلاوة والتدبر ، والعمل والاتّباع ممّا

يصعب على النفس ويشقُّ عليها ، لأنّ من طبيعتها عدم حبّ التكاليف بقدر حبّها

الدّعة والراحة . لكنّ لما أنّ واظب ﷺ على تلاوة القرآن الكريم وتدبره ، ولزمه

(١) يُنظر : البقاعي : نظم الدرر ١٤ / ٢٢٨ ، عبد الشكور ، سامي : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير ، ٥٢ ،

(٢) يُنظر : الأزهرى : شرح التصريح ، ٥٥ / ١ ،

منهج حياة ؛ سهّل أمره عليه ، وصار جزءًا لا يتجزأ من حياته اليوميّة ، فناسب إيصال الفعل ( أَتْلُوْ ) إلى معموله ( القرآن ) بأخفّ الحركات وأيسرها ، إشارة إلى أنّ من لزم مثل هذا الطريق سهّل الأمر عليه ، وبُسّر له .

وعليه فإنّ ابتداء الفعل ( أَتْلُوْ ) بهمزة قطع ؛ أوحى بحجم الجهد والعناء المبذولين ، كما أنّ ختم الفعل بالفتح الذي هو أخفّ الحركات والموصل إلى معموله ( القرآن ) ؛ كان جزءًا لما بُدِّلَ ، وتقديرًا للتعب ، وإلماحًا إلى أنّ من اجتهد في البدايات كانت العقبى له في النّهائيات ، والله أعلم .

أما القراءة بالأمر ( وَأَنْ اتْلُ ) فقد جاءت مؤكّدة لمعنى الأمر بتلاوة القرآن وتدبّره و( اتلُ ) معناه : " تابع بقراءتك بين آياته ، واسرد " (١) . وهي بهذا تؤكد جزءًا من معنى القراءة بالمضارع حيث أبانت عن أهمية التدبّر ومكانته في استلهاهم الفتوحات الربّانية ، فإنّ المواظبة على قراءة القرآن الكريم من أعظم أسباب فتح باب الفيوضات الإلهيّة ، والأسرار القدسيّة ، وفي المواظبة على تلاوته كشف لحقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً (٢) .

وقد لفت نظرَ الباحث النّعمة الصّوتية للفعل في قراءة الأمر : ( أَنْ اتْلُ ) حيث جاءت مغايرةً لما عليه الفعل في قراءة المضارع : ( أَنْ أَتْلُوْ ) ، فقراءة المضارع صُدِّرَ الفعل فيها بهمزة قطع ، وخُتم بالفتح ، بينما قراءة الأمر صُدِّرَ فعلها بهمزة وصلٍ متأثرة بالكسر قبلها التي تعدّ من أخفّ الحركات التي تلي الفتح ، وقيل بالضمّ الذي هو أثقل الحركات وأشدّها (٣) ، وكأنّه إشارة - والله أعلم - إلى أنّ السامع يحدث نفسه أنّ الأمر في ظاهره ميسورٌ ، مقدورٌ عليه ، خفيفٌ تكاليفه ، لكنّه بمجرد أن يدخل في صلب التكليف ، يرى أنّه أمرٌ يحتاج إلى جهدٍ ، ومشقّة تامّامًا كحال ما أحدثته الكسرة من يسر في ابتداء الفعل ، وما أحدثته الضمة من ثقل في آخره .

(١) ابن عطية : المحرر الوجيز ، ٥٦٧/٦ ،

(٢) يُنظر : الألوسي : روح المعاني ، ٢٤٨/٧ ،

(٣) يُنظر : الأزهرى : شرح التصريح ، ٥٥/١ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ١٢٠ ،

وهكذا أوصلت القراءتان رسالةً مفادها : تربية الناس على الجمع بين العلم والعمل ، بين التلاوة والاتباع ، أبان معالم هذه الرسالة ونفاصلها محيي الفعل في هاتين القراءتين على بنيتين مختلفتين : تارة بالمضارع ، وتارة بالأمر بما أضفى على السياق دلالة لا يمكن أن تفهم إلا في ضوء إعمال القراءتين معاً .

وبذا تبين أنّ التعبير القرآني يورد الفعل على بنية المضارع دلالة على أنه قد خرج من حيز الأمر إلى حيز التنفيذ إعلاماً بسرعة الامتثال ، وإشارةً إلى عدم التقاعس في التطبيق ، أو أن يستدرّ عطف السامع ويحثّه على العمل بطريقة غايّة في اللطف ، كحال الخطاب بين الربّ وعبده ، " ولذا فإنّ المولى تعالى إذا خاطب عبده راغباً في أن يرضيه سمعه ويؤليه وجهه ، بعد أن تحوّل عنه ، نجده يجتنب أن يخاطبه بتلك الصيغة الموحية بالاستعلاء وهي صيغة الأمر ( افعل ) متحريراً للفظ المتأدّب"<sup>(1)</sup> ، وإن كانت هذه الدلالة ليست على إطلاقها في جميع القرآن الكريم ، لكنّها مما يمكن أن تُحمل عليه بعض دلالات هذا التغيّر بين الأسلوبين .

(1) العمري ، زافر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ، ٧٣



## المبحث الثاني :

التغيُّر من الفعل الأمر إلى المضارع، ودلالته



### توطئة :

من الدلالات التي تُحدّثها بنية المضارع دلالة التكرار والتجدّد ، التي يمتلك الملتقي من خلالها حضوراً فاعلاً وحيويّاً على مسرح الحدث الذي يشهده بكلّ دقائقه وتفصيله ، كما أنّها تستدعي الصورة ولو كانت من أعماق الماضي السحيق لتمثّل واضحة في الذهن دون تكسّرات أو تموجات ، ولا يمكن أن ينهض بهذه المهمة إلا المضارع .

هذا حال المضارع في صورته الاعتيادية ، التي تستثمر معه تلك الدلالات سياقياً في مقاماته المتعدّدة ، وتحسّن الصورة أكثر عندما تشهد بنية المضارع تحوُّلاً إليها ، كما يحصل في التغيّر من بنية الأمر إلى المضارع ، خاصّة أنّ هذا التحوُّل يكسر الرتابة ، ويفتح تقاسيم النصّ على مراد المتكلمّ وشعوره من خلال السّياق الذي ورد به .

إنّ انغلاق الفعل على دلالة زمنية محدّدة ليس خاصيّة مطّردة ، فالدلالة الزمّنيّة للفعل تتسم بالمرونة والطواعيّة ، وفي ظلّ هذه المرونة تبرز خصيصتان<sup>(١)</sup> :

١. قابلية التفريغ الزمّني .

٢. قابليّة الاستبدال والتناوب الزمّني .

وصورة التغيّر التي نحن بصدد الحديث عنها هي من قبيل الاستبدال والتناوب الزمّني بين بنيتي الأمر والمضارع ، وينبغي أن نفهم هذا التناوب بين البُنْيَتَيْنِ وفق تقسيم الزمّن إلى نوعين :

١. الزمّن الصّرّفي : وهو الزمن الذي تدلُّ عليه الصيغة المفردة خارج السياق .

٢. الزمّن النحوي : وهو الذي تحدّده القرينة اللفظيّة ، أو الحالّيّة ، أو هو معنى الفعل في السياق<sup>(٢)</sup> .

والأولى أن يُعمل الزمّنان معاً ، لا أن يُلغى أحدهما الآخر ، ولا أن يُفرّغاً من دلالتيهما . وعند النظر في الدلالة التي ينتقل بها الفعل من معنّى إلى معنّى بشكل يجعله

(١) الحمادي ، جلال:العدول في صيغ المشتقات ، ٨٨

(٢) يُنظر : المطلبي : الزمن واللغة ، ٨٣ ، حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ، ٢٤٠

منسجماً مع حالات المتكلم وأزمته المتعددة ، تَظْهَرُ آفاقٌ رحبة من الدلالات الزمّنية المنفتحة على النصّ ونمط خطابه ، وتُسْتَوَعِبُ مقامات المتكلم وأغراضه .  
وبنية الأمر عندما تشهد تغيّراً إلى المضارع ؛ فإنّ الغالب فيها أنّ منزلة المخاطب هي التي دعت المتكلم لذلك الاحتراز<sup>(1)</sup> من إطلاق الأمر ببنّيته التي لا تخلو من الجزم المشعر بالاستعلاء ، وتجتنب في صيغ الخطاب ملاطفة وتحيباً كأن يكون المقام مقام خطاب بين العبد وربّه تعالى ، كما في الدعاء وإن كان يرد أيضاً على بنية الأمر ، والسيّاق هو من يحدّد هذا المقام أو ذاك .

وقد أورد الباحث هذا المبحث - مع قصره - حتى يحصل التناسق بين مبحثي هذا الفصل ، وقد أعيا الباحث استقصاء صورة التغيّر لبنية الفعل من الأمر إلى المضارع بين القراءات القرآنية فألفاها لم ترّد إلا في ( سبعة ) مواضع ، جميعها من القراءات الشاذّة عدا موضعين في سورة طه من المتواترة . وكان الغالب على نماذج الشاذّة أنّها من قبيل التفسير وليس ممّا يستدعي المقام الوقوف عندها بالتحليل والدراسة حيث لا يترتب عليها كبير أثر على الدلالة والمعنى ، فاكتفى الباحث بتحليل موضعي سورة طه وعذره في ذلك قلّة نماذج هذه الصورة . ولا يزعم الباحث أنّه بلغ مرتبة الإحصاء الدقيق الذي لا يفوته شيء ، لكن يعلم الله تعالى أنّه ما اكتسب همّة ولا تحصّل على نشاط إلا بذلها في سبيل تحريّ الدقة في استقراء مواضع هذه الصورة وسابقتها ممّا جرى به القلم في سطور هذه الدراسة ، وعلّ المولى يقيض من يستكمل النقص ، ويسدّ الخلل . هو وحده سبحانه حسبي وعليه التكلان .

(1) يُنظَر : العمري ، ظافر : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ، ٧٥

١. ﴿ أَشَدُّ - وَأَشْرِكُهُ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ (٣١) ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ طه: ٣١ - ٣٢

### ❖ مذاهب القراء :

- قرأ العشرة عدا ابن عامر بوصل الألف من الفعل ( أَشَدُّ ) ، وقطع الألف ، وفتحها من الفعل ( أَشْرِكُهُ ) ، كلاهما على الأمر .
- وقرأ ابن عامر بقطع الهمزة ، وفتحها من الفعل ( أَشَدُّ ) ، وقطع الهمزة ، وضمها من الفعل ( أَشْرِكُهُ ) إخباراً بالمضارع<sup>(١)</sup>.

### ❖ معاني القراءتين ونوحيهما :

في قراءة العشرة عدا ابن عامر ( أَشَدُّ - أَشْرِكُهُ ) . جاءت بنية الفعلين على طريقة الدعاء بلفظ الأمر ، والمعنى : " قوّ ظهري "<sup>(٢)</sup> ، وأشركه في أمري : " أي : في نبوتي "<sup>(٣)</sup> ، ودعاء موسى عليه السلام بلفظ الأمر له ما يوافقه من أدعية القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ آل عمران: ١٤٧ . والقراءة بالأمر مناسبة للأفعال الواردة قبله في سياق الآيات ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٣٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٣٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِن لِسَانِي (٣٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٣٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٣٩) هَرُونَ أَخِي ﴾ طه: ٢٥ - ٣٠ ، فقد وردت بالأمر ( اشْرَحْ ) ، ( يسِّرْ ) ، ( احلِّ ) ، ( اجعلْ ) مما أجري معه الكلام على نسق واحد بلفظ الأمر وإن كان في حقيقته دعاء وطلباً .

(١) يُنظر : الداني : التيسير ، ٣٦٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ٢٧١ ، الدماطي : اتحاف فضلاء البشر ، ٢٤٦/٢

(٢) الكرمانى : محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ، ٢٧٢

(٣) أبو زرعة : حجة القراءات ٤٥٢

كما أنّ القراءة بهذا الوجه مناسبة لمعنى الإشراك المعنيّ به في الآية : النبوءة ، التي لا تكون إلا من الله تعالى ، فلمّا كان الخطاب من موسى عليه السلام دعاءً لله تعالى أن يُشركَ معه أخاه هارون عليه السلام في أمر النبوة ؛ ساغ جريان الخطاب بلفظ الأمر كون النبوءة مما اختصّ الله تعالى بها من شاء من عباده ، وموسى عليه السلام كليم الرحمن وهو ممّن اختصّهم الله تعالى بمنزلة عنده وحظوة . وقد استدل أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) بهذا المعنى على أنّ الوجه في القراءة الدعاء دون الإخبار في (أشركه) ، يقول : " فأما الإشراك فيبعد فيه الحمل على غير الدعاء ، لأنّ الإشراك في النبوة لا يكون إلا من الله سبحانه ، اللهمّ إلا أن يجعل أمره شأنه الذي هو غير النبوة ، وإنّما ينبغي أن يكون النبوة ، ألا ترى أنه قد جاء : ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ النازعات: ١٧ ، فقال : ﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص: ٣٤ (١) .

وتوجّه قراءة ابن عامر على الإخبار من موسى عليه السلام عن نفسه بمعنى : " اجعل أخي وزيراً ، فإنك إن فعلت ذلك ؛ أشدّد به أزري " (٢) ، واعترض النحاس ت(٣٣٨هـ) بأنّ الوجه في (أشركه) ليس المقصود به أمر النبوة والرّسالة ، فهذا ليس إليه عليه السلام فيخبر به ، وإنّما إلى الله تعالى فحقّه السؤال والدعاء ، لا الإخبار (٣) ، وحكم الطبري ت(٣١٠هـ) على القراءة بأنّ لها وجهاً مفهوماً ، إلا أنه لم يختار القراءة بها ؛ لخلافها قراءة الحجّة التي لا يجوز خلافها (٤) ، ويَعْجَبُ الباحث من قول الطبري ت(٣١٠هـ) مع أنّ القراءتين متواترتان ، ولا مندوحة من القول بأنّها قرآن منزلّ ، ولعلّ القراءة لم تثبت عنده ثبوت تواتر في زمنه ، والله أعلم .

والجزم للفتلين (أشدّد - أشركه) على جواب المجازاة ، كما تقول زُرّني ؛ أكرمك وأنفعك ، والمعنى هنا : إن فعلت ذلك ؛ أشدّد به أزري ، وأشركه في أمري .

(١) الفارسي : الحجّة في علل القراءات ، ١٥٧/٣

(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٣٥٦/٣

(٣) يُنظَرُ : النحاس : إعراب القرآن ، ٥٨١

(٤) يُنظَرُ : جامع البيان : الطبري ، ٥٦/١٦



ويرى الباحث - والله أعلم - أنّ اعتراض النّحاس ت(٣٣٨هـ) ليس في محلّه ؛ فالقراءة متواترة ، وحقّها القبول والتسليم ، ولا تُردّد لعدم استقامة المعنى فيها أو عدم وضوحه ، وورود الآية بنمطين من القراءة : الإخبار ، والدعاء أزال شيئاً من الغموض الذي ربّما توهمه البعض كما سيبينه الباحث لاحقاً .

وممّا يمكن قوله هنا : أنّ مقصود الأمر في الآية النبوة ليس على إطلاقه ، إذ لم يجر لها ذكرٌ قبل ذلك في سياق الآيات ، ومجئ اللفظ ( أمرى ) يوحي بالعموم : النبوة وغيرها ، وما حكاه أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) من أنّه ينبغي أن يحمل الأمر على النبوة لم يرتضه أبو حيّان ت(٧٤٥هـ) حيث قال : " لا يريد به النبوة ، بل يريد تدبيره ومساعدته " (١) ، وحتى لا يفهم التعارض والتناقض بين هذه المعاني يمكن الجمع بينها بأن يقال : " أشركه أنا في أمرى بإشراكك إيّاه في النبوة " (٢) . والله أعلم .

### ❖ أثر القراءتين على المعنى :

حملت كلُّ قراءة دلالة ونمطاً في الأسلوب مختلفاً عن نظيرتها ، لكنهما تتكاملان انتهاءً في رسم طبيعة دعوة موسى عليه السلام وحرصه على هداية قومه في مقابل تعنّتهم وتكبرهم عن اتباع الحق .

**فقراءة الأمر ( أشدّد - أشركه )** جاءت ضمن سلسلة من الأفعال قبلها كلها بصيغة الأمر . والأصل في بنية الأمر أن تحمل دلالة الجزم المشعر بالاستعلاء ، ومثل هذه البنية تُجنّب في كثير من الأحيان عند مخاطبة شخص لآخر من باب التادّب والتلطّف معه ، إلا أنّ هذه الدلالة ليست تُفهم من هذه القراءة . فإنّ موسى عليه السلام كليم الرحمن تعالى ، وهو من هو في علمه بربه تعالى ، وأدبه معه ، وإنّما كانت طبيعة هذا الخطاب ناشئة من حرصه عليه السلام على استكمال أدوات التبليغ والرسالة ، حتى ينفذ بها إلى أمر الله تعالى له حين أمره بقوله : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ وَالنَّازِعَاتُ ۖ ١٧ ﴾ ، ويظهر هذا

(١) أبو حيّان : البحر المحيط ٢٢٥/٦

(٢) يُنظر : ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ، ٥١١

الحرص جليًا في تكرار ( لِي ) ، وتقديمها على معمول الفعل في الآيات : ﴿ رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ طه: ٢٥ ، ﴿ وَسَيَّرْ لِي أَمْرِي ﴾ طه: ٢٦ ، وكأنّه ﷺ أراد أن يمتلئ صدره انشراحًا ، ويزداد أمره تيسيرًا وما ذلك إلا حرصًا منه على أن يبلغ فرعون الدعوة والرسالة ، مستوفيًا مقومات القوة في البلاغ .

ثم تنتقل صورة هذا الحرص في تفسير آخر بديع يتضمن إلحاق ياء المتكلم من ( لِسَانِي ) و( قَوْلِي ) من الآيات : ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِن لِسَانِي ﴾ طه: ٢٧ ، ﴿ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴾ طه: ٢٨ ، التي تفيد اختصاصه بهذا الموقف أمام فرعون ، حيث أراد ﷺ استكمال أدوات التبليغ فتُحلّ عنه عقدة لسانه ، ويُفقه عنه قوله .

ولمّا كانت مثل هذه المقومات يترتب عليها أنّ موسى ﷺ سيقف موقفًا صعبًا أمام طاغية متسمّ بالتجبر ، معروفٍ عنه عناده وطغيانه ؛ استدعى نمط الخطاب أن يخرج فعل الأمر عن معناه الأصليّ المشعر بالاستعلاء إلى خطاب ملوّه الدعاء والتأدّب ، وإظهار الفاقة والحاجة للرحمن تعالى في تحقيق المهمّة ، يرى فيه الباحث - والله أعلم - خطاب إِدلالٍ على الله تعالى وتمنٍّ عليه ، ولا يكون مثل هذا النمط من الخطاب إلا بين من بلغت المحبّة غايتها منهما ، فلا يقع إِدلالٌ إلا من محبٍّ على حبيبه ، ونحن نعلم منزلة موسى ﷺ عند ربه تعالى . وممّا يوحي بهذه الدلالة :

- صوت ( الياء ) الذي ملأ أركان هذا النصّ وأشاع جواً من اللين والهدوء في جنبات السياق ، ومعلوم أنّ الياء منسلفة جدًا<sup>(١)</sup> أي : ليست من حروف الاستعلاء الموسومة بالقوّة في المخرج ، وهذه الصفة للياء توحي بتلك المعاني التي أشار إليها الباحث ، التي استدعت أن تخرج بنية الأمر عن دلالتها الأصليّة .

- تكرّرت الياء في هذا السياق أكثر من ( عشر مرات ) من مثل : ( لِي ) ، ( صَدْرِي ) ، ( أَمْرِي ) ، ( لِسَانِي ) ... ، تشكّل معها دلالاتٍ من التلطّف

(١) يُنظر : ابن الجزري : التمهيد ، ١٥٠ .

والقرب من الرحمن تعالى في أن يعينه عليه السلام على وطأة التبليغ وثقله ، وغلظة فرعون وشدّته .

- إظهار التّضعيف ، وفكّه في الفعلين ( احلُّ ) ، ( اشدُّد ) من قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ طه: ٢٧ ، وقوله تعالى : ﴿ أَشَدُّدِيهِ أَزْرَى ﴾ طه: ٣١ ، يوحى - والله أعلم - بالتّخفيف والتّيسير المترتّبين على السهولة في النطق بالفعلين ، ممّا تكون معه نفسية موسى عليه السلام متأهبة للتبليغ والدّعوة دون خوف أو ترهّب من الموقف الذي سيقفه بين يدي جبار عنيد ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴾ القصص: ٣١ . ولمّا زال التّضعيف في القول ؛ زالت مترتباته في النفس .

- لمّا علم موسى عليه السلام أنّ في دعوة فرعون فتنة له تستلزم أن يسأل الله الإعانة على الخلاص منها ؛ جاء بالأمرين ( اشدُّد - أشركه ) ليظهر مدى حرصه على تحصيل منقبة الدعوة ، لعلمه أنّها منقبة عظيمة ، وأراد أن يكون ألحق النّاس بالخير أخاه هارون عليه السلام فسأل الله تعالى أن يشدّ به أزره ، ويشركه في أمر النبوة على وجه الإدلال على ربه والتضرّع ، وما ذاك إلا لعظيم مكانته عليه السلام عند ربه تبارك وتعالى .

#### أما قراءة المضارع ( اشدُّد - أشركه ) :

فتظهر دلالتها من خلال الشّرط المتضمّن في القراءة ، والمعنى : إنّ تجعله وزيراً لي ؛ اشدُّد به أزري ، وأشركه في أمري . ف ( اشدُّد ) جواب شرط مقدر مجزوم ، و ( أشركه ) معطوف عليه . وبهذا المعنى تكون قراءة المضارع مترتبة على قراءة الأمر ، ويكون الترتيب بين معنى القراءتين : أنّ موسى عليه السلام سأل ربه تعالى ابتداءً أن يجعل له من هارون عليه السلام سنداً يشدّ به أزره ، ويشركه معه في أمر النبوة ، ثمّ أخبر

موسى عليه السلام بمحصّل فعله إن استنجبتُ دعوته ، فاستجاب الله تعالى له ذلك بقوله :  
﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ طه: ٤٣ .

وعليه فلا وجه - فيما يرى الباحث - للاعتراض على هذه القراءة بأنّ موسى عليه السلام أخبر عن إشراك أخيه في النبوة وذلك ليس إليه ، ولا يحلُّ هذا الإشكال إلا بإعمال دلالتي القراءتين معاً حتى لا تفصل كلُّ قراءة عن سياقها " فموسى عليه السلام قال ذلك ؛ لأنّه علم أنّ هارون عليه السلام يشدُّ عضده ، وهو أكبر منه سنّاً ، وأفصح منه لساناً ، ثم إنّه سبحانه حكى عنه ما لأجله دعا بهذا الدعاء فقال : ﴿ كَيْ نُسَمِّكَ كَثِيرًا ۖ وَنُذَكِّرَكَ كَثِيرًا ﴾ طه: ٣٣ - ٣٤<sup>(١)</sup> . هذا إن كان المراد بالإشراك : الإشراك في النبوة ، أمّا إن عمم فيزول الإشكال .

ومع قلة ورود هذه الصورة من التغيّر التي لا ترد إلا أنواع خصوصيّة يقتضيها السياق ، لا يتوخّاها إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها ، وفتش عن دفائنها ، وهي وما شاكلها ضربٌ من ضروب علم البيان ، وأدقّها فهمًا ، وأغمضها طريقًا كما يقول ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ)<sup>(٢)</sup> ؛ فإنّها تبقى شاهدةً على وجهٍ آخرٍ يضاف إلى إعجاز هذا الكتاب العزيز ، في تفرّع دلالته ، وتنوع أساليب خطابه ، فهو تارة يورد الخبر ويريد به الأمر ، وتارة يخرج الأمر على هيئة من اللطف والهدوء تأسر النفس ، وتجعلها مهيةً للقبول والتلقي ، مستعدّةً للتنفيذ والتطبيق ، وتارة يغيّر بين شكل الخطاب خبرًا وإنشاءً ليؤكد أحدهما معنى الآخر ، فمن لم يدرك الدلالة من أسلوب الإخبار ، لا يمكن أن تفوته من أسلوب الإنشاء ، وهكذا يمتلك غاية الإمتاع ، وقمة الإبداع ، وروعة التأثير مستهضأً النفوس مستحثًا عزائمها ، ليبقى معجزة الله الخالدة على تعاقب العصور وتلاحق الدهور .

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ٥٠/٢٢

(٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٨٠/٢٠

وهكذا استثمر القرآن الكريم أقلّ ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ، ومهما استجدّت الدراسات فيه ؛ فإنّه يبقى قبلةً للباحثين يؤمّن محرابه طالبيّن دقائق أسرارهِ ، ومنهلاً للظّامنين يروون عطشهم بتلمّس إعجازه . واختلاف القراءات القرآنية وتغيّرها بين هذه البنية أو تلك مسلكٌ من مسالك البلاغة ، وضربٌ من ضربها ما كانت لتؤدّي إلى تناقضٍ ولا إلى تضادٍ ، بل القرآن كلّهُ على تنوّع قراءاته يشهد بعضه لبعضٍ ، ويعضدُّ بعضه بعضًا على نمطٍ واحدٍ في علوِّ الأسلوب والتعبير ، ومعنى هذا أنّ الإعجاز يتحقّق بهذه القراءة أو بتلك ، ومن هنا يتعدّد الإعجاز بتعدّد المعاني والدلالات ، والله أعلم

# الخاتمة وأهم النتائج

لقد كان من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن اختصّها بالقرآن الكريم ، وتكفّل لها بحفظه ، ذلك السّجل الذي حوى من الإبداع أعلاه ، ومن البيان أحلاه ، أسرّ القلوب ، وسبى الألباب ، ينتقي لأقوى المعاني أقوى الألفاظ بشكل يدلّ على انسجام وترابط ، وإنّ الناظر في بلاغة الخطاب ليدرك بدهاء أنّ لكلّ حال مقامًا يقتضيه ، كما يدرك أنّ تجاوب طرق الأداء والسياق مع الصياغة والبنية تبرز هذه الدلالة أو تلك من متنوّع الدلالات التي تسهم في ثراء المعنى وتوضيحه ، وقد ناقش الباحث الدلالات المترتبة على صور التغيّر لبنية الفعل في نطاقه الزمّني ، سواء الماضي منه أو المضارع ، أو الأمر بين القراءات القرآنية ، ورأى ما أحدثته صورة الانتقال من بنية إلى أخرى في نفس المتلقّي ، إذ تبدو للوهلة الأولى أنّ كلّ بنية صرفيّة لا ارتباط لها بالأخرى ، وأنّ كلّ صورة مستقلة عن الأخرى ، وما أنّ يتقدّ ذهن وينشط لتلمّس أوجه الربط بين البنيتين باستصحاب دلالات السياق لكلّ صورة ؛ ترتسم أمامه تلك اللوحة الفنية الرائعة من التناسق والتكامل بين تلك البنى ، وهذا ما استدعى أن يدير الباحث فكره في تلمّس تلك الدلالات من خلال مجموعة من النماذج المناسبة لكلّ صورة ، وقد تتبّع الباحث صور هذا التغيّر كاشفًا عن دلالاته ، محطًا لبعض المواضع الواردة على هيئته ، على سبيل الدلالة والإشارة لا الاستقصاء والاستحصاء ؛ فإنّ ذلك يقتضي عملاً أكثر ، وجهداً أوفر ، وتضلعاً أوسع .

والتغيّر الحاصل في البنية الصرفية للأفعال يثير دهشة القارئ والسّامع ، ويفجأ المتلقّي لخروجه عمّا هو متوقّع لديه ، فبينما هو منسجم مع نمط معيّن من السياق ، مسترسلٌ بحواسّه معه ، يوليه اهتمامه ، فجأة يبدأ بحثه عن الأبعاد الدلالية ، وينظر في المؤثرات السياقيّة التي أكسبت الخطاب لوناً جديداً ، ونمطاً آخر لم يكن يألفه سمعه ، أو تخطر دلالاته على ذهنه .

ولم يقف الباحث أثناء تناوله صور التغيّر لبنية الفعل في رسالته الموسومة بـ : ( التغيّر الزمني للأفعال في القراءات القرآنية وأثره في المعنى ) عند حدود التعليل النحوي فقط ، بل يتجاوزه إلى التعليل والتّحليل البلاغي ، والبياني رابطاً التّركيب

بالمعنى ، والبنية بالسياق للوقوف على دلالات أزمنة الأفعال من خلال سياقها القرآني ، ولم يقتصر على الدلالة الصرفية خارج السياق اللغوي ، وإنما تناولها في السياق الواردة فيه من حيث الدلالة الزمّنيّة ، ودرس أثرها على المعنى .

### ولقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج يورد الباحث أهمّها فيما يلي :

١. أكّدت الدّراسة على أنّ التغيّر الحاصل بين القراءات القرآنيّة إنّما هو من قبيل التنوّع لا التضاد ، فالقراءات أبعدّ ما تكون عن الرأي ، كما أنّه لا تعارض بين مدلولاتها .
٢. أظهرت الدّراسة مدى تأثير السياق في فهم الدلالات المتعددة للقراءات القرآنيّة ، كما أنّ لكل صورة من صوّر التغير جملة من الفوائد تختص بها ، فمنها : ما يسرّع من وتيرة الحدث ، ومنها ما يركّز على المآلات والنتائج ، ومنها ما يلفت انتباه القارئ إلى ترتيب الاهتمامات والأولويّات في نمط الخطاب ، إلى غيرها من الفوائد التي تختلف باختلاف السياق والمقام .
٣. اهتمّت صورة التغيّر من الماضي إلى المضارع ، ومن المضارع إلى الماضي بمشهد حدّث الفعل من خلال الإطالة في مفرداته ، وزيادة تفاصيله بما يحمل على استحضاره بحيث يبقى ماثلاً أمام الذّهن كما في قضايا اليوم الآخر : ( نُنزِلُ ) ، أو الحثّ على الديمومة على العمل ، الذي يعبّر عنه بالاستمرار التجديدي كما في الحث على التطوّع : ( تَطَوَّعْ ) ، وقيام الليل : ( أُخْفِي ) ، أو إظهار الرغبة في حصول الفعل كما وردت بذلك الأمثلة في وصف اليهود ، والمنافقين من حرصهم على القتل ، والصدّ عن دين الله : ( يَفْتُلُونَ ) ، ( نَمْنَعُكُمْ ) .
٤. جاءت صورة التغيّر بين بُنيّتي الماضي والأمر مراوحة بين سياقين : التّبكيّ والندم كمسلك من مسالك التهديد كما في : ( اسْتَفْتَحُوا ) ، ( اسْتَبْقُوا ) ، والمدح والوصف من باب التخفيف والتيسير كما في : ( اتَّخَذُوا ) .



٥. التغيّر الحاصل من بنية المضارع إلى الأمر ، ومن الأمر إلى المضارع جاء فيما يطلب تحقيقه على الفور ؛ كونه مِمَّا لا يستدعي التأخّر عنه كما في قضايا الإيمان والجهاد : ( تُوْمِنُونَ - تُجَاهِدُونَ ) ، أو كان مِمَّا يلزم المسارعة بالامتثال لفعله كما في التسليم لله تعالى والانتقاد له : ( أَعْلَمُ ) ، وتلاوة القرآن : ( أَتْلُوْا ) ، وتبليغ الدعوة : ( أَشْرِكْهُ - أَشْرِكْهُ ) ، وهذه الأوامر يحتاج المرء أن يأخذ مساحة زمنيّة من الممارسة حتى يألف الفعل إن كان طلبًا ، أو الترك إن كان نهياً ، وذلك ثقيلٌ على النفس ، عزيزٌ في النَّاسِ .

٦. القول بأبليغيّة قراءة على أخرى ، أو التّرجيح بينهما يومهم بتدافع القراءات في المعنى ، أو إسقاط الأخذ ببعضها ، وإنّ جاز مثل هذا الأمر فيما بين القراءات الشاذّة ، فهو غير جائز فيما بين القراءات المتواترة .

٧. تشير صور التغيّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنيّة إلى لفتات تربوية وفكرية تسهم في بناء القيم الإسلاميّة ، وحينما نجد قراءة توكّد على قيمة معيّنّة نجد القراءة الأخرى تشير إلى قيمة جديدة لا تقل أهميّة عن الأولى في سياق متكامل غير متّسم بالتناقض والتدافع ، كما في النماذج : ( أَعْلَمُ ) ، ( قَالَ ) ، ( قُلْ ) .

٨. الإكثار من المعاني في الآية الواحدة مقصدٌ من مقاصد التّغاير بين القراءات القرآنيّة ، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلّها حقٌّ من عند الله تعالى ، فكلُّ قراءة تسدُّ مسدًّا آية ، وكلُّ قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية . وهذا ضرب من ضروب البلاغة والاعجاز .

### يوصي الباحث في ختام هذه الدّراسة بما يلي :

١. أهميّة دراسة أوجه الاختلاف بين القراءات القرآنيّة وبيان أثرها اللغوي و الدلالي كلون من ألوان الاعجاز البياني القرآني ، وباب هذا البحث فيما يراه الباحث - والله أعلم - لا يزال غضًّا طريًّا أمام الباحثين لتقصي مثل هذه الدلالات خاصّة مع كثرة القراءات واختلافها .

٢. تتبّع الظواهر الصرفيّة بين القراءات القرآنيّة - على غرار ما تناولته هذه الدّراسة - والتي يتمخّض عنها دلالات بلاغيّة وبيانيّة تُبرّز روعة التّنوّع في الأداء الفنّي الجمالي. إنّ الباحث في حقل القراءات القرآنيّة ليدرك جليّاً قصوره عن أن يقف على أسرار النّصّ القرآني ودلالاته ، أويستوفي كلّ معانيه ودقائقه ، فدون ذلك خرق القناد ، وظمّ الأكبّاد ، وإنّ ذلك ممّا استأثّر به مولى العباد تبارك وتعالى ، وقد وقف ذوو القامات من كبار الباحثين في هذا الميدان معترفين بالقصور علانية على الرّغم من دقائق استنباطاتهم ، وجميل تنوّقاتهم لمثل هذه النّصوص كما هو حال سيد قطب رحمه الله حين قال : " كثيراً ما أقف أمام النّصوص القرآنيّة وقفة المنهيب أن أمسّها بأسلوبى البشريّ القاصر ، المتحرّج أن أشوبها بتعبيريّ البشريّ الفناني" (١) .

فإنّ كان هذا مقال تلك القامات مع تبجّرها وتدقّقها ، فكيف حال من قلّت بضاعته ، ولم تُؤمّن زلّته ، ولولا شغف الباحث بكتاب الله تعالى لأثر السّلامة ، فالسّلامة لا يعدلها شيء ، إلاّ أنّه سعى بهذا العمل لخدمته ، وإبراز جانب من جوانب إعجازه وعظّمته ، فإن وافق رضاه ربّي فهو غاية المطلب والمؤمّل ، وإلاّ فإنّه يسأله بمنّه وفضله أن يجعله موافقاً لرضاه ، آخذاً بيده يوم يوافيه ويلقاه .

ثمّ إنّ هذه الدّراسة من ثمرة تحصيل الباحث وما أفضى إليه اجتهاده ، وكان المتكأ على الله اعتماده ، فإنّ ألهم التوفيق فيما قرّر ، وقارب السّداد فيما حرّر - وهو ما يرجو ويؤمّل - فهو من فضل الله تعالى عليه تكمراً وامتناناً ، وإن كانت الأخرى فما هو إلاّ جهدُ المُقلِّ ، وحسبه أنّه قد بذل غاية الجهد ، وللعبد عند الله تعالى ما قصد . وليس الكمال إلاّ الله وحده ، فلا تؤاخذنا ربّنا إن نسينا أو أخطأنا .

الباحث

والحمد لله على توفيقه وامتنانه ،،،

(١) قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ٤/٢٠٣٨ .

# الملاحقات

ملحق (١) التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع

السورة	رقم الآية	الماضي	المضارع	القارئ	حكم القراءة
١ البقرة	٧٠	إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا	( تَشَابَهُ ) ( تَشَابَهُ ) ( يَشَابَهُ )	الحسن ويحي بن يعمر الأعرج و الحسن المطوعي	شاذة
٢ البقرة	١٥٨	وَمَنْ قَطَّعَ خَيْرًا	يطوِّع	حمزة ، الكسائي ، يعقوب	متواترة
٣ البقرة	١٨٤	فَمَنْ قَطَّعَ خَيْرًا	يطوِّع	حمزة ، الكسائي	متواترة
٤ آل عمران	١٨١	سَكَتُوبُ مَا قَالُوا	يقولون	ابن مسعود ، طلحة بن مصرف	شاذة
٥ المائدة	٢	قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ	إن يصتوكم	الأعمش ، ابن مسعود	شاذة
٦ المائدة	٢٧	فَنُقِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا	فيقْبَل	الحسن	شاذة
٧ المائدة	٤٥	فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ	يتصدق	أبي بن كعب	شاذة
٨ الأنعام	٢	ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا	ليقضي	ابن أبي محيصة	شاذة
٩ الأعراف	١٨٩	فَمَرَّتْ بِهِ	فاستمرت به	ابن عباس ، أبو العالية	شاذة
١٠ يونس	٢٧	كَأَنَّمَا أُنقِضَتْ وُجُوهُهُمْ	تعشى	أبي	شاذة
١١ هود	٣	وَإِنْ تَوَلَّوْا	تُوَلُّوا	عيسى بن عمر ، اليماني	شاذة
١٢ هود	٥٧	فَإِنْ تَوَلَّوْا	تُوَلُّوا	الأعرج ، عيسى الثقفي	شاذة
١٣ يوسف	١١٠	فَتَنِيَّ مَنْ نَشَأُ	فئنجي	العشرة عدا ابن عامر ويعقوب وعاصم	متواترة

ملحق (١)

التغيّر من الفعل الماضي إلى المضارع

حكم القراءة	القارئ	المضارع	الماضي	رقم الآية	السورة	
شاذة	الحسن ، عمرو بن عبيد	وَأَدْخُلُ	وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا	٢٣	إبراهيم	١٤
شاذة	السلمي	وَنَبِيْنُ	وَتَبَّتْ لَكُمْ	٤٥	إبراهيم	١٥
شاذة	عبد الله بن مسعود	يَجْعَلُ	جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ	١٠	الفرقان	١٦
متواترة	ابن كثير	نَنْزِلُ	وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا	٢٥	الفرقان	١٧
شاذة	طلحة	فَتَظَلُّ	ءَابَاةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ	٤	الشعراء	١٨
متواترة	حمزة ويعقوب	أُخْفِيْ	مَا أُخْفِيَ لَهُمْ	١٧	السجدة	١٩
شاذة	أبو عمرو ، أبو حيوة	نُوحِي	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	٧	الشورى	٢٠
متواترة	يعقوب	أَمْلِيْ	سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ	٢٥	محمد	٢١
شاذة	عبد الله بن مسعود	يَسْمَعُ	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ	١	المجادلة	٢٢

ملحق (٢)

التغيّر من الفعل المضارع إلى الماضي

السورة	رقم الآية	المضارع	الماضي	القارئ	حكم القراءة
البقرة	٢٢٦	لِلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِنْ سُجُودِهِمْ	ألوا	عبد الله بن مسعود	شاذة
آل عمران	٦	هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ	تَصَوَّرَكُمْ	طاووس	شاذة
آل عمران	٢١	وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ	وقاتلوا	ابن مسعود ، الأعمش	شاذة
آل عمران	٣٠	وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ	ودت	ابن مسعود ، ابن أبي عبيدة	شاذة
النساء	٤٢	لَوْ شِئْتُمْ بِهِمْ	تَسُوؤِي	حمزة والكسائي وخلف	متواترة
النساء	١٤١	وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	ومنعناكم	أبي بن كعب	شاذة
الأنعام	٢٣	تُدْرِكُكُمْ فَتَنَّهُمْ	وما كان فتنتهم	ابن مسعود ، الأعمش	شاذة
الأنعام	١٤٥	عَلَى طَائِعٍ يَطْعَمُهُ	طعمه	عائشة ، ابن مسعود	شاذة
الأعراف	١٣١	يَطْرِبُوا يَمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ	تطيروا	طلحة بن مصرف ،	شاذة
التوبة	١١٠	إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ	قَطَّعَتْ ، قَطَّعْتَ	ابن مسعود	شاذة
التوبة	١١٧	مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ	ما زاغت	ابن مسعود	شاذة
الإسراء	٤٤	تَسْبِغُ لَهُ السَّمَكَاتِ السَّعْبَ	سبّحت	المطوعي ، الأعمش	شاذة
النور	٣٥	يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ	توقد	ابن كثير ، أبو عمرو ، أبو جعفر ، يعقوب ،	متواترة

ملحق (٢)

التغيّر من الفعل المضارع إلى الماضي

السورة	رقم الآية	المضارع	الماضي	القارئ	حكم القراءة
الشعراء	٤	إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ	لو شئنا	-	شاذة
الشعراء	٤	إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ	لأنزلنا على قراءة " لو شئنا "	-	شاذة
الأحزاب	٣٩	يَلْعَنُونَ رَسَلَتِ اللَّهُ	بلّغوا	ابن مسعود	شاذة
سبأ	١٤	تَأْكُلُ مِنْ سَاءِ نَبْتِهِ	أكلت	ابن مسعود	شاذة
الإنسان	٣٠	إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ	ما شاء	ابن مسعود	شاذة
النازعات	٣٦	لِمَنْ يَرَى	رأى	ابن مسعود	شاذة

ملحق (٣)

التغيّر من الفعل الماضي إلى الأمر

السورة	رقم الآية	الماضي	الأمر	القارئ	حكم القراءة
آل عمران	٣٧	فَقَبَلْهَا رِيْهَا	فَتَقَبَّلْهَا	مجاهد	شاذة
آل عمران	٣٧	وَأَنْبَتَهَا بِنَاتًا	وَأَنْبِتْهَا	مجاهد	شاذة
آل عمران	٣٧	وَوَكَّلَهَا ذِكْرِيَا	وَكَفَّلَهَا	مجاهد	شاذة
إبراهيم	١٥	وَأَسْتَفْتَحُوا	وَأَسْتَفْتِحُوا	ابن محيصن ، مجاهد	شاذة
الأنبياء	٤	قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ	قل	ابن كثير ، نافع ، ابن عامر ، أبو عمرو ، عاصم ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر	متواترة
الأنبياء	١١٢	قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ	قل	ابن كثير ، نافع ، ابن عامر ، أبو عمرو ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر ، والكوفيون	متواترة
المؤمنون	١١٢	قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ	قل	ابن كثير ، حمزة ، الكسائي	متواترة
المؤمنون	١١٤	قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ	قل	ابن كثير ، حمزة ، الكسائي	متواترة
يس	٦٦	فَأَسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ	فأستبقوا	عيسى	شاذة
الزخرف	٢٤	قَالَ أَوْلَوْ حِثَّتْكُمْ	قل	ابن كثير ، نافع ، أبو عمرو ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر ، الكوفيون	متواترة
ق	٣٦	فَقَبُولًا فِي الْيَدِ	فَنَقَّبُوا	أبو عمرو ، الحسن	متواترة



ملحق (٤)

التغيّر من الفعل الأمر إلى الماضي

السورة	رقم الآية	الأمر	الماضي	القارئ	حكم القراءة
١	البقرة	وَيَبِّشُ الَّذِينَ ءَامَنُوا	وَبَشَّرَ	زيد بن علي	شاذة
٢	البقرة	وَأَعْبُدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ	وَاتَّخَذُوا	نافع ، ابن عامر	متواترة
٣	الأعراف	ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ	دخلوا	عكرمة	شاذة
٤	يوسف	يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا	أعرَضَ	-	شاذة
٥	الحجر	ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ	أَدْخَلُوهَا	الحسن ، يعقوب ، رويس	متواترة
٦	الإسراء	قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ	قال	ابن كثير ، ابن عامر	متواترة
٧	الإسراء	فَسْتَلْبِثِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ	فسأل	ابن عباس	شاذة
٨	الكهف	أَبْصِرْ بِهِ، وَاسْمِعْ	أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ	عيسى	شاذة
٩	سبأ	فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ	باعد	يعقوب	متواترة
١٠	الجن	قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّيَ	قال	نافع ، الكسائي ، خلف ، يعقوب ، ابن كثير ، أبو عمرو ، ابن عامر ، شعبة	متواترة
١١	المرسلات	انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ	انطَلَقُوا	رويس ، يعقوب	متواترة

ملحق (٥)

التغيّر في الفعل المضارع إلى الأمر

حكم القراءة	القارئ	الأمر	المضارع	رقم الآية	السورة	
شاذة	مجاهد ، قتادة	فَأْمِتْعَهُ	فَأْمِتْعُهُ قَبِيلاً	١٢٦	البقرة	١
شاذة	مجاهد ، قتادة	اضْطَرَّةً	ثُمَّ اضْطَرُّهُ	١٢٦	البقرة	٢
متواترة	حمزة ، الكسائي	قال اعْلَمْ	قَالَ اعْلَمُ	٢٥٩	البقرة	٣
شاذة	أبي بن كعب	فأفرحوا	فَإِذْ لَكَ فَافْرِحُوا	٥٨	يونس	٤
متواترة	الكسائي ، رويس ، أبو جعفر ، يعقوب	ألا يا اسجدوا	أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ	٢٥	النمل	٥
شاذة	عبد الله بن مسعود	وَأَنْ ائْتِ	وَأَنْ ائْتُوا الْقُرْآنَ	٩٢	النمل	٦
شاذة	عبد الله بن مسعود	آمنوا	فَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	١١	الصف	٧
شاذة	عبد الله بن مسعود	وجاهدوا	وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	١١	الصف	٨

ملحق (٦)

التغيّر في الفعل الأمر إلى المضارع

السورة	رقم الآية	الأمر	المضارع	القارئ	حكم القراءة
الأعراف	١٧١	وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ	وتذكروا	ابن مسعود	شاذة
النحل	٢	أَنْ أَنْذِرُوا	لننذروا	-	شاذة
النحل	٥٥	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	فيتمتعوا	أبو العالية ، أبو رافع	شاذة
طه	٣١	أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي	أشدّد	ابن عامر	متواترة
طه	٣٢	وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي	وأشركه	ابن عامر	متواترة
الزّوم	٣٤	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	فيتمتعوا	أبو العالية	شاذة
ص	٦	أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا	يمشون	ابن مسعود ، ابن عباس	شاذة



# الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادر و المراجع



## فهرس الآيات القرآنية



رقم الصفحة	رقم الآية	السورة / الآية
<b>الفاحة</b>		
٢٦	٤	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
٨٨	٦	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
<b>البقرة</b>		
٣١-٢٣	١٠	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾
٧٨	٦١	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾
٤٤-٣٨	٧٠	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾
٤٠-٣٥	٧٠	﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
١٢٢	١٢٢	﴿يَبْنَئِ بِإِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾
١١١	١٢٤	﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾
١٤٥-١٢٦-١٢٢	١٢٥	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾
٥٣-٤١	١٥٨	﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾
١١٠	١٧٠	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ﴾
٤١	١٨٤	﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾

١٦٢	٢٠٧	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾
٥٣	٢١٠	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ <sup>ع</sup> ﴾
١٦٢	٢١٦	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ﴾
١٥٥-١٥٢	٢٥٩	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾
١٥٤-١٥٣	٢٦٠	﴿ وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
٦٥	٢٦٨	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾
٤٢	٢٧٤	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾
آل عمران		
٧٦-٧٣	٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
٧٦-٧٣	٦	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾
١٥٦	٧	﴿ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا ﴾
٧٩-٧٧	٢١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّانَ بَعِيرِ حَقِّ ﴾
١٢٩	٦٨	﴿ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾
٤٣	٨٣	﴿ وَاللَّهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

١١٢	٩١	﴿ وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ﴾	
٧٨	١١٢	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ ﴾	
١٧٢	١٤٧	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾	
٦٦	١٧٨	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾	
٧٨	١٨٣	﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾	
النساء			
٣١	١	﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾	
٢٦	٩٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا صَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيِّنُوا ﴾	
٦٦	١١٩	﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا ضَلَّتْهُمْ ﴾	
٦٦	١٢٠	﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	
١٦١-٩٠	١٣٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾	
٨٥-٨٢	١٤١	﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا ﴾	
المائدة			
١٦٦	١١٨	﴿ إِن تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	
الأنعام			



١٦٥	١٤	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدَ ﴾
١١٠	٢٧	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِكَايِتِ رَبِّنَا ﴾
١١٠	٣٠	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؑ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؑ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ؑ ﴾
١٦٥	٧٢ - ٧١	﴿ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾
١٦٤	١٠٦	﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
<b>الأعراف</b>		
١٦٤	٣	﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾
٧٥	٥٤	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾
-١٠٣-٩٦ ١٧٢-١٠٨	٨٩	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾
٧٥	١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾
٦٦-٦٥	١٨٣	﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِيَّاتِ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾
<b>الأنفال</b>		
٩٥	١٩	﴿ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾
٩٦	٣٢	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ ﴾

٩١	٤٥	﴿ فَاتَّبِعُوا ﴾	
٦٥	٤٨	﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ ﴾	
١٦٠	٧٤	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	
<b>التوبة</b>			
١٦٢	٣٨	﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾	
٨١	٦٧	﴿ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾	
<b>هود</b>			
١٤٧	١	﴿ كَتَبْنَا أُحْمَكْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾	
٤١	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا ﴾	
١١٧	٢٨	﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَارٌ مَكْمُوهَا وَأَنْتُمْ هَاهُنَا كَادِرُونَ ﴾	
<b>الرعد</b>			
٤٧	٢٤	﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾	
<b>إبراهيم</b>			
٩٧	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	
٩٧	٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيرٌ ﴾	

٩٧	١٠	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَأْنٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	
٩٧	١١	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾	
١٠٠-٩٧-٩٥	١٤-١٣	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾	
٩٨-٩٥	١٥	﴿ وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	
٨٧	١٨	﴿ أَعْمَلْتُمْ كُرْمًا إِسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾	
٤٧	٢١	﴿ وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾	
٤٦	٢٣	﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾	
١٥٩	٣١	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	
٦٠	٤٨	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ ﴾	
<b>الحجر</b>			
٥٠	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾	
<b>النحل</b>			
٤٢	٥٣	﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾	
٦٥	٦٣	﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقًا لَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾	

الإسراء

١٣٨-١٣٧	٩٤-٩٠	﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾	
١٤٦-١٣٧-١٣٦	٩٣	﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْهُبٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ﴾	
-١٣٧-٥٣	٩٥	﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَاءٌ مِّمَّا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَسْئُومَاتُ ﴾	
١٣٧	٩٦	﴿ قُلْ كَفَىٰ بِإِلَهِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾	
٥٠	١٠٦	﴿ وَتَزَلَّتْ زَكِيًّا ﴾	
طه			
١٧٥-١٧٢	٣٠ - ٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾	
١٧٦-١٧٢	٣٢ - ٣١	﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾	
١٧٧	٣٤-٣٣	﴿ كَيْ سُبْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾	
١٧٧	٤٣	﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾	
٣٠	٦٣	﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾	
الأنبياء			
١٠٢	٣	﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	

١٠٢-١٠١	٤	﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
١٠١	١١٢	﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾
<b>الحج</b>		
٦٦-٦٥	٤٤	﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾
٥٥	٤٧	﴿ وَاسْتَعِجِلُونَا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾
٥٨	٤٧	﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾
<b>المؤمنون</b>		
١٠٣	١٠٩-١٠٨	﴿ قَالَ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُوا ﴾
١٠١	١١٢	﴿ قُلْ كَمْ لِيئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾
١٠٣	١١٣	﴿ لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾
١٠٩	١١٤	﴿ إِنْ لِيئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
<b>النور</b>		
٨٩	٣	﴿ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٨٩	١٢	﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾
٨٩	١٧	﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

٨٩	١٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٨٩	٣١	﴿ وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
٨٦	٣٥	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِءِ كَمِشْكَوْفٍ ﴾
<b>الفرقان</b>		
٥٢	٢٢	﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا ﴾
٦١-٥٤-٤٩	٢٥	﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ﴾
٥٧-٥٣	٢٦	﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾
٥٣	٣٢	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾
<b>الشعراء</b>		
٥٢	٤	﴿ إِنْ شَاءَ نُنزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾
٥٠	١٩٣	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾
٥٠	١٩٨	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾
<b>النمل</b>		
١٦٤	٩٢	﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۗ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ لِإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ ﴾

القِصص

١٧٦	٣١	﴿ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾
١٧٣	٣٤	﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾
١٣٤	٥٨	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ بِطَرَتِ مَعِيشَتَهَا ﴾

لقمان

٧٥	٢٨	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً ﴾
٧٥	٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾

السجدة

٥٩	١٤	﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾
٦٠	١٦	﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
٦٩-٦١-٥٩-٣٧	١٧	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٥٩	١٩	﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سبا

١٤٧-١٣٠	١٩	﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾
---------	----	---

فاطر

١٠٥	٣٧	﴿وَجَاءَكُمْ التَّنْذِيرُ﴾	
يس			
١١٥	٦٥	﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ﴾	
١١٣	٦٦	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾	
١١٧	٦٧	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾	
الصفات			
١٠٨	٢٤	﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّيهِمْ مَسْئُولُونَ﴾	
ص			
٩٦	١٦	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾	
الزمر			
٧٦	٦	﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾	
٧٥	٦٢	﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	
فصلت			
٤٣	١١	﴿أَتَيْنَا طُورًا أَوْ كَرَّهَا قَالَتَا أَنَيْنَا طَائِعِينَ﴾	
٢٦	١٧	﴿وَأَمَّا نَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾	



الزخرف

١٠٥-١٠٤	٢٤-٢٢	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾
١١٠-١٠٥-١٠١	٢٤	﴿ قَالِ أُولَئِكَ حَتَّكُمُ بَاهِدَىٰ وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَهُمْ ﴾
٥٢-٥٠	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْفُرْقَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾

الدخان

٥٠	٣	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ﴾
----	---	---

محمد

٦٨	١٦	﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ﴾
٦٨	٢٠	﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ ﴾
٦٨	٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
٦٤-٣٥	٢٥	﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾
٦٥	٢٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾

الحجرات

٢٦	٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾
١٥٧	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾

النجم		
١٣٦	٣	﴿ وَمَا يَطِّقُ عَنِ السَّمَاءِ ﴾
١٠٦	٤	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾
القمر		
٢٥	٤٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
الحديد		
٧٥	٣	﴿ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
الصف		
١٦٠	١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
١٦٢-١٥٨-٢٣	١١	﴿ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾
١٦٣	١٣	﴿ وَالْآخِرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرًا مِنَ اللَّهِ وَفَتْحًا قَرِيبًا ۗ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
الجمعة		
١٦١	١١	﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾
القلم		
٦٧	٤٤	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

المعارج

٥٥	٤	﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ ﴾
الجن		
١٤٥	١	﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾
١٤٢	١٦	﴿ وَالْوَالِدُوا اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ﴾
١٤٢-١٤١-١٣٨	١٨	﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾
١٤٦-١٣٨-١٣٦	٢٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾
١٤٥-١٣٨	٢٢ - ٢١	﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيبَنِي ﴾
المزمل		
١٦٦	٥ - ١	﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾
٤٩	٨	﴿ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾
الإنسان		
٥٥	٢٧	﴿ إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا ﴾
النبا		
٥٤	١٩	﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾
النازعات		

١٧٤-١٧٣	١٧	﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	
الانفطار			
٥٨	٤ - ١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾	
١٠٤	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَاكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴾	
المطففين			
٥٥	٦	﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	
الانشقاق			
١٠٤	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴾	
الفجر			
٥٥	٢٢	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	
القدر			
٥٠	١	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	



## فهرس الإماوية النبوية



م	مطلع الحديث	الراوي	المخرِّج	رقم الصفحة
١	إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ، فَذَهَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ الشَّرِّ	حَدِيثَةُ بِنِ الْيَمَانِ	أحمد	٣٩
٢	إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ	عَبْدُ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍو	الحاكم	١٦٢ - ٩١
٣	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ	عبد الله بن مسعود	البخاري	٧٤
٤	حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	مسلم	٤٥
٥	سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ	جُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ	النسائي	٢٨
٦	سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ	عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ	البخاري	٢٨
٧	قال : قيام العبد من الليل	معاذ بن جبل	أحمد	٦٠
٨	يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ	أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ	البيهقي	٧٩
٩	يُوتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ	عبد الله بن مسعود	الترمذي	٥٤



## فهرس الأبيات الشعرية



م	الشطر الثاني	القائل	الصفحة
<b>قافية الدال</b>			
١	وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمَسْهَدًا	الأعشى	١٥٤
٢	وَأَنْ أَشْهَدَ اللِّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخَلِّدِي	لطفة بن العبد	١٥٨
<b>قافية اللام</b>			
٣	وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ	الأعشى	١٥٣
٤	عَشْرَةَ كِفَاعِلٍ مِنْ فَعَلًا	ابن مالك	١٣
٥	وَاتَّخَذُوا بِالْفَتْحِ أَعْمَ وَأَوْغَلًا	الشاطبي	١٢٥





## فهرس المصادر و المراجع



أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر والمراجع الأخرى :

١. ابن الأثير ، ضياء الدين محمد بن محمد ت (٦٣٧هـ) :
  - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . د.ط . تحقيق : مصطفى جواد وجميل سعيد . العراق : المجمع العلمي العراقي . ١٣٧٥هـ .
  - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ط. الثانية . تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانه . القاهرة : دار نهضة مصر . د.ت .
٢. الأحمدى ، موسى أحمد : معجم الأفعال المتعدية بحرف . ط.الأولى . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٧٩م .
٣. أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ت(٧٤٥هـ) : البحر لمحيط .ط.الثانية . تحقيق : عادل أحمد و علي معوض و زكريا النوتي و أحمد الجمل . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٤. الأخفش ، سعيد بن مسعدة ت بعد(٢٠٧هـ) : معاني القرآن . ط.الأولى . تحقيق : عبد الأمير الورد . بيروت : عالم الكتب . ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥. الأزهرى ، خالد عبد الله ت(٩٠٥هـ) : شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو . ط.الأولى . تحقيق : محمد باسل عيون السود . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٦. الأزهرى ، محمد بن أحمد ت(٣٧٠هـ) : معاني القراءات . ط.الأولى . تحقيق : عيد درويش وعوض القوزي . الرياض : مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود . ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٧. الإستراباذي ، رضى الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ) : شرح شافية ابن الحاجب .  
د.ط . تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزقراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد .  
بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٨. إسماعيل ، شعبان محمد : رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات  
الحديثة . ط. الثانية . القاهرة : دار السلام . ٢٠٠١م .
٩. آل إسماعيل ، نبيل محمد : علم القراءات: نشأته و أطواره و أثره في العلوم الشرعية  
ط. الأولى . الرياض : مكتبة التوبة . فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية . ١٤٢١هـ -  
٢٠٠١م .
١٠. الأشموني ، أحمد محمد : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا . ط. الثانية . مصر  
: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
١١. الأشوح ، صبري : إعجاز القراءات القرآنية دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات  
القراء . ط. الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١٢. ابن أبي الأصعب ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ت(٦٥٤هـ) : بديع  
القرآن . د.ط . تحقيق : حفني محمد شرف . القاهرة : نهضة مصر . د.ت .
١٣. الأصفهاني ، الراغب الحسين بن محمد ت(٤٢٥هـ) : مفردات ألفاظ القرآن .  
ط.الرابعة . تحقيق : صفوان داوودي . دمشق : دار القلم . بيروت : الدار الشامية .  
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
١٤. الأعشى ، ميمون بن قيس : ديوان الأعشى الكبير . د.ط . د.ت .
١٥. آغا ، طه صالح : التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن  
ط. الأولى . بيروت : دار المعرفة . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

١٦. الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود ت(١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ط.الثالثة . تحقيق : علي عبد الباري عطية . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٩ م .
١٧. الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات ت(٥٧٧هـ) : الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين . ط.الأولى . تحقيق : جودة ميروك ورمضان عبد التوّاب . القاهرة : مكتبة الخانجي . ٢٠٠٢ م .
١٨. الأنباري ، محمد بن القاسم ت(٣٢٧هـ) : كتاب الأضداد . د.ط . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . بيروت : المكتبة العصرية . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
١٩. أنيس ، إبراهيم . الأصوات اللغوية . د.ط . مصر : مكتبة نهضة مصر ، د.ت .
٢٠. ابن البادش ، أحمد بن علي بن أحمد ت(٥٤٠هـ) : الإقناع في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق : عبد المجيد قطامش . دمشق : دار الفكر . د.ت .
٢١. بازمول ، محمد عمر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام . ط.الأولى . الرياض : دار الهجرة . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .
٢٢. الباقولي ، علي بن الحسين الملقب بجامع العلوم ت(٥٤٣هـ) : كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات . ط.الأولى . تحقيق : د.عبد القادر لسعدي . عمّان : دار عمار . ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .
٢٣. البلوز ، علاء الدين مصطفى : النظير ودوره في توجيه القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . د.ط . القاهرة : دار البصائر . ٢٠٠٦ م .
٢٤. البخاري ، محمد بن إسماعيل ت(٢٥٦هـ) . صحيح البخاري . الرياض : دار السلام . ط. الثانية . ١٤١٩هـ . ١٩٩٩ م .

٢٥. بدوي ، أحمد : من بلاغة القرآن . ط. الخامسة . القاهرة : نهضة مصر . ٢٠٠٨ م .
٢٦. البزار ، أبو بكر ت(٢٩٢هـ) : البخر الزخّار بمسند البزّار. تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله . ط. الأولى . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
٢٧. البغدادي ، عبد القادر عمر ت(١٠٩٣هـ) : خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب . ط. الرابعة تحقيق : عبد السلام هارون . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
٢٨. البغوي ، الحسين بن مسعود ت(٥١٦هـ) : معالم التنزيل . د.ط . تحقيق : محمد النمر و عثمان ضميرية و سليمان الحرش . الرياض : دار طيبة . ١٤٠٩هـ .
٢٩. البقاعي ، إبراهيم بن عمر ت(٨٨٥هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . د.ط . القاهرة : دار الكتاب الإسلامي . د.ت .
٣٠. البكري ، محمد وسيم : البكريات في توجيه مفردات الآيات . ط. الأولى . عمّان : دار البشير . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
٣١. البيلي ، أحمد : المكشاف عما بين القراءات العشر من اختلاف . ط. الأولى . الخرطوم : الدار السودانية للكتب . ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٣٢. التبريزي ، يحيى بن علي ت(٥٠٢هـ) : شرح القوائد العشر . د.ط . مصر : إدارة الطباعة المنيرية . ١٣٥٢هـ .
٣٣. الترمذي ، محمد بن عيسى ت(٢٧٩هـ) : الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل . تحقيق : أحمد محمد شاكر . بيروت : دار إحياء التراث العربي . د.ت .

٣٤. التَّفَازاني ، مسعود بن عمر سعد الدين ت(٧٩٣هـ) : شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف . ط.الثامنة . تحقيق : عبد العال سالم مكرم . القاهرة : المكتبة الأزهرية . ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
٣٥. الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد (٤٢٧هـ) : الكشف والبيان . ط.الأولى . تحقيق : أبو محمد بن عاشور . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٣٦. ابن جبر ، مجاهد ت(١٠٢هـ) : تفسير مجاهد بن جبر . ط.الأولى . تحقيق : محمد أبو النيل . مدينة نصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة . ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
٣٧. الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ت(٤٧١هـ) : دلائل الإعجاز. تعليق : محمود محمد شاكر. د.ط . القاهرة : مكتبة الخانجي . د.ت.
٣٨. ابن الجزري ، محمد بن محمد بن علي ت(٨٣٣هـ) :
- التمهيد في علم التجويد . ط.الأولى . تحقيق : علي البوّاب . الرياض : مكتبة المعارف . ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين . ط.الثانية . تحقيق : علي محمد العمران . السعودية : دار عالم الفوائد . ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- النشر في القراءات العشر . د.ط . تحقيق : نجيب الماجدي . بيروت : المكتبة العصرية . ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ .
٣٩. ابن جُرِّي ، محمد بن أحمد ت(٧٤١هـ) : التسهيل لعلوم التنزيل . ط.الأولى . تحقيق : محمد سالم هاشم . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٤٠. ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم ت(٧٣٣هـ) : شرح كافيّة ابن الحاجب . د.ط . تحقيق : محمد محمد داود . القاهرة : دار المنار . د.ت .

٤١. الجمل ، محمد أحمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة . ط.الأولى . عمّان : دار الفرقان . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
٤٢. الجندي ، أبو بكر ت(٧٦٩) : بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة . د.ط . تحقيق : حسين العواجي . المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية. ١٤١٦هـ .
٤٣. ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان ت (٣٩٢هـ) :
- الخصائص . د.ط . تحقيق : محمد علي النجار . القاهرة : دار الكتب المصرية . د.ت .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . تحقيق : علي النجدي وعبد الحلیم النجار وعبد الفتاح شلبي . القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
٤٤. ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ت(٥٩٧هـ) : زاد المسير في علم التفسير . ط. الثالثة . بيروت : المكتب الإسلامي . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٤٥. الجوهری ، إسماعيل بن حماد ت(٣٩٦هـ) : الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية " . ط.الرابعة . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٩٠م .
٤٦. حبش ، محمد :
- الشامل في القراءات المتواترة . ط.الأولى . دمشق : دار الكلم الطيب . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية . ط.الأولى . دمشق : دار الفكر . ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤٧. حسّان ، تمّام :

- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني . ط. الثالثة .  
القاهرة : عالم الكتب . ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- اللغة العربية معناها ومبناها . د.ط . الدار البيضاء : دار الثقافة . ١٩٩٤م .

٤٨. ابن حنبل ، أحمد بن محمد ت(٢٤١هـ) . مسند أحمد بن حنبل . د.ط . بيروت :  
دار إحياء التراث العربي . ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٤٩. ابن خالويه ، الحسين بن أحمد ت(٣٧٠هـ) :

- إعراب القراءات السبع وعللها . ط.الأولى . تحقيق : أبو محمد الأسيوطي .  
بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٦م .

- إعراب القراءات السبع وعللها . ط.الأولى . تحقيق : عبد الرحمن العثيمين .  
القاهرة : مكتبة الخانجي ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

- الحجة في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق: عبد العال مكرم . بيروت :  
مؤسسة الرسالة . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- القراءات الشاذة . ط.الأولى . تحقيق: محمد الشعباني . طنطا : دار الصحابة  
للتراث . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع . د.ط . تحقيق : برجستراسر .  
القاهرة : مكتبة المتنبّي . د.ت .

٥٠. الخراط ، أحمد محمد : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة .  
د.ط . المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . ١٤٢٦هـ .

٥١. الخطيب ، عبد اللطيف : معجم القراءات . ط.الأولى . دمشق : دار سعد الدين .  
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .



٥٢. ابن خلف ، أبو الطاهر إسماعيل ت(٤٥٥هـ) : الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة . ط.الأولى . تحقيق : حاتم الضامن . دمشق : دار نينوى . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٥٣. الدّاني ، عثمان بن سعيد أبو عمرو ت(٤٤٤هـ) :

- التيسير في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق د. حاتم الضامن . الشارقة : مكتبة الصحابة . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .  
- المكفّي في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل . ط.الثانية . تحقيق : يوسف المرعشلي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٥٤. الدميّاطي ، أحمد البنّا ت(١١١٧هـ) : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات . ط.الأولى . تحقيق: شعبان محمد إسماعيل . بيروت : عالم الكتب . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥٥. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ) : معرفة القراء الكبار على الطبقات و لأعصار . د.ط . تحقيق : طيار ألتي قولاج . استانبول : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٥٦. الراجحي ، عبده . اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د.ط . مصر : دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٦م

٥٧. الرّازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت (٦٠٤هـ) :

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . ط.الثالثة . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٩م .  
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . ط.الأولى . بيروت : دار صادر . ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٥٨. الرضي ، الشريف ت(٤٠٤هـ) : تلخيص البيان في مجازات القرن . د.ط . تحقيق : علي محمود مقلّد . بيروت : دار مكتبة الحياة . ١٩٨٦م .
٥٩. الزّجّاج ، إبراهيم بن السّريّ (٣١١هـ) : معاني القرآن وإعرابه . ط.الأولى . تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي . بيروت : عالم الكتب . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٦٠. أبو زرعة ، ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد ت(٤٠٣هـ) : حجة القراءات . ط.الخامسة . تحقيق : سعيد الأفغاني . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٦١. الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ت (٧٩٤هـ) : البرهان في علوم القرآن . د.ط . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . السعودية : دار عالم الكتب . ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٦٢. الزمخشري ، محمود بن عمر أبو القاسم ت (٥٣٨هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ط.الثانية . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٦٣. الساقى ، فاضل مصطفى : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة . د.ط . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٦٤. السامرائي ، إبراهيم : الفعل زمانه وأبنيته . الطبعة الثالثة . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
٦٥. السامرائي ، فاضل صالح :
- التعبير القرآني . ط.السادسة . عمّان : دار عمّار . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها . ط. الثانية . عمّان : دار الفكر ناشرون . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . ط. الخامسة . عمّان : دار عمّار . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- على طريق التفسير البياني . د.ط . الشارقة : مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة . ٢٠٠٥م .
- معاني الأبنية في العربية . ط. الثانية . عمّان : دار عمّار . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- معاني النحو . ط. الثانية . القاهرة : شركة العاتك . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- ٦٦ . السجستاني ، عبد الله بن سليمان بن الأشعث ت(٣١٦هـ) : كتاب المصاحف . ط. الأولى . تحقيق : محب الدين واعظ . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ٦٧ . السّخاوي ، علي بن محمد ت(٦٤٣هـ) : جمال القراء وكمال الإقراء . ط. الأولى . تحقيق : مروان العطية ومحسن خرابه . بيروت : دار المأمون للتراث . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ٦٨ . ابن السّرّاج ، محمد بن سهل ت(٣١٦هـ) : الأصول في النحو . ط. الثالثة . تحقيق : عبد الحسين الفتلي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٦٩ . أبو السعود ، ابن محمد العمادي ت(٩٨٢هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . د.ط . تحقيق : عبد القادر عطا . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . د.ت .
- ٧٠ . السفاقسي ، علي النوري بن محمد ت(١١١٨هـ) : غيث النفع في القراءات السبع . ط. الثانية . تحقيق : أحمد الحفيان . بيروت : دار الكتب العلمية . الثانية . ٢٠٠٨م .

٧١. السكاكي ، يوسف بن محمد ت (٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم . ط. الأولى . تحقيق : عبد الحميد هنداوي . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٧٢. السمرقندي ، محمد بن محمود : كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار . د.ط . تحقيق : د. حاتم الضامن . دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث . ضمن : نصوص محققة في علوم القرآن . ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٧٣. السَّمِين ، أحمد بن يوسف الحلبي ت (٧٥٦هـ) :  
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . د.ط . تحقيق : احمد محمد الخراط . دمشق : دار القلم . ١٤٠٦هـ .  
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ . ط. الأولى . تحقيق : محمد باسل عيون السود . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٧٤. السَّهْلِي ، عبد الرحمن بن عبد الله ت (٥٨١هـ) : نتائج الفِكر في النحو . ط. الأولى . تحقيق : عادل عبد الموجود و علي معوض . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٧٥. سيبويه ، عمرو بن عثمان ت (١٨٠هـ) : الكتاب . ط. الثالثة . تحقيق : عبد السلام هارون . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٧٦. ابن سيده ، علي بن إسماعيل ت (٤٥٨هـ) : المخصَّص . د.ط . بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .
٧٧. السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت (٣٦٨هـ) : شرح كتاب سيبويه . د.ط . تحقيق : رمضان عبد التَّوَّاب . القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب . ١٩٩٠م .

٧٨. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت (٩١١هـ) :
- الإتيان في علوم القرآن .د.ط . تحقيق: محمد أبو الفضل . بيروت : المطبعة العصرية . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .د.ت .
- قطف الأزهار في كشف الأسرار .ط.الأولى . تحقيق : أحمد الحمادي . الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- معترك الأقران في إعجاز لقرآن . ط.الأولى . تحقيق : أحمد شمس الدين . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . د.ط . تحقيق : عبد السلام هارون وعبد العال مكرم . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٧٩. سيّب ، خير الدين : تغيّير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى . ط. الأولى . دمشق : دار الغوثاني للدراسات القرآنية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
٨٠. شادي ، محمد إبراهيم : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم . ط. الأولى . الدقي . مصر : شركة الرسالة . ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
٨١. الشاطبي ، القاسم بن فيرّه ت(٥٩٠هـ) : حرز الأمانى ووجه التّهاني في القراءات السبع . ط.الخامسة . تحقيق : محمد الزّعبى . دمشق : دار الغوثاني . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٨٢. أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل ت(٦٦٥هـ) : إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع للشاطبي (٥٩٠هـ) . د.ط . تحقيق : إبراهيم عطوه . بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .

٨٣. شاهين ، عبد الصبور : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو ابن العلاء" . ط. الأولى . القاهرة : مكتبة الحانجي . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٨٤. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ت(١٣٩٣هـ) : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . ط. الأولى . تحقيق : بكر أبو زيد . مكة المكرمة : دار عالم الفوائد . ١٤٢٦هـ .
٨٥. الشوكاني ، محمد بن علي ت(١٢٥٠هـ) :
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . ط. الأولى . تحقيق : سامي الأثري . الرياض : دار الفضيلة . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
  - فتح القدير لجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . د. ط . تحقيق : عبد الرحمن عميرة . دار الوفاء . ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م .
٨٦. شيخ زاده ، محمد بن مصلح الدين ت(٩٥١هـ) : حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ت(٦٨٥هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ط. الأولى . تحقيق : محمد شاهين . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م .
٨٧. الطبري ، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . د. ط . تحقيق : عبد الله التركي . القاهرة : دار هجر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٨٨. الطنطاوي ، علي ، والطنطاوي ، ناجي : أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . الطبعة الثامنة . بيروت : المكتب الإسلامي . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٨٩. الطَّيْبِي ، شرف الحسين بن عبد الله ت(٧٤٣هـ) : التبيين في البيان . د. ط . تحقيق : عبد الستار زموط . القاهرة : جامعة الأزهر . ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٩٠. ابن عادل ، عمر بن علي ت بعد (٨٨٠هـ) : الباب في علوم الكتاب . ط. الأولى . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوّض . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٩١. ابن عاشور ، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير د.ط. تونس : الدار التونسية . ١٩٨٤م .
٩٢. عباس ، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها . ط.الرابعة . أريد . الأردن : دار الفرقان . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٩٣. ابن العبد ، طرفة : ديوان طرفة . ط.الثالثة . تحقيق : مهدي محمد ناصر . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٩٤. عبد الجواد ، سمير أحمد : التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش ت (١٤٨هـ) . ط.الأولى . القاهرة : مطبعة الحسين الإسلامية . ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٩٥. عبد الشكور ، سامي محمد سعيد : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام (دراسة مقارنة) . ط. الأولى . عمّان : دار عمار . ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
٩٦. العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ت (٣٩٥هـ) : الفروق اللغوية . د.ط . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . القاهرة : دار العلم والثقافة . د.ت .
٩٧. ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ت (٥٤٢هـ) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ط.الثانية . تحقيق : الرحالة الفاروق و عبد الله الأنصاري و السيد عبد العال و محمد العناني . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٩٨. ابن عقيل ، بهاء الدين بن عبد الله ت(٧٦٩هـ) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . د.ط . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : دار الطلائع . ٢٠٠٩م .

٩٩. ابن عقيلة ، محمد بن أحمد المكيّ ت(١١٥٠هـ) : الزيادة والإحسان في علوم القرآن . ط.الأولى . الإمارات العربية المتحدة : مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٠٠. العكبري ، عبد الله بن الحسين أبو البقاء ت (٦١٦هـ) :

- إعراب القراءات الشواند . ط.الأولى . تحقيق : محمد السيد عزّوز . بيروت : عالم الكتب . ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

- إملاء ما منّ به الرحمن من الإعراب والقراءات في جميع القرآن . ط.الأولى . بيروت : دار الفكر . ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- التبيان في إعراب القرآن . ط.الأولى . القاهرة : شركة القدس للتصدير . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

١٠١. العلوي ، يحيى بن حمزة ت(٧٤٩هـ) : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . د.ط . مصر : مطبعة المقتطف . ١٢٢٢هـ - ١٩١٤م .

١٠٢. عمر ، أحمد مختار . مكرم ، عبد العال سالم : معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء . ط. الثالثة . مصر : عالم الكتب . ١٩٩٧م .

١٠٣. العمري ، ظافر غرمان : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل . ط. الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٠٤. عيسى ، محمد مسعود علي : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي دراسة تطبيقية في سورة البقرة . ط.الأولى . القاهرة : دار السلام . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .



١٠٥. الغزالي ، محمد بن محمد ت(٥٠٥هـ) : المستصفى من علم الأصول . د.ط . تحقيق : حمزة زهير . المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية . د.ت .
١٠٦. ابن غلبون ، طاهر بن عبد المنعم ت (٣٩٩هـ) : التذكرة في القراءات الثمان . ط.الأولى . تحقيق : أيمن سويد . جدة : الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم . ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
١٠٧. ابن فارس ، أحمد بن الحسين ت(٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة . د.ط . تحقيق : عبد السلام هارون . دمشق : دار الفكر . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
١٠٨. الفارسي ، الحسن بن عبد الغفار أبوعلي ت(٣٧٧هـ) : الحجة في علل القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد المعصراني . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
١٠٩. الفراء ، يحيى بن زياد ت(٢٠٧هـ) : معاني القرآن . ط.الثانية . بيروت : عالم الكتب . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١١٠. فيّاض ، جمال : رواية شعبة . د.ط . الإسكندرية : دار الإيمان . د.ت .
١١١. القاسمي ، محمد جمال الدين ت(١٣٣٢هـ) : محاسن التأويل . ط.الأولى . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء الكتب العربية . ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
١١٢. القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب . د.ط . بيروت : دار الكتاب العربي . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١١٣. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ت(٢٧٦هـ) :  
- أدب الكاتب . د.ط . تحقيق : محمد الدّالي . بيروت : مؤسسة الرسالة . د.ت  
- تأويل مشكل القرآن . ط. الثانية . تحقيق : إبراهيم شمس الدين . بيروت : دار  
الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
١١٤. القرطبي ، عبد الوهاب بن محمد ت (٤٦٣هـ) : المفتاح في اختلاف القراءة  
السبعة المسمّين بالمشهورين . ط. الأولى . تحقيق : حاتم الضامن . دمشق : دار  
البشائر . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١١٥. القرطبي ، محمد بن أحمد ت(٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما  
تضمنته من السنة وآي الفرقان . ط. الأولى . تحقيق : عبد الله التركي ومحمد  
عرقسوسي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١١٦. قطب ، سيد :
- التّصوير الفنّي في القرآن . ط. السادسة عشر . القاهرة : دار الشروق .  
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- في ظلال القرآن . ط. السادسة والثلاثون . القاهرة : دار الشروق . ١٤٢٨هـ -  
٢٠٠٧م .
١١٧. القونوي ، إسماعيل بن محمد ت(١١٥٩هـ) : حاشية القونوي على تفسير  
البيضاوي ت(٨٨٠هـ) . ط. الأولى . تحقيق : عبد الله محمود محمد . بيروت : دار  
الكتب العلمية . ١٤٢٢هـ .
١١٨. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ت(٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم . ط. الأولى .  
بيروت : دار ابن حزم . ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١١٩. الكردي ، عز الدين محمد : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم دراسات لغوية وصفية تحليلية . ط. الأولى . بيروت : دار المعرفة . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
١٢٠. الكرمانى ، محمد بن أبى المحاسن ت (بعد ٥٦٣هـ) : مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني . ط. الأولى . تحقيق: عبد الكريم مدلج . بيروت : دار ابن حزم . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٢١. الكرمانى ، محمد بن أبى نصر ت (٥٣٥هـ) : شواذ القراءات د.ط . تحقيق : شمران العجلي . بيروت : مؤسسة البلاغ . د.ت .
١٢٢. لاشين ، عبد الفتاح : من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة . د.ط . الرياض : دار المريخ . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٢٣. ابن مالك ، محمد بن عبد الله ت (٦٧٢هـ) : متن ألفية ابن مالك . ط. الأولى . تحقيق : عبد اللطيف الخطيب . الكويت : دار العروبة . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٢٤. الماوردي ، علي بن محمد (٤٥٠هـ) : النكت والعيون (تفسير الماوردي) . د.ط . تحقيق : عبد المقصود عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية و مؤسسة الكتب الثقافية . د.ت .
١٢٥. المبرد ، محمد بن يزيد ت (٢٨٥هـ) : المقتضب . د.ط . تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة . بيروت : عالم الكتب . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
١٢٦. المجاشعي ، علي بن فضال ت (٤٧٩هـ) : النكت في القرآن . تحقيق : عبد الله الطويل . د.ط . مصر : دار البدر . ٢٠٠٧م .
١٢٧. ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ت (٣٢٤هـ) : كتاب السبعة في القراءات . د.ط . تحقيق : شوقي ضيف . القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٢م .

١٢٨. مجهول المؤلف و ابن عطية ، عبد الحق بن أبي بكر ت(٥٤٣هـ) : مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية . د.ط . تحقيق : آرثر جفرى . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٩٥٤ م .

١٢٩. محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية . ط.الثانية . القاهرة : مكتبة الآداب . ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٣٠. محيسن ، محمد محمد سالم :

- الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية . ط.الأولى . القاهرة : دار محيسن . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني . د.ط . السعودية : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

١٣١. ابن أبي مريم ، نصر بن علي ت(٥٦٥هـ) : الموضح في وجوه القراءات وعللها . ط.الأولى . تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني . بيروت : دار الكتب العلمية. ٢٠٠٩م .

١٣٢. مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم ت(٢٦١هـ) :

- صحيح مسلم . ط. الثانية . الرياض : دار السلام . . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- صحيح مسلم . د.ط ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي . د.ت

١٣٣. مصطفى ، إبراهيم . الزيات ، أحمد . عبد القادر ، حامد . النجار ، محمد : المعجم الوسيط . د.ط . تحقيق: مجمع اللغة العربية . نسخة المكتبة الشاملة .

١٣٤. المطعني ، عبد العظيم : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغيَّة . ط.الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٣٥. المطلبي ، مالك يوسف : الزمن واللغة . د.ط . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٦م

١٣٦. مكي ، ابن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ) :

- كتاب التبصرة في القراءات السبع . د.ط . تحقيق : جمال الدين محمد . طنطا : دار الصحابة للتراث . د.ط .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . تحقيق : محيي الدين رمضان . دمشق : مجمع اللغة العربية . ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- مشكل إعراب القرآن . ط. الأولى . تحقيق: أسامة عبد العظيم . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠١٠م .

١٣٧. ابن منظور ، محمد بن مكرم ت(٧١١هـ) : لسان العرب . د.ط. تحقيق : عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي . القاهرة : دار المعارف . د.ت .

١٣٨. المهدي ، أحمد بن عمار ت(٤٤٠هـ) :

- بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات . د.ط . تحقيق: حاتم الضامن . بغداد : معهد المخطوطات العربية . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح الهداية . ط. الأولى . تحقيق: حازم سعيد . الأردن : دار عمار . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٣٩. ابن مهران ، أحمد بن الحسين ت(٣٨١هـ) : المبسوط في القراءات العشر . د.ط . تحقيق : سبيع حاكمي . دمشق : مجمع اللغة العربية . ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .

١٤٠. أبو موسى ، محمد حسنين : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية . د.ط . القاهرة : دار الفكر العربي . د.ت .

١٤١. أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب . ط. الثانية . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١٤٢. نبهان ، محمد : الرياش في رواية شعبة بن عياش . ط. الخامسة . نسخة الكترونية محملة من موقع [www.quraat.com](http://www.quraat.com) - ٢٠٠٦م .

١٤٣. النَّحَّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد ت(٣٣٨هـ) :

- إعراب القرآن . د.ط. تحقيق : زهير غازي . بيروت : مكتبة عالم الكتب والنهضة العربية . ١٩٨٥م .

- القطع والأنتناف . ط. الأولى . تحقيق : عبد الرحمن المطرودي . الرياض : عالم الكتب . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

- معاني القرآن . د.ط . تحقيق : يحي مراد . القاهرة : دار الحديث . ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

١٤٤. النَّسَائِي ، أحمد بن شعيب ت(٣٠٣هـ) : سنن النَّسَائِي الصغرى . ط. الأولى . تحقيق : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . الرياض : دار السلام . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٤٥. النَّشَّار ، عمر بن زين الدين قاسم ت(٩٣٨هـ) : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة . ط. الأولى . تحقيق : احمد المعصراوي . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٤٦. نهر ، هادي : التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية . ط. الأولى . عمَّان : جدارا للكتاب العالمي . إربد : عالم الكتب الحديث . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٤٧. النيسابوري ، الحاكم ت(٤٠٥هـ) : المستدرك في الصحيحين . د.ط . بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .
١٤٨. الهتاري ، عبد الله علي : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم . د.ط . الأردن : دار الكتاب الثقافي . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٤٩. الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله : حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن . ط.الأولى . تحقيق : هاشم محمد . بيروت : دار طوق النجاة . ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
١٥٠. ابن هشام ، جمال الدين عبد الله بن يوسف ت(٧٦١هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعراب . ط.الخامسة . تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . عمّان : مؤسسة الصادق . د.ت .
١٥١. هنداوي ، عبد الحميد : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة . ط.الأولى . عمّان : جدارا للكتاب العالمي . إربد : عالم الكتب الحديث . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٥٢. الهيتي ، عبد القادر : ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي . ط.الأولى . بنغازي : منشورات جامعة قاريونس . ١٩٩٦م .
١٥٣. ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ت(٦٤٣هـ) : شرح المفصّل . د.ط . مصر : إدارة الطباعة المنيرية . د.ت .

### ثالثاً : الرسائل الجامعيّة المطبوعة :

١. بخيت ، إبراهيم رجب . وجوه التعدد لبناء الكلمة في القرآن الكريم (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٢. جاد الله ، هدى رشيد : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور النور والفرقان والشعراء والنمل (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٣. الجنابي ، زهراء : الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم (ماجستير) . الكوفة : جامعة الكوفة . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
٤. حمّاد ، أمال خميس : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الإسراء والكهف و مريم (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٥. الحمادي ، جلال عبد الله : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية (ماجستير) . تعز : جامعة تعز . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٦. الحميري ، قاسم محمد : التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري ت(٦١٦هـ) (ماجستير) . العراق : جامعة بابل . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٧. أبو راس ، منصور سعيد : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق النشاطية توجيهه وأثره على المعنى (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤٢٥هـ .
٨. رضوان ، سامي خليل : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور سبأ وفاطر و يس والصفات وص (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .



٩. سخنيي ، هشام محمد : نظام الفعل في اللغة العربية (ماجستير) . بيروت : الجامعة الأمريكية . ١٩٤٧م .
١٠. سيكو ، كوليبالي : طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبين ما انفرد بقراءته كل منهم من خلال إعراب القرآن وتفسيره (ماجستير) . ساحل العاج ( كوت ديفوار) . ١٤٢٣هـ .
١١. الشتوي ، فهد : دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (دراسة نظرية تطبيقية) (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
١٢. أبو عريش ، أحمد محمد : أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية (دكتوراة) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
١٣. عطية ، هديل محمد ، والمنيراوي ، يوسف : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
١٤. عودة ، مجدي عايش : النظم القرآني في سورة هود دراسة أسلوبية (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
١٥. فرُّوخ ، محمود صلاح : القراءات الشاذَّة عن الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
١٦. الفلاح ، آمال محمود : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور طه والأنبياء والحج والمؤمنون (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
١٧. الملاحي ، عبد الله علي : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

## رابعاً : الدوريات والمجلات العلميّة :

١. الأرنؤوطني ، زهير محمد : دلالة ( استفعل ) على المبالغة في القرآن الكريم .  
كلية التربية . ابن رشد : مجلة الأستاذ . العدد (٢٠٠) . ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٢. الجيلي ، علي أحمد : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية . العدد (١) . المجلد (٥) . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٣. بلقاسم ، دفة : نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية .  
الجزائر : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر .  
يونيو ٢٠٠٩ .
٤. الثويني ، هانف : الأفعال في القرآن الكريم ودلالاتها في السياق القرآني . بغداد :  
مجلة اللغة العربية وآدابها . العدد (٨) . د.ت .
٥. الجمل ، عبد الرحمن : أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في  
كتاب الله عز وجل . غزة : مجلة جامعة النجاح للأبحاث . العدد (١) . المجلد  
(١٨) . ٢٠٠٤م .
٦. حسون ، رضا هادي : الصيغة العامّة المزيدة في القرآن الكريم ، مجلة كلية  
التربية بالجامعة المستنصرية ، العدد (٤) . ٢٠٠٨م .
٧. الدليمي ، أحمد ، ونوري ، ميثم : فن الالتفات في القراءات السبع سورة البقرة  
أتمودجاً . الموصل : مجلة آداب الرفادين بجامعة الموصل . العدد (٥٥) .  
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٨. الزغلول ، محمد : الالتفات في القراءات القرآنية . المجلة الأردنية في الدراسات  
الإسلامية . العدد (٢) . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٩. الطبطبائي ، عبد المحسن : تغيّر صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية . جامعة الكويت : حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية . الرسالة (٢٤٨) . الحولية (٢٧) . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٠. العبادلة ، حسن : من أوجه القراءات القرآنية إبدال الحروف وأثره على التفسير . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية . العدد (٢) . المجلد (٢) . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١١. العتوم ، كامل يوسف : جمال التعبير في النصّ القرآني سورة الإخلاص نموذجًا . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد (٦) ، العدد (١) ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
١٢. قاسم ، رياض . والشريف ، عمر : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير . الجامعة الإسلامية : كلية أصول الدين . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م . ( بحث منشور على النت ) .
١٣. هاشم ، محسن: نظرات في شروط القراءات وحجيتها لغة وشرعًا . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية . المجلد (٥) . العدد (١) . د.ت .
١٤. الهتاري ، عبد الله علي : تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي ، اليمن : مجلة جامعة العلوم والتكنولوجيا . بحث منشور على النت .

### خامسًا : مواقع على النت تمّ الإفادة منها :

١. شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية <http://www.alfaseeh.com>
٢. ملتقى أهل التفسير <http://www.tafsir.net>
٣. منتديات مكتبتنا العربية <http://www.almaktabah.net>

## Abstract in English

This study discusses **(change verbs structure between Quran readings and its impact on meanings change)** semantic implications of the images change to the structure of the verb in its scope in time between readings, has touch Researcher those indications through a variety of models analyzed by, where describe the change structure among readers, then he directed this change both read and received frequent or abnormal, then without notes about the image change between my intention Either Mstsahba denote context and its impact on the meaning, has chosen researcher read Asim originally built him pictures change with the rest of the readings, and the study of the structure act confined in times: Past, Present, and command.

Did not stop the researcher during eating these images at the borders of reasoning grammar, but Etjasoh to reasoning rhetorical and chart trying to find the relationship between structure and context to determine the secrets and implications of this change through context Quranic, and this change latest dimensions rhetorical and graphic revealed the faces of miracles in this book Quran .

The search came in the introduction, preface, and three chapters:

- **Introduction:** Researcher reasons for his choice of the subject, then the objectives of the study and its importance, then its scope and limits, and the approach taken by the study and applications Mbagesha, then the previous studies, and the difficulties he faced, then his plan in the message classes.
- **Preface:** he dealt with the researcher: meaning structure morphological, and then act and its significance on time, then change the structure morphological acts, then context definition, his staff, and its importance, then the Qur'an and **readings:** Basic definitions, then the emergence of readings, then the impact on meaning.
- **Chapter One:** change from the past tense to the present tense, and vice versa, and the significance of it.
- **Chapter Two:** change from the past tense to it and vice versa, and the significance of it.
- **Chapter Three:** change from the present tense to it and vice versa, and the significance of it, then the conclusion, the results and recommendations, along with the study annexes limit positions to change the structure of the act between readings

تنسيب  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)